

محمود شابی

حیاتِ یوسف

دارالجمیل

بیروت

الاهداء

اللهم منك وإليك

محمود شبلي

جميع الحقوق محفوظة للناشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

هذه أحسن قصة ...

بصريح القرآن : « نحن نقص عليك أحسن القصص ... »

أو بلغة عصرنا ... أجل قصة ... وأحلى حكاية ... وأرقى رواية ...

لماذا كانت قصة يوسف ، أحسن القصص ، وأحلى الروايات ؟!

لأن فيها من الوقائع ، ما ليس في غيرها ؟!

كلا ... فمن القصص ما يزخر بالاحداث أضعاف تلك القصة !

أمن أجل أنها قصة نبي كريم ؟

كلا ... فمن الأنبياء من هو أعلى مقاماً من يوسف ... عليه السلام !

الأنها ... من القصص الذي تولى الله تعالى قصه ... على الناس ... في كتابه

الكريم ؟

كلا ... فكم من القصص ... قصّ سبحانه على الناس سواها !

فلماذا إذاً كانت قصة يوسف أحسن القصص بصريح القرآن ؟

لأنها قصة أخطر عاطفة بشرية ... العاطفة الخالدة ... التي نسميها « الحب » !!

قال سبحانه « امرأة العزيز ، تراودُ فتاها عن نفسه ، قد شغفها حباً ... »

قد تغفل حب يوسف ... في شغاف قلبها ... فما تملك أن تدافعه ... وما تملك أن

تقاومه !!!

الحب !!؟

تلك العاطفة الكبرى ... من عواطف البشر ...

تلك العاطفة التي أخذت على الانسان عقله ، وتفكيره ، وأحلامه ، وحياته ...

ما هو الحب ؟!

الجواب ... في قصة يوسف ...

ما هو الجمال ؟!

الجواب ... هو يوسف ...

ما هو سلطان الحب على النساء ؟

الجواب : هو ما كان من امرأة العزيز ... ونسوة في المدينة ...

كيف يكون موقف الانسان المؤمن من غواية الحب ... وضلالات الهوى ؟

الجواب : انظروا ماذا كان من يوسف حين أبي ، واستعصى ، وآثر السجن ...

على حياة الهوى !!

جمال الصورة ... هل هو نعمة ، أو نقمة ؟

الجواب : انظروا ... ماذا أصاب يوسف ... بسبب جمال صورته ...

فقد أوتي يوسف « شطر الحسن » .

فالحسن حسنان ...

حسن الظاهر ... جمال الصورة ...

وحسن الباطن ... جمال الروح ...

وقد أوتي يوسف الحسن الظاهر ... كاملاً ...

فضلاً عن حسن الباطن ... أوتي نور الأنبياء ...

فافتتن النسوة بحسن الظاهر ... حسن الجسد ...

ولم يلحظن ... حسن الباطن ... المكنون في جوهره الكريم ...

فلما تبين لهم : « قُلْنَ : حَاشَ اللَّهُ مَا هَذَا بَشَرًا ، إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ » ...

أدركن أن الرجل ... مكنون فيه ... جمال باطن .. غير هذا الذي ... يركزن

عليه أبصارهن ...

وغاب عنهن أن بحر جماله الباطن ... يذوب فيه جماله الظاهر ...
لقد كانت قصة يوسف أحسن القصص . . بما فيها من تلاطم عواطف الحب ،
والجمال ، والسكر والفر ، حول تلك العاطفة الخالدة !!!
وجاهير الناس ... يهيمها الحب وما يتعلق به ... أكثر من أى شئ آخر ...
وقد تكون أفاضل الجهاد في سبيل الحق ... أعلى مقاما عند الله ...
إلا أنها لا تستهوى الجمهير ... بمثل ما تستهويهم أفاضل الحب والغرام ...
بأن عاطفة الحب ... طفلة جنس ... والجنس هو الفرزة الأولى ... في أحاسيس
البشر .

وكانت أحسن القصص ، بما فيها من عواطف بشرية أخرى ... كبرى ...
غرائز الغل ، والحقد ، المبتوثة في ثنايا جبال البشر ...
غل الإخوة ... غير الأشقاء ... على أخ لهم من أيهم ...
غل يدفعهم ... إلى التفكير في قتل أخيهم ...
وبما فيها من عاطفة الأبوة ... في ذروتها ... حين أحب يعقوب ... يوسف ...
حبا ملك عليه فؤاده ...

« لِيُؤسِفُ ، وَأُخُوهُ ، أَحَبُّ إِلَى أَيْنَا مِنَّا ... »

وكيف دفع هذا الحب ... أبناء الرجل أن يكيدوا لأبيهم كيدا عظيما !!!

وبما فيها من عاطفة الصبر الجميل « فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ... »

وكيف صبر الأب صبرا جميلا ... لا شكوى فيه . .

« إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ، وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ » ، !!!

وبما فيها من أعاجيب ... مكنونات ... المقادير !

أولئك الأخوة ... كان تدبيرهم الخبيث « اقْتُلُوا يُوسُفَ ... يَخْزِلْ لَكُمْ وَجْهَهُ

أَيْكُمْ ... »

وكان تدبير القدر « وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ ، وَيُعَلِّمُكَ مِنَ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ

وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ، وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ، كَمَا آمَنَّا عَلَى أَبِي نَبِيكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ!!
أرادوا قتله ... وأراد الله ... أن يكون نبيا ... وملكا ... وعظيما ... وخالدا ...
وجاءوه ... وأعلنوها «... تالله لقد آتراك الله علينا ...»!
وإنما كانت قصة يوسف أحسن القصص ... بما فيها من اظهار مكنونات عجائب
معادن الأنبياء ...

أولئك السكواكب الألاءة ... التي تتشعشع بجواهر حبات النور ... كلما مستها
الحوادث ... زادت اشعاعا وشعاعا !!

وبما فيها من تجلى عبقرية يوسف ... في ادارة اقتصاديات مصر ...
فسكانت خيرا عيما لأهل مصر ... وللمنطقة كلها ...
وبما فيها من الخاتمة السعيدة .. التي يتفضل الله بها .. على كل من اتقى وصبر ...
«... لِأَنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْحَسَنِينَ »

وبما فيها من ظلمات الشهوات ... شهوة الجنس ... وكيف تدفع امرأة العزيز ... أن
تعرض نفسها عرضا ... على يوسف ...

ونور التعالى على المعصية ... «... مَعَاذَ اللَّهِ ، ، إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ .. »
وظلمات شهوة الحسد ... وكيف دفع اخوة يوسف إلى أحقر تدبير
إذ يجتمع عشرة رجال ... لقتل طفل صغير!!!

وبما فيها من نور التوكل ... لمن تلحظه عين العناية
« وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ » !!
وبما فيها من غرائز بشرية ... جياشة ... متدافعة ...

الأنباء يرمون أباهم بتخريف الكبر ...
« تالله إنك لفي ضلالك القديم » !!!
يقولون هذا ... وهم يعلمون أن أباهم ... نبي ونور عظيم !!!

ولكنهم يبغضون هذا المسمى يوسف ... الذى يذكره أبوم دائما !!!

وبما فيها من أعاجيب ... معادن الأنبياء ...

هؤلاء هم أخوته ... أذلاء ... بين يديه ...

فكان ما قال : « لا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ اليَوْمَ ... »

وقال : « ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللهُ آمِنِينَ » !!

عفو ... صفح جميل ... لاشئ فى قلبه !!!

وإن فى هذه القصة من الاشاعات ... ما إن تفجر ... ملأ ما بين السماء والأرض

شعاعا ونورا ...

ففيها بحار ... أنوار ... يوسف ...

وما أدراك ما يوسف !!!

ثم ما أدراك ما يوسف !!!

وأهل ذلك هو السر ... فى أنها هى القصة الوحيدة ... التى قصها الله تعالى ... فى سورة

وحيدة ... من أولها إلى آخرها ... فى القرآن الكريم ...

اختصه بسورة وحده ... سورة يوسف ...

واختص القصة ... بجميع السورة ... من أولها إلى آخرها ...

وسلك فى سردها ... التسلسل التاريخى ... فكانت أعجوبة ... وآية ... وإعجازا ...

فى التفصيل ... والإجمال ...

« لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلِّسَائِلِينَ » .

« لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ ... »

ومن أجل أن الله تعالى تولى تسجيلها كاملة ... فى سورة كاملة ... من كتابه

الكريم ...

ومن أجل أنها هى الوحيدة التى اختصت بذلك الشرف العظيم ...

ومن أجل أن حياة الأنبياء ... لا يجوز لنا أن نزيد أو ننقص ... أو نتخيل أو

نزيد ... فيها ...

ومن أجل الحفاظ ... على اشعاعات أنوارها ... كما رتبها ربنا تبارك وتعالى ...
في كتابه المسكون ...
من أجل ذلك كله ... سلكنا في « حياة يوسف » مسلكا جديدا ...
أن نقدم إلى الناس ، حياة يوسف ، كما قدمها كتاب الله تعالى ...
فنمضى مع الآيات ... تبيينا ... وتفسيرا ...
ثم نتبع الآية ... بما فيها من اشعاعات ...
ثم ندع القارئ .. بعد ذلك ... يحوس خلال أنوارها ...
لتبقى للقصة اشعاعاتها ...
فلا يحجب قلب القارئ ... بظلمات التأليف ...
وإن للتأليف اظلمة ...
حين يطفى ... على أنوار التنزيل !!
ولعل هذا المنهج ... في معالجة « حياة يوسف » وتقديمها إلى الناس ..
يكون ... إن شاء الله ... أجل أسلوب ... لأجل قصة .

محمد شبلبي

القاهرة في ١٣٨٨ هـ
م ١٩٦٨

قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :

« إن الكريم

» ابن الكريم

« ابن الكريم

» ابن الكريم

« يوسف ، نبي الله

» ابن يعقوب ، نبي الله

» ابن إسحاق ، نبي الله

« ابن إبراهيم ، خليل الله »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- ١ -

أَلَمْ تَرَ تِلْكَ آيَاتِ الْكِتَابِ الْمُبِينِ .

« أَلَمْ » ألف ... لام ... را ...

من مثل هذه الحروف الميسورة المبذولة لكل الناس ... أنزل ذلك القرآن العظيم ..
فهل يستطيع أحد أن يأتي بقرآن مثله ؟

« تلك » الإشارة بالبعيد لعظمته ، وبعد مرتبته .

« آيات الكتاب » آيات القرآن ، الذي هو الكتاب الحق ..

« المبين » الظاهر أمرها وإعجازها . أو : الظاهر أنها من عند الله تعالى .

- ٢ -

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ .

« إنا أنزلناه » إنا ... نحن الله ... أنزلناه ... على رسولنا ... من عندنا .

« قرآنًا عربيًّا » قرآنًا بلسانكم .

« لعلكم تعقلون » لكي تفهموه وتحيطوا بمعانيه ، ولا يلتبس عليكم .

أو : لتستمعوا فيه عقولكم ، فتعلموا أن اقتصاصه كذلك ، ممن لم يتعلم القصص ،

معجز ، لا يمكن إلا بالإيمان .

قال بعضهم : نزل أشرف الكتب ، بأشرف اللغات ، على أشرف الرسل ، بسفارة

أشرف الملائكة ، وكان ذلك في أشرف بقاع الأرض ، وفي أشرف شهور السنة ، وهو

رمضان ، فكل له الشرف من كل الوجوه .

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ
وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ .

« نحن » نحن الله ...

« نقص عليك » نحكى لك ...

« أحسن القصص » أبداع القصص طريقة ، وأعجبه أسلوبا ، وأصدقه أخبارا ، وأجمعه

حكما وعبرا .

« بما أوحينا إليك » بإيحاءنا إليك .

« هذا القرآن » هذا الكتاب العظيم .

« وإن كنت من قبله لمن الغافلين » وإن كنت يا أيها الرسول من قبل إيحاءنا إليك

هذا القرآن لمن الغافلين عنه ، لم يحظر ببالك .

والتعبير عن عدم العلم بالغفلة لإجلال شأن النبي صلى الله عليه وسلم .

اشعاعات

نحن !!!

الله يتكلم ... فيها جمال وجلال ...

ولكن ... لماذا كان قصص القرآن هو أحسن القصص ؟

الجواب ... بما أوحينا إليك هذا القرآن !

لسبب واحد ... هو أن الله هو الذى يتولى إيحاؤه إلى محمد صلى الله عليه وسلم !

ولكن ... لماذا كان هذا سببا جعل قصص القرآن أحسن القصص ؟

لأن الله حين يوحى ... وحين يقص ... إنما يقص الحق .

وشتان بين الحق المطلق ... وبين خيال المؤلفين ... وأوهام الملقين ...

وحين يتكلم الله ... جل ثناؤه ... إنما هو الله يتكلم ..
والفرق بين كلام الله ... وكلام الناس ... كالفرق بين الله والناس ..
إن الله قد أحاط بكل شيء علماً ... فهو يتكلم بعلم محيط ... أما البشر فضعاف ..
محدود علمهم ... فإذا تكلموا ... أو تخيلوا ... جاء خيالهم عيناً ... وأفكارهم نقصاً ...
وشتان بين السكالم المطلق ... والنقص المطلق ... وبين العلم المطلق ... والجهل
المطلق ...

ثم لماذا كانت قصة يوسف بالانسان أحسن القصص ؟
الأنها رائعة البيان ... متكاملة ... متينان ؟
كلا ... وإنما لأنها جامعة لجميع الصفات البشرية الخالدة ... تزدحم فيها ازدحاماً ...
تلك العواطف الخالدة خلود الحياة ... التي تمس أوتار القلوب ... وتسهبى جميع
الناس ... بصرف النظر عن عقائدهم
ففيها الأبوة والبنوة ... ومشاكلها ...
وفيهما حب الآباء لبعض الأبناء دون الآخرين وما يثير ذلك في نفوسهم ...
وفيهما الضرائر ومشاكلهن ... وأفاعيلهن .
وفيهما أحقاد الأخوة لأب على إخوتهم لأبيهم ...
وفيهما ابتلاء الآباء في أعز الأبناء ..
وفيهما أحزان القلوب ... وما تورثه من انهيارات في الأبدان ..
وفيهما عاطفة الحب الجنسي ... تلك العاطفة التي أخذت على الناس تفكيرهم في
كل زمان ...

وفيهما ارتفاع الإنسان من الدلة إلى أبعاد آفاق العزة ... وكيف يستقبل نعمة الله
عليه آنذاك ...

وفيهما ... وفيها ... وفيها ... مما سوف ندخل إلى تفصيله .
وبالجملة هي العواطف البشرية كلها مركزة تركيزاً عظيماً ..

إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ
وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ .

« إذ قال يوسف لأبيه » وأبوه هو يعقوب ، بن إسحاق ، بن إبراهيم ، عليهم السلام .
« يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين » يا أبى .
« إنى رأيت فى المنام ... أحد عشر كوكبا من كه اكب السماء ... والشمس ... والقمر ...
رأيتهم جميعا ... لى أنا ... ساجدين ا
فإذا كان من يعقوب ... ذلك النبى الحكيم ... الذى يرى بنور النبوة ...
ماذا أبصر من يوسف ... من ذلك الطفل الجميل ... الرائع ..؟
لقد رأى فيه على الفور ... أنه هو الذى سوف يرث النبوة .. وأن الله قد جعل
فيه نور النبوة ... وأعدده لذلك إعدادا جميلا .
ولذلك قال له على الفور ..

قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا
إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ .

« قال » قال يعقوب عليه السلام .
« يا بنى » صغره لصغر سنه ، وللشفقة عليه ، ولعذوبة المصغر .
أى : يا صغرى .
« لا تقصص رؤياك » إياك أن تخبر إخوتك بما رأيت فى المنام .
« على إخوتك » على أحد من إخوتك .
« فيكيدوا لك كيدا » فيفعلوا لأجلك .

أو : لإهلاكك تحيلاً عظيماً ، متفاناً لك .
« إن الشيطان للإنسان عدو مبين » ظاهر العداوة ، فلا يألو جهداً في إغواء إخوتك
وحملهم على ما لا خير فيه .

اشعاعات

لقد رأى يعقوب عليه السلام ببصيرة النبوة ... ونور الرسالة ... أن معنى الرؤيا ..
أن يوسف سوف يعلو علواً عظيماً ... وأن إخوته الأحد عشر سوف يسجدون له ...
وأنه هو نفسه - يعقوب - وزوجة يعقوب ... سوف يسجدون له كذلك .

هذا من جهة الملك والسلطان والتمسك في الأرض ..
وأما من جهة الجوهر ... فقد تأكد لدى يعقوب أن الميراث قد انتقل إلى يوسف .
وأنه لا أحد من إخوته سيكون نبياً .. وإنما اختص الله يوسف بفضله من دونهم .
فما معنى هذا ؟

معناه أنه شخصية جمعت بين جمال الظاهر ... فهو جميل الصورة ... أعطى
شطر الحسن ..

وجمال الباطن ... وماذا بعد جمال النبوة ؟ !

ثم ماذا ؟

ثم ها هو يرى رؤيا تؤكد أنه سوف يكون عظيماً في الأرض .. متمكناً فيها .. يسجد
له الناس ويخضعون . حتى إخوته ... وأبويه ... سوف يسجدون !

سوف يعلو يوسف علواً عظيماً ...

سوف يعلو هذا الطفل ... الذي هو أصغرهم ... من دونهم جميعاً ...

إنه الامتياز ... وبلاء الامتياز ...

طفل ... أجمل إخوته ... يتلألأ في وجهه بهاء النبوة ... وروعة الامتياز ...

قد اختصه الله بشيء من عنده ... ووضعه على عينه ...

بينما اخوته لاشيء... ..

ومن هنا... .. كانت العقدة ...

إن الإنسان الممتاز لم يرتكب جريمة ...

وإنما يبدو امتيازه أكبر جريمة في أعين الذين هم دونه !

وذلك بلاء الامتياز دائما ...

فكيف ييوسف ... وقد رفعه الله على اخوته رفعا عظيما ؟!

جعله أحسنهم صورة ... وأنورهم قلبا ... وأعلام شخصية ...

كيف به ... وهو يتلأأ بين اخوته ... بينما هم صفرا لا يملكون شيئا ؟!

رأى يعقوب ذلك ... وما هو وراء ذلك ... بعين بصيرته ...

فأدرك ما كان وما سيكون في اجماله ...

فنهى يوسف أن يقصص رؤياه على اخوته فيكيدوا له كيذا عظيما بسببها ، ويحتالوا

لاهلاكه والقضاء عليه بكل الطرق الممكنة !

ثم ماذا ؟ قالوا : هذا يدل على جواز ترك إظهار النعمة لمن يخشى منه حسد ومكره .

وقالوا : فيه حكم بالعادة ، أن الإخوة والقرابة يحسدون .

وقالوا : هذا يدل على أنه يجب في بعض الأوقات إخفاء فضيلة ، تحرزا من الحسود .

- ٦ -

وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُمِيقُ نِعْمَتَهُ
عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كُلًّا إِنَّهَا عَلَىٰ أَبِيكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ
إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ .

«وكذلك يجتبيك ربك» مثل ذلك الاصطفاء . يصطفيك ربك يا يوسف للنبوة والسيادة

والعلم في الأرض بالحق .

« ويعلمك من تأويل الأحاديث » ويعلمك ربك تعليماً من عنده... من تعبير المنامات .
والأحاديث جمع حديث . سميت به الرؤيا لأنها إما حديث ملك أو نفس أو شيطان .
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« الرؤيا ثلاث : رؤيا من الله ، ورؤيا من الملك ، ورؤيا من الشيطان » . [البخارى]
« ويتم نعمته عليك » وبيئتك إلى أقصى غايات النعمة الظاهرة والباطنة ...

أما ظاهراً فيمكنك في الأرض تمكيناً ، وتعلو فيها علواً عظيماً ...

وأما في الباطن ... فتكون نبياً ... وترث النبوة التي آتاها الله من قبل إبراهيم ، فورثها

عنه إسحاق ، وورثها أنا عن إسحاق ، وها أنت يا يوسف ترث تلك النبوة عنى ...

ولذلك قال ...

« وعلى آل يعقوب » ويتم نعمته على أبناء يعقوب... بأن اختارك لترث ذلك الميراث

من بينهم جميعاً ..

« كما آتمها على أبويك » كما آتم نعمته على جدك ...

« من قبل » من قبل وجودك يا يوسف ...

« إبراهيم » كما آتم نعمته تعالى الظاهرة والباطنة على إبراهيم ، فاصطفاه ، واجتباها ،

وآتاه ، وهداه ...

« وإسحاق » وكما آتم نعمته الظاهرة والباطنة على جدك إسحاق ...

« إن ربك عليم » بمن هو مستحق الاجتباء والاصطفاء ... هو أعلم حيث يجعل

رسالته ...

وقد هيأك لها يا يوسف ... وصنعك على عينه من أجل هذا ..

« حكيم » في صنعه ... يؤتي كل ذي فضل فضله .

اشعاعات

فيها اشعاعات علياً ...

يعقوب تندافع منه الأنوار ...

أنه نبي يتكلم ... انه أحد حاقيات السلسلة الأربع المقدسة ...
قال صلى الله عليه وسلم : « إن الكريم ، ابن الكريم ، ابن الكريم ، ابن الكريم ،
يوسف نبي الله ، ابن يعقوب نبي الله ، ابن إسحاق نبي الله ، ابن إبراهيم خليل الله »

نور ... من نور ... من نور ... من نور ...

وأى كرم بعد هذا ؟

سلسلة مقدسة ... كل منهم ورث النبوة عن الآخر ...

وتسلسلت فيهم تصديقا لقوله تعالى « وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب » ...

ورأى يعقوب تلك النبوة تتحقق في يوسف ...

فأحبه حبا شديدا ... حب نبي لنبي ...

وحين يتلاقى نوران ... يصبح انفصامهما عسيرا ...

ومن هنا كان البلاء من جنس الصفاء ...

يعقوب شديد الحب والتعلق بابنه ... الذى ورث منه النبوة وأنوارها ...

إذن يكون البلاء ... هو الفصل بين يوسف وأبيه أربعين عاما !!!

تأمل ... كيف يربى الله أنبياءه ... وأحب خلقه إليه ؟ !

ومن خلال رؤيا يوسف ... الطفل ... آانس يعقوب منها فارا ...

لقد رأى يوسف الكواكب والشمس والقمر ... له يسجدون ...

رأى الملائكة الأعلى يسجد له ... فما معنى هذا ؟

معناه أن هذا الطفل سيكون موضع ظهور صفات الله تعالى ... وصفاته كلها عليها ...

سيكون مجلى أسماء الله تعالى ... « وعلم آدم الأسماء كلها » ... سيكون هذا الطفل

كاملا ... مكتملا لغيره ... سيكون نبيا ...

وستسخر له إمكانيات الأرض ... بدليل سجود الكواكب والشمس والقمر له ...

ثم ماذا ؟ ثم علم يعقوب أن هذا الطفل سيؤتيه الله القدرة على تعبير الرؤى ...

على تأويل الأحاديث ... على معرفة ماسوف تؤول إليه تلك المنامات فى عالم الواقع ...

علم ذلك حين رأى طفلاً يقص عليه مثل تلك الرؤيا المحسكة غاية الأحكام ، فلم أن ذلك ليس إلا لنبي !

هنالك أدرك يعقوب ... أنها النبوة ... أن ابنه نبي ... جاء به الله ليُرث عنه الرسالة ، كما ورثها هو عن إسحاق وإبراهيم ...

ثم انظر إلى قول يعقوب لطفله « إن ربك عليم حكيم » ... لا تستغرب يا صغيري أن يختار ربك من دون إخوتك ... لأنه تعالى يعلم أن فيك امتيازاً خاصاً يؤهلك لذلك ، وهو تعالى دائماً حكيم يضع كل شيء في وضعه المناسب ...

ثم التعبير بـ « ربك » فيه ما فيه من الاحساس بنعمة الله عليه وعلى يوسف ... وأي نعمة وراء النبوة ؟

- ٧ -

لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلَّاسِئِلِينَ .

« لقد كان في يوسف وإخوته » لقد كان في قصتهم وحديثهم .
« آيات » دلائل على قدرته تعالى وحكمته في كل شيء .
« لالسائلين » لمن سأل عن نبئهم

أو : آيات على نبوته صلوات الله عليه ، لمن سأل عن نبئهم ، فأخبرهم بالصحة ، من غير تلق عن بشر ، أو أخذ عن كتاب .

قالوا : أي آيات معظمت ، لمن يسأل عن قصتهم ويعرفها .
« تدلهم أولاً : على أن الاصطفاء المحض أمر مخصوص بمشيئة الله تعالى ، لا يتعلق بسعي ساع ، ولا إرادة مرید ، فيعلمون مراتب الاستعدادات في الأزل .

« وثانياً : على أن من أراد الله به خيراً ، لم يمكن لأحد دفعه ، ومن عصمه الله لم يمكن لأحد رميه بسوء ، ولا قصده بشر ، فيقوى يقينهم وتوكلهم .

« وثالثا : على أن كيد الشيطان وإغواءه أمر لا يأمن منه أحد ، حتى الأنبياء ، فيكونون منه على حذر . وأقوى من ذلك كله أنها تطلعهم من طريق الفهم ، الذى هو الانتقال الذهنى ، على أحوالهم فى البداية والنهاية ، وما بينهما ، وكيفية سلوكهم إلى الله ، فتثير شوقهم واراتهم ، وتشحذ بصيرتهم ، وتقوى عزيمتهم »

إِذ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا
لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ .

« إذ قالوا ليوסף » إذ قال إخوته العشرة لأبيه ...

« وأخوه » وهو بنيامين شقيقه ، وأمها راحيل بنت لابان ، خال يعقوب .

« أحب إلى أبنائنا » أى هما أحب إلى والدنا جميعا . يحبها أكثر من أى منا .

« ونحن عصابة » والحال أنا جماعة أقوياء ، أحق بالحببة من صغيرين ، لا كفاية فيهما .

ونحن رجال أقوياء أشداء ، وجماعة كثيرة العدد ، نبلغ عشرة من الرجال ، أقدر على

خدمته ، والجد فى منفعة . فكيف يؤثر عليهم طفلين لا يقدران على شىء ؟

« إن أبانا لفي ضلال مبين » إن والدنا لفي بعد عن الصواب عظيم ، واضح ، لا يخفى

ضلاله على أحد !

اشعاعات

كان ليعقوب عشرة من الرجال الأشداء ...

ومن زوجه راحيل ، وبعد أكثر من أربعين عاما ، من العقم ، وُلد لراشيل يوسف ،

ومن وراثته بنيامين .

فاشدد الأمر على أولاده ... كيف يجب يعقوب يوسف هذا الذى جاء مؤخرا

أكثر منهم .. ثم كيف يجب هذا الأخير بنيامين ذلك الحب ؟

وكانت فتنة لهم ...

مصدرها هو امتياز يوسف من صفه ... فقد خلقه الله فيه ميراث النبوة كله من إبراهيم وإسحاق ويعقوب ... ورث عنهم صفوة نورها ، وجمال لألائها ... وجاء فية فوق ذنبت جمال أمه راشيل فقد كانت أجمل نساء زمانها ، وجمال جدته سارة زوج إبراهيم فقد كانت أحسن نساء زمانها ..

طفل اجتمع له الحسن من طرفيه ، حسن الباطن ، بما أودع فيه من أنوار النبوة ... وحسن الظاهر بما أودع فيه من جمال الخلقه ...

فكيف لايجبه أى إنسان يراه ..

ثم كيف بأبيه ... الذى يرى فيه علامات النبوة تتلألاً كاتقمر المنير ؟

أما أخيه الأصغر ... بنيامين ... فتلك طبيعة الآباء والأمهات ... أنهم يحبون أصغر أولادهم أكثر مما يحبون سائر أولادهم ...

قد يكون لأنهم آخر انتاجهم ... أو لأنهم أضعف الاولاد قدرة على نفع أنفسهم ..

أو هي غريزة طبيعية في الناس ..

فكان الأمر فتنة للمعصية .. للرجال العشرة الأشقاء ..

وبلاء لأبيهم شديد ...

اقتلوا يوسفَ أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجهه أيبكم وتكونوا
من بعده قوماً صالحين .

« اقتلوا يوسف » قال قائل منهم وهم يأمرون سرا فيما بينهم ... للخلاص من يوسف :
اقتلوا يوسف ...

« أو اطرحوه أرضاً » أو ألقوه في أرض مجهولة ، لا يعرفها أبوه ، ولا يمكن ليوسف أن يعرف طريق الخلاص منها ..

« يخل لكم وجه أبيكم » تخلص لكم محبة أبيكم ، ويقبل عليكم بكليته ، ويتفرغ عن الاشتغال بيوسف ، فيشتغل بكم .

« وتكونوا من بعده » وتكونوا من بعد الفراغ من قتله أو طرحه .

« قوما صالحين » تمتنع من بينكم هذه الفتنة التي حدثت في الأسرة منذ وجد فيها

هذا الطفل .

أى : تصلح دنياكم ، وتنظم أموركم بعده ، مخلو وجه أبيكم لكم .

اشعاعات

قالوا : لقد اجتمعوا على أمر عظيم من قطعة الرحم ، وعقوق الوالد ، وقلة الرأفة بالصغير ، الذى لا ذنب له ، وبالكبير الفانى ، ذى الحق والحرمه والفضل ، والده ، ليفرقوا بينه وبين ابنه على صغر سنه ، وحاجته إلى لطف والده ، وسكونه إليه .

وقال ابن كثير : اعلم أنه لم يقم دليل على نبوة إخوة يوسف . وظاهر السياق يدل

على خلاف ذلك .

« ومن الناس من يزعم أنهم أوحى إليهم بعد ذلك ، وفى هذا نظر . ويحتاج مدعى ذلك إلى دليل . ولم يذكروا سوى قوله تعالى : (قُولُوا ءَأَمْنَا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ) وهذا فيه احتمال ، لأن بطون بنى إسرائيل يقال لهم الأسباط ، كما يقال للعرب قبائل ، وللعجم شعوب . يذكر تعالى أنه أوحى إلى الأنبياء من أسباط بنى إسرائيل ، فذكرهم اجمالاً لأنهم كثيرون ، ولكن كل سبط من نسل رجل من إخوة يوسف . ولم يقم دليل على أعيان هؤلاء أنهم أوحى إليهم »

ما هذا ؟ ... هذا أمر جدير بالالتفات والتفكير ...

هل كان هؤلاء العشرة أنبياء أم كانوا ليسوا بأنبياء ؟

القطع ... أنهم ما كانوا وقتها أنبياء ، ولا كانوا بعدها أنبياء ...

البرهان الأول ... أنهم لو كانوا انبياء ... لتلاّأت فيهم أنوار النبوة ومخايلها من صفرهم كما تلاّأت في يوسف ... ولاستغنى أبوهم بما يرى فيهم من علاماتها عن حب يوسف ...

وإما كان يعقوب يراهم من النبوة صفرا ... يراهم بشرا ... مظالمين ... ليس فيهم من نور النبوة شيء ...

وكان الرجل ... ينتظر ذلك الطفل الذي يرث عنه النبوة بصفات ومقاماتها ... حتى كان يوسف ... فكان هو الوارث ... وتلاّأت فيه كل أنوار الميراث ... فكان فيه امتياز جده إبراهيم ، خليل الرحمن ، بكل ما في شخصية إبراهيم من بهاء وجمال وصفاء ...

وكان فيه امتياز إسحاق ... بكل ما في إسحاق من صفات العلم والمعرفة ... ثم كان فيه امتياز يعقوب نفسه ... فرأى فيه يعقوب تلك الصورة التي كان ينتظرها من أول يوم ...

فلم يعقوب ... أنه هو ...

هو هذا ... ليس غيره ... حامل الرسالة ... وكثر الإشعاع ...

أما هؤلاء العشرة ... فكانوا مجرد رجال ككل الرجال ...

قد يكون فيهم صفات ممتازة عن غيرهم من أبناء عصرهم ... ولكنه امتياز الأجسام

والعقول ...

وستان بين امتياز وامتياز ... ستان بين امتياز النبوة في علاها ... وامتياز الأبدان

مهما كان ...

البرهان الثاني ... أن اندفاعهم إلى مثل ذلك المؤتمر ... حيث يفكرون في اغتيال

طفل صغير ... وهم رجال أشداء ... فيه ما فيه من الفرائز الدنيا ، التي تؤكد أنهم كانوا

مظلمين .. وهذا ما كان يجب يوسف إلى أبيه ، ويزيده حبا كلما رأى منهم تلك التصرفات

المابطة ...

البرهان الثالث ... أن وصفهم أيهم بقولهم : إن أهبانا في ضلال مبين ... وتأكيدهم
لضلال الرجل ... وهو في أعلى علالي الهدى ... يدل على أنهم قليلو الادراك لمقام
أيهم ، ومقام النبوة ، وأنهم أبعد ما يكونون عن فقه النبوة .
البرهان الرابع ... أنهم يريدون تخلية وجه أيهم لهم ... وهم في استغناء عنه بحكم
كونهم رجال أشداء ... لمجرد الغيرة ... وتلك مشاعر تكون ممن ليسوا بأنبياء ...
ما كانوا أنبياء ... قبل يوسف ولا بعده ...
كانوا بشرا ... لا يرى فيهم يعقوب شيئا من لآلاء النبوة ونورها ...
فلما جاءه يوسف ... بعد انتظار طويل ... اشتد حبه له ... حب نبي لنبي ...
حب من وجد شيئا قطع عمره كله يبحث عنه ... حتى إذا أشرف على الموت ... وجد
ذلك الشيء فجأة !

قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْهَ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ يَا مَعْزُتَهُ
بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ .

- « قال قائل منهم » صريحا ، ورضى به الباقر .
- « لا تقتلوا يوسف » لا تقدموا على قتل يوسف .
- « وألقوه في غيابة الجب » واقدفوه في أعماق البئر .
- والجب : البئر التي لا حجارة فيها .

اقدفوه في أعماق بئر من تلك الآبار الجافة المنتشرة في الصحراء ، والتي ليس فيها
حجارة يستطيع أن يصعد عليها ويخرج منه .

« يلتقطه بعض السيارة » يلتقطه بعض الأقوام الذين يسرون في الأرض ، فيتملكه
فلا يمكنه الرجوع إلى أبيه ، فيحصل مطلوبكم من غير ارتكاب جريمة القتل .

« إن كنتم فاعلين » إن كنتم مصرين على أن تفرقوا بينه وبين أبيه .
و قد روى أن القائل هو أخوهم الأكبر ، بكر يعقوب (رؤوبين)

اشعاعات

كذلك ... يتلى الله ... يعقوب ... ويتلى يوسف ...
وتلك ضريبة ... مفروضة ... على كل ممتاز ...
فكيف بالأنبياء ... وهم أرق ما استطاع من الامتياز ؟
لابد أن يكون بلاؤهم شديدا ... شديدا ... شديدا ...
وفي هذه ... يتلى يعقوب بلاء ذا عديد من الشعب ...
فالقوم يعمرون أبنائهم ... والمؤتمر به ابنه ... وحيه ...
والمصيبة مزدوجة ... والعقدة عقدتين .
وعانى يعقوب التجربة في أشق صورها ...
وكان قدرا مقدورا !!

-- ١١ --

قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ .

« قالوا » قال بعضهم ، أو قالوا جميعا .

« يا أبانا » يا والدنا .

« مالك لا تأمنا على يوسف » مالك تخافنا على يوسف ؟ !

لماذا تخشى عليه منا دائما ؟

« وإنا له لناصرون » ونحن نريد له الخير ، ونحبه ، ونشفق عليه ؟ !

أرادوا بذلك استنزاله عن عادته في حفظه منهم .

وفيه دليل على أنه أحسن منهم بما أوجب أن لا يأمنهم عليه

اشعاعات

لقد كان يعقوب - عليه السلام - يحس أن هؤلاء قوم لا يؤتمنون على يوسف ...
وأنهم لا يتورعون أن يوقعوا به شرا ...
ويشير إلى ذلك قولهم « مالك لا تأمنا على يوسف » . مالنا نراك هكذا دائما ...
تحشى على يوسف منا ؟
هناك إذا صراع خفي ... الأب يخفي عن أبنائه إحساسه الخفي نحوهم .. وهم يضيعون
بهذا الشعور من أيهم ...

أرْسِلُهُ مَعْنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لِحَافِظُونَ .

« أرسله معنا غدا » دعه يخرج معنا غدا حين نخرج للرعى في الصحراء .
« يرتع » يأكل ويشرب ، ويسعى وينشط ، حيث يكون المياه والزرع .
« يلعب » ويلعب كيف شاء ، كما يلعب سائر الصبيان .
فيكسبه ذلك نشاطا وحيوية وبهجة وسرورا ...
« وإنا له لحافظون » من أي مكروه ، فلا تخف عليه .

قَالَ إِنِّي لَيَحْزَنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ
عَنْهُ غَافِلُونَ .

« قال : إني ليحزني » إنه ليحزني أشد الحزن :
« أن تذهبوا به » أن تأخذوه معكم وتذهبوا به بعيدا عني ، لأنني لا أصبر على فراقه
« وأخاف أن يأكله الذئب » وأخاف أن تغفلوا عنه ، فيعدو عليه ذئب من ذئاب
الصحراء فيأكله .

« وأتم عنه غافلون » إن زعمتم أنكم له حافظون ، فحفظكم إنما يكون ما دمت ناظرين إليه ، لكن لا يخلو الإنسان عن الغفلة ، فأخاف غفلتكم عنه .
قالوا : « كان أشغل الأمرين لقلبه خوف الذئب عليه ، لأنه مظنة هلاكه .
« وأما حزنه لمفارقتة ربما يرتع ويلعب ويعود إليه سالماً عما قليل ، فأمر سهل .
« فكأنهم لم يشتغلوا إلا بتأمينه وتطمينه من أشد الأمرين عليه »

قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا نَحْسِرُونَ .

« قالوا » قال بعضهم رداً على أبيهم .
« نئن أكله الذئب ونحن عصابة » ونحن جماعة أشداء أقوياء ، يمكننا أن نزعجه من الذئب ، وأن نمنع الذئب عنه .
« إنا إذا نحسرون » إنا إذا عاجزون ... لا نساوى شيئاً ، إذا لم نستطع أن ندفع الذئب عن طفل ونحن على هذه الحال من الكثرة والقوة !

فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَن يُجْعَلُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ .

« فلما ذهبوا به » أى بعد مراجعة أبيهم فى شأنه .
« واجتمعوا » واتفق رأيهم جميعاً .
« أن يجعلوه فى غيابة الجب » أن يلقوه فى أعماق البئر .
فيه تعظيم لما أزمعوا ، إذ أخذوه ليكرموه ، ويدخلوا السرور على أبيه ، ومكروا ما مكروا .

« وأوحينا إليه لتنبئهم بأمرهم هذا » وأعلمناه بوحينا إليه ... بأنك ستخلص مما أنت فيه ، وتحدثهم بما فعلوا بك ...

وذلك تبشيراً له .

« وهم لا يشعرون » لتحدثهم بذلك وهم لا يشعرون أنك يوسف ، لعلو شأنك . .
كما سيأتى فى قوله تعالى (فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ) .
أو : أوحينا إليه ذلك وهم لا يشعرون بما أوحيناها إليه ، إيناساً له وإزالة للوحشة .
روى أنهم نزعوا قميصه الملون الذى عليه ، وأخذوه ، وطرحوه فى البئر ، وكانت
فارغة لا ماء بها ، وجلسوا بعد ، يأكلون ويلهون إلى المساء !!

اشعاعات

تقد بدأت النبوة ...

« وأوحينا إليه لتبشئهم بأمرهم هذا »

كيف كان ذلك الوحي ؟

هل كان عن طريق جبريل عليه السلام ... أم كان مباشرة من الله إليه ...

أم كان عن طريق ملك من الملائكة ؟ !

علم ذلك عند الله .. وإنما المهم أن الإيحاء قد حدث ...

أن النبوة قد بدأت ...

الإيحاء إلى طفل ... كما أوحى تعالى إلى عيسى عليه السلام وهو فى المهد صبياً !!

عجب كله فعل الله تعالى !

طفل ، ... فى مازق ... لا يدري شيئاً ... يقذفه عشرة رجال ... أشداء ... إلى بئر

مهلكة ... عميقة ... لا ماء فيها ... ولا أمل فى الخروج منها . .

فى هذه الظلمات المترابكة .. التى أحاطت بالطفل البريء .. الضعيف ... العاجز ..

الذى لا يستطيع أن يفعل شيئاً لنفسه ...

فى هذا كله ... كان الإشعاع ... كان الوحي من السماء ...

كان الله ... هناك ... مع يوسف .

« وأوحينا » ١١٢

نحن كنا معه ... لم يكن وحده ... إنه لي ... وأنا له ...

وأوحينا ١٢

إلى يوسف ١٢

إلى حبيبتنا .. الذي أعددناه لنا ... يوسف ١١

لتنبئهم ... سوف نخبرهم يا يوسف مستقبلا .

بأمرهم هذا ... بهذا الأمر الذي فعلوا بك ...

كيف كان شعور ذلك الطفل ، وهو يعاني تجربة الوحي إليه في تلك السن ؟
ذلك أمر لا يعلمه إلا الله ... فتلك مقامات تكون بين الله وأنبيائه ... هم الذين

يدر كونها ..

وإما الذي يصل إليه ادراكنا ... أن يوسف .. قد فقه ... واطمأن ... حين أوحى

الله إليه .

ثم ماذا ؟

ثم عجائب « وهم لا يشعرون » ...

لم يشعر اخوته أنه أوحى إليه في تلك الساعة الرهيبة ... ساعة القوم في أعماق البئر ...

وإما ظنوا لجهلهم أنه هالك لا محالة ... وأنه وحده يمانى آلام الفناء ...

ولم يشعر اخوته ... حين دخلوا عليه ... وهو في مقام الملك والعزة ... أنه هو

يوسف ... استبعادا أن يكون هذا الملك ليوسف !!

هم جاهلون ... في الأول ... وفي الآخر ...

ولقد قالها لهم يوسف « إذ أنتم جاهلون » ...

إنه الظلام ... الظلام حين يغشي القلوب ... فتعنى ... ولا تبصر ما وراء المادة !!

وَجَاءُوا آبَاءَهُمْ عِشَاءَ يَبْكُونَ .

« وجاءوا آباءهم » وحضروا جميعا عند أبيهم يعقوب .

« عشاء » مساء ، بعد دخول الظلمة ، ليلا .

« يبكون » يفتعلون البكاء .

بيان لكرمهم بأبيهم ، بطريق الاعتذار المومح موته ، القاطع عنه متمناه ، لتقطع محبته عنه ، ولو بعد حين ، فيرجع إليهم بالحب الكلى . وقدموا عشاء لكونه وقت الظلمة المانعة

من احتشامه في الاعتذار الكذب ، ومن تفرسه من وجوههم الكذب .

وأوهوا ببكائهم وتفجعهم عليه ، إفراط محبتهم له المانعة من الجرأة عليه .

قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ

الذئبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ .

« قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق » أى في العدو والرمى بالنصل .

إنا ذهبنا نلعب ونسابق .

« وتركنا يوسف عند متاعنا » عند ثيابنا ومهماتنا ليحرسها .

« فأكله الذئب » فجاء الذئب وأكله كما حذرت .

« وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين » ونحن نعلم أنك لا تصدقنا في هذه الحالة ، ولو كنا

عندك صادقين ، فكيف وأنت تتهمنا ، وغير واثق بقولنا ؟

اشعاعات

قالوا : استفيد من الآية أحكام :

أن بكاء المرء لا يدل على صدقه ، لاحتمال أن يكون تصنعا ،

مشروعية المسابقة ، وفيه من الطب رياضة النفس والدواب ، وتمارين الأعضاء على التصرف .

وروى عن عائشة قالت . سأبت رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين ، فسبته في المرة الأولى ، فلما بدنت سببني ، وقال : هذه بتلك . [ابن ماجه]

وفي الحديث : لیس من اللهو ثلاثة : ملاعبة الرجل أهله ، وتأديبه فرسه ، ورميه بقوسه . [أبو داود]

وَجَاءُوا عَلَى قَيْصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ
أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ .

« وجاءوا على قيصه بدم كذب » بيان لما تأمروا عليه من المكيدة ، وهو أنهم أخذوا قيصه الملون ، وغمسوه في دم معز كانوا ذبحوه .

« قال : بل سوات لكم أنفسكم أمرا » بل الحقيقة أن نفوسكم سوغت لكم أمرا سيئا ، من تضييب يوسف ، وتفريقه عنى ، والاعتذار الكاذب .

قالوا : وقواه على اتهامهم ، أنهم ادعوا الوجه الخالص الذى خاف يعقوب ، عليه السلام ، هلاكه بسببه أولا ، وهو أكل الذئب ، فاتهمهم أن يكونوا تلقفوا العذر من قوله لهم : (وأخاف أن يأكله الذئب) .

و (التسويل) تزيين النفس للمرء ما يحرص عليه ، وتصوير القبيح بصورة الحسن .

« فصبر » فشأنى صبر .

سوف أصبر على هذا البلاء .

والصبر قوة للنفس على احتمال الآلام كالمصائب إذا عرضت .

« جميل » هو مالا شكوى فيه إلى الخلق ولا جزع ، رضا بقضاء الله ، ووقوفه مع مقتضى

أى : سوف أصبر على تلك المصيبة التي لفتتموها صبرا لا أشكو فيه إلى أحد .
« والله المستعان على ماتصفون » والله المطلوب منه العون على احتمال ماتصفون من هلاك يوسف .

وقيل : المعنى : على اظهار حال ماتصفون ، وبيان كونه كذبا ، وإظهار سلامة يوسف ، فإنه علم في الكذب .

وفي قوله : (والله المستعان) اعتراف بأن تلبسه بالصبر لا يكون إلا بمعونه تعالى .
قالوا : لأن الدواعى النفسانية تدعوه إلى إظهار الجزع ، وهى قوية .
« والدواعى الروحانية تدعوه إلى الصبر والرضا .
« فكأنهما فى تحارب وتجادل ، فما لم تحصل إعانتة تعالى لم تحصل الغلبة » .

اشعاعات

وقعت المصيبة ... وبدأت التجربة التي كتبت على يوسف وأبيه ...
وجاء الكذابون إلى أيهم يتصنعون له بكاء ... ويلفقون له أعدارا ...
وأجمعوا على أنهم صادقين ... فماذا كان من يعقوب ؟
كذبهم جميعا ... بل سولت لكم أنفسكم أمرا ...
ورماهم جميعا بأنهم اتفقوا على هذه المؤامرة ... حقدا على يوسف ...
ثم تلالأت فيه أنوار النبوة ... فحجزته عن التفجع وإظهار الحزن ...
فأعلن ... فصبر جميل ... إني سوف أصبر صبيرا جميلا ...
سوف لا أشكر إلى أحد ... سوف آوى إلى الله في مصيبتى ...
ثم ماذا ؟ ... ثم تلالأت أنوار النبوة مرة أخرى ... فقال ... والله المستعان ...
ومنه تعالى أطاب العون على تحمل تلك المصيبة ...
على ماتصفون ؟

أطلب العون على تحمل ما تصفون من كيفية هلاك يوسف ...

العون على تحمل تصور منظره والذئب يقطعه ويأكله ويمضغه بأسنانه ، وينهشه
بأنيا به !!!

وقد كنتُ لا أحتمل أن يمسه النسيم !!
مصيبة كبرى ... الطفل المحبوب عند أبيه ... لأنه مستودع النبوة ... ومجلى
النور ...

يفعل به الذئب الأفاعيل، ويمزقه تمزيقا ... فتتبدد في لحظة كل آمال يعقوب في ابنه ...
وكل ما كان يرجوه منه ...

مصيبة لها وقع الصاعقة على النفس ... إلا أن يعقوب ... تجلد ... واستقبالها
في صمت ...

وجعل الألم يلويه ... ويمتصره ... ويمزق فؤاده ...
فلا يزيد على أن يقول : فصبر جميل ... والله المستعان ...
وصبر يعقوب في مصيبتيه صبيرا جميلا ... فلم يشك ما حل به إلى أحد ...
وإنما جعل يبت إلى الله ...
وكما اشتد به عصف الحزن ... اشتد التجاؤء إلى الله ... وطاب العون منه تعالى على
تحمل مصيبتيه ...

والله المستعان ؟

اللهم أعنى على تحمل ما ابتليتني به عونا من عندك ...

وتلك مقامات الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ... حين تقع بهم المصائب ...
صبر جميل ... والله المستعان ... لا يشكون إلى أحد ... ويستعينون بالله ... انه مقام
التوحيد ... الأعلى ...

انهم لا يرون المصيبة من أحد ... وإنما يرونها شيئا مسهم بإذن الله ، وإنما الخلق أسباب
ليس إلا ... فهم لا يشكون أحدا من الخلق ...

ولا يرون أن أحدا يستطيع أن يدفع عنهم المصيبة إلا بإذن الله .. فمن أجل ذلك لا يشكون إلى أحد ...

نم ماذا؟

نم مقامهم ... لأنهم يستعينون بالله وحده في حمل آلامهم ... وتجرع مرارتها ... ليقينهم ان الله وحده هو القادر على امدادهم بتلك المعونة ...

ما هذا؟

هؤلاء هم الأنبياء ... فبينما هم أشد الناس بلاء ...

تراهم أشد الناس علوا في تحمل البلاء ... وارفهم قدرا في الالتجاء إلى الله !!!
لماذا وقعت تلك المصيبة بيعقوب؟

لأنها قهرت إلهي ... قهره قهرا إلى ربه ... فطوى له بساط القرب من ربه ...
أعطاه ولدا ، . أجمل ولد ...

ولألا له فيه اشعاع النبوة ... فرأى فيه نورها ...

فلما أيقن يعقوب أن الله قد آتاه وأعطاه ...

وفرح بنعمة الله عليه ...

واشدد حبه لتلك النعمة ... وصارت له قرّة عين ... لا يطيق فراقها ...

سلبها نجاة منه ... على أيدي سائر أولاده ...

لتأخذ المصيبة عليه عقله ... فلا يجد أمامه إلا أن يفر فرارا إلى ربه ...

نم جعل الجناة هم أبناءه ... ليشعر نحوهم يعقوب بالمرارة ... فلا يجد في نفسه رغبة في الشكوى إليهم ... لأنهم هم الجناة ...

ولا يجد فيهم عوضا عما فقد ... بل يراهم سببا دائما لتكده وهمه . .

وبذلك تم عزله تماما عن نفسه التي كانت تحب يوسف ...

وعن أولاده جميعا ... أما يوسف فقد ذهب ... وأما سائر الأولاد فقد تحولوا إلى

أعداء ...

فلم يبق أمامه إلا الباب الأوحى ...
إنه القهر والالهى ... يسلمه تعالى على أحبابه ... ليلجئهم إليه الجاء ...
إنها عملية صعق السوى صمقا .
وذلك الأغيار دكا ... فلا يبقى إلا وجه الله أمام المبتلى !!!
وهكذا ذهب كل شيء كان ليعقوب ... ذهبت الأغيار ...
وكان عليه أن يسير إلى الله سريعا .
وبدأ قلب يعقوب يموج بأموح الحزن والأسى ...
وبدأ أجواره يصاعد إلى الله ...
وكما أحس ثقل المصيبة ... رفع يديه إليه تعالى : اعنى يارب ... اعنى على حمل هذا
البلاء ...

وهكذا يصنع الله تعالى أنبياءه ... يصطفهم ... ثم يبتليهم ... ليختبهم لنفسه ...
ثم ماذا ؟

قالوا : فى الآية من القوائد ...

أن الجاه يدعو إلى الحسد ، كالمال . وهو يمنع من المحبة الأصلية من القرابة ونحوها ،
بل يجعل عداوتهم أشد من عداوة الأجانب .

وأن الحسد يدعو إلى المسكر بالمسود ، وبمن يراعيه .

وأنه إنما يكون برؤية الماكر نفسه أكل عقلا من المكور ...

وأن الحاسد إذا ادعى النصح والحفظ والمحبة ، بل أظهره فعلا ، لم يعتمد عليه .

وكذا من أظهر الأمانة قولاً وفعلاً يفعل الخيانة .

وأن الاذلال والإعزاز بيد الله ، لا الخلق .

وأن من طلب مراده بمعصية الله بعد عنه .

وأن الخوف من الخلق يورث البلاء .

وأن الإنسان ، وإن كان نبيا ، يخلق أولا على طبع البشرية .

وأن اتباع الشهوات يورث الحزن الطويل .
وأن القدر كائن .

وأن الحذر لا يبنى من القدر .

وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا
غَلَامٌ وَأَسْرُوهُ بِيضَاعَةٌ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ .

« وجاءت سيارة » وجاءت قافلة .

وجاء قوم يسرون .

« فأرسلوا واردهم » فبعثوا رجلا يرد لهم الماء ويستقي لهم .

« فأدلى دلوه » فأرسل دلوه في الجب ليملاها ، فتعلق بها يوسف للخروج ، فلما رآه

الرجل ...

« قال يا بشرى » وقرىء (يا بشرى) ابشروا ...

« هذا غلام » هذا صغير ... جميل ... وجدته نجاة يتعلق بالدلو ...

« وأسروه » وأخفوه .

« بضاعه » وجعلوه متاعا للتجارة .

وجعلوا يفكرون أنهم سوف يبيعونه ، ويربحون من وراء ذلك أموالا .
روى أنهم كانوا تجارا من بلدة مدين . فلما أصعد واردهم يوسف وضموه إلى بضاعتهم
باعوه لقافلة صرت بهم سائرة إلى مصر بعشرين درهما من الفضة ، ثم أتوا يوسف إلى مصر .

« والله عليم بما يعملون » والله وحده هو الذى يعلم ماذا يترتب على ما يعملون .

هم ينظرون إلى الموضوع نظرة التجار ... الذين يبحثون عن المال ليس إلا ...

والله يريد من وراء ذلك أن يصل يوسف إلى مصر ... ليتحقق فيها ما يريد له ...

وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ .

« وشروه بثمان بخص » وباعوه بثمان حقير ...

لأنه لقيط ، لم يدفعوا فيه شيئاً ... ولأنه لا يملك ، إذ لو ملك استوفوا ثمنه .

« دراهم معدودة » كناية عن القليل ، لأن الكثير يوزن عندهم .

أى باعوه بثمان حقير ... دراهم قليلة ، معدودة ، لا توزن ، معدودة ، عشرين درهما

من الفضة .

« وكانوا فيه من الزاهدين » وكان الذين التقطوه، نى يوسف من الزاهدين، من الراغبين

عنه ...

كانوا يودون التخلص منه بأى ثمن !!

اشعاعات

قالوا : من الفوائد أن الفرج قد يحصل من حيث لا يحسب . وأنه ينتظر للشدة .

وأن من خرج لطلب شيء قد يجد ما لم يكن في خاطره .

وأن الشيء الخطير قد يعرض فيه ما يهوت به .

وأن البشرى قد يعقبها الحزن ، والعزة قد يعقبها الذلة ، وبالعكس .

ثم ماذا ؟

فيها أن يوسف كان صغيراً جداً وقتها إذ لو كان يدرك شيئاً لأخبر أهل القافلة عن

أهله .. ولردوه إلى يعقوب ... ولكن معنى ذلك أنه لا يستطيع أن يرشد عن أبيه ... وعن

أخوته ... وعمما فعل به ...

ويرجح أنه كان وقتئذ لا يجاوز ثلاث سنين على الأكثر ... لأن الطفل بعد هذه

السن يستطيع إذا ضل عن أبويه أن يرشد عنهما ..

ويشير إلى ذلك قول الرجل وهو يصيح « يا بشرى ... هذا غلام » ... أى هذا صغير .

وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْرَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا
أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ
تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَابٍ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ .

« وقال الذي اشتراه من مصر » روى أن القافلة لما نزلت مصر اشتراه منهم رئيس
الشرطة عند ملك مصر ، أى وزير الداخلية ، فأقام فى بيت سيده ، والعناية الربانية تحفه ،
والنجاح يحوطه .

فكان يرى سيده أن كل ما يأتى به ينجحه الله تعالى على يده ، فنال حظوة لديه ،
وأقامه قيماً على كل ما يملكه ، وضاعف تعالى الخير فى زرعه وماله وثروته .

« لامرأته » لزوجته .

وكانا عاقرين ... لا يولد لهما ، ففرحا به فرحا شديدا ...

« أكرمى مثواه » اجعلى مقامه حسناً مرضياً .

و (المثوى) محل الثواء ، وهو الإقامة .

أى : أكرميه على أبلغ وجه وأتمه .

« عسى أن ينفعنا » فإنى أشعر نحوه بحب شديد ، وأتوسم فيه خيراً كثيراً سوف

يعود علينا .

« أو نتخذة ولدا » أو نتبناه .. عوضاً عما نحن فيه من العقم ، والحرمان من النورية ..

« وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض » كما جعلنا له مقاما كريما فى منزل العزيز

جعلنا له تصرفا بالأمر والتهى ، ومكانة رفيعة فى أرض مصر ، ووجاهة فى أهلها ، ومحبة

فى قلوبهم .

« ولنعلمه من تأويل الأحاديث » ليكون عاقبة ذلك تعليمه ، تأويل الرؤيا التي ستقع من الملك ، وتفضى بيوسف إلى الرياسة العظمى .

« والله غالب على أمره » والله لا يُمنع عما يشاء ، ولا يُنازع فيما يريد .

أو : والله غالب على أمر يوسف ، أريد به من الفتنة ما أريد غير مرة ، فلم يكن إلا ما أراد الله له من العاقبة الحميدة .

« ولكن أكثر الناس لا يعلمون » لا يدركون أن الأمر كله بيده تعالى ، فيأتون ويدررون زعما أن لهم شيئا من الأمر .

أو : يجهلون لطائف صنعه ، وخفايا لطفه .

اشعاعات

فيها أنوار ... وألطف ... ورحمات ... ونواميس ...

فن إشعاعاتها أن الذي اشتراه من مصر ... كان ذا سلطان ... وزيراً للداخلية ..
بيده السلطة العليا في الأمن في البلاد .

ومثل ذلك الرجل ... يكون الذي في بيته ذا أمر ونهى كذلك ... تبعاً لسلطات سيده ..

وهذا تمهيد ... وتدريب ليوسف ... على مباشرة السلطات ومهام المناصب ...
في المستقبل ...

وكان ذلك الرجل عقيماً ... وكانت زوجته عاقراً ... فهناك استحالة أن يكون لهما
ذرية ... ومثل هؤلاء يكون شوقهم إلى الطفل شديداً ...
وهذا هو ما حدث عندما شاهده العزيز لأول مرة .. فقد أحبه حبا شديداً ... وتعلق
به قلبه .

ومن ذا الذي لا يحب طفلاً .. على صورة يوسف .. فيه لألاء النبوة ظاهراً وباطناً ؟
فموضه الله تعالى بحب أبيه ... حب العزيز ...

وهكذا ... قطعه من هناك ... ليصله هنا ... إنه هو البر الرحيم !!
ثم ماذا؟ ... ثم هذه ... امرأة العزيز ... ما إن رآته ... حتى جنت به حبا ...
وشغفها حبا ...

وما لها لا تحب طفلا لا يوجد على وجه الأرض مثل جماله ... ولا أرقى من صفاته؟
أحبته بغيرزة الأمومة المحرومة من الطفولة إلى الأبد ...
وأحبته بغيرزة الأنثى التي تدرك بالاشعور امتياز الذكر الذي أمامها حين تحتاجه
بعينها !!

وأحبته لجرد أنه طفل رائع الجمال حلو التقاطيع ... بارع القسبات .. في نظراته قوة
خارقة ... أعدها الله لتسود على أهل مضر جميعا ...

فرأت فيه الطفل الذي كانت تمنى !!
وهكذا ... عوضاً عن أمه التي فقدت ... أبدله الله أما نحنونا ... وقلبا شفوفا ..
قطعه هناك ... ووصله هنا ... إنه هو الودود الرحيم !

ثم ماذا؟

ثم انظر إلى تعبير العزيز « أكرمي مثواه » ..
من الذي دفع العزيز أن يقول هذا الكلام؟

إنه الله ... هو الذي حرك قلب العزيز نحو يوسف ... وجعله يحس أن هذا طفل
غير الأطفال جميعا ... إنه شيء آخر ... شيء ممتاز ... يتمنى كل إنسان أن يكون له
ولدا ...

ونفس الشعور كان عند امرأته ... تلقتة بفرحة لا تعدلها فرحة ...

تماماً كما صنع الله تعالى بموسى ..

« وَأُنْقِيتْ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي » ... كما أنقذ الله تعالى محبة على الطفل موسى .. جعلت

امرأة فرعون تقول « ... مَرَّةً عَيْنٍ لِي وَلكِ ، لا تقتلوه ، عسى أن ينفعنا ، أو نتَّخِذَهُ

ولداً ... »

ألقى الله تعالى محبة على يوسف ... فما رأته امرأة العزيز ... حتى وقع من قلبها موقماً عظيماً ...

أرأيت ؟ ... كما صنع بالطفل موسى ... صنع بالطفل يوسف !!
ناموس واحد ... يسرى في أنبياء الله تعالى !!!
لقد كان يوسف وقتها لم يبلغ الثالثة من عمره ...
وكان موسى وقتها رضيعاً ... ولد لساعات قليلة ...
هذا يدفع إلى امرأة عاقر ... زوجة الملك ...
وهذا يدفع إلى امرأة عاقر ... زوجة العزيز ...
فماذا تفسر ذلك ؟

إلا أن يكون الصانع واحداً ... له ناموس واحد ... لا يتغير !!
وهكذا ... مكن الله ليوسف في الأرض ... حين جعله ذا تأثير خارق على قلب وزير
الداخلية ... وقلب زوجة وزير الداخلية ... ومتى هيمن يوسف على قلبيهما فقد هيمن على
عقولهما .. ومتى هيمن على عقولهما فقد هيمن على ما تحت يد الوزير من سلطات !

تمكين باطن ... يؤدي إلى تمكين ظاهر ...

وكذلك مكنا ليوسف من قلبيهما ... فسكنا له بذلك في الأرض !!

فانظر إلى عجائب صنعه تعالى !!

ثم ماذا ؟ ... أو ماعلاقة تعليمه تأويل الأحاديث ... بهذا الذي حدث ليوسف ؟
قد يبدو ألا علاقة ... ولكن هناك علاقة ... بعيدة ... عميقة ...

أن التمهيد ليوسف في قصر وزير الداخلية ... وإشرافه على شئون الوزير الخاصة ...
يعطيه الفرصة ليتعرف على شخصيات مصر ... ليشتهر أمره بينهم ... ويزدادوا له حبا ..
ويزدادوا له تعظيماً ...

وهذا سوف يكون له من الآثار البعيدة بعد ذلك ماله ...

حتى إذا رأى الملك رؤياه ... وحاروا فيها جميعاً ... وقع اختيارهم على يوسف ...
ذلك المشهور بينهم جميعاً ... ليؤول الملك رؤياه ...

فيزداد شهرة على شهرة ... تدفع الملك أن يختاره ليكون رئيساً للوزراء !!
ثم ماذا ؟

ثم ذلك الناموس الرهيب ... « والله غالب على أمره » ... والله غاب أمره ... نافذ
حكمه ... إرادته هي الغالبة الغالبة ... دائماً ... وأبداً ... لا يكون إلا ما يريد ...
هذا هو الحق ... « ولكن أكثر الناس لا يعلمون » ... وهذا هو المؤلف من
الأمر !!

يتوهم الناس أن لهم شأناً ... ولا شأن لهم في الحقيقة ...

أو أن لهم إرادة فعالة ... لا يمنعها شيء ...

والحقيقة العميقة جدا جدا ...

أن الناس لهم إرادة ... منحهم الله إرادة حرة ... يفعلون ما يشاءون ...

ولكن إرادة الله هي الغالبة .. على تلك الإرادات جميعاً ...

إذا شاءت سمحت لها أن تمضى ... وإذا شاءت لم تسمح ...

« وما تشاءون إلا أن يشاء الله » ...

ولعل هذا هو سر قوله « والله غالب على أمره » ...

لم يقل « والله نافذ أمره » وإنما « غالب » ... إشارة إلى أن هناك شيئاً قد غلب

على أمره ...

هناك الناس جميعاً ... لهم إرادات حرة ...

ولكنها إذا تسلطت عليها إرادة الله غُلبت هناك ... ونفذت فيها كما تشاء ...

وهذا الناموس ... يكشف الغطاء عن ذلك الأمر المشكل الذي حير كثيراً من

الناس ...

إنها نظرية السلطة العليا ... تبطل السلطة الدنيا ...

أنت أيها الإنسان لك إرادة ؟ ... نعم ... واسكن هناك إرادة عظمى ... لها أن
تلقى إرادتك في أى وقت ...

منحك هو إرادة حرة ... والذي منح له أن يسلب في أى وقت ما منح ...

- ٢٢ -

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ مَا تَقِينَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ .

« ولما بلغ أشده » ولما بلغ يوسف زمان اشتداد جسمه وقوته .

ولما اكتملت رجولته ، واكتمل عقله .

قالوا : العرب تقول : بلغ فلان أشده ، إذا انتهى منتهاه في شبابه وقوته قبل أن يأخذ

في القضان .

« آتيناها حكما » آتيناها من لدنا حكما بين الناس ... أعطيناها رياسة وعلوا بالحق ...

« وعلما » وعلما من لدنا ... آتيناها علما عظيما ... علوم النبوة ... وعلوم الملك

وسياسة الشعوب ... وحسن تصرف مقدرات البلاد ...

وفي تكبير الحكم والعلم .. إشارة إلى عظمة ذلك الملك ، وعظمة ذلك العلم ...

« وكذلك نجزي المحسنين » ومثل هذا الجزاء العظيم ... نكافيء دائما الذين أحسنوا

في حياتهم الدنيا ... الذين أجهوا آئينا ... وأرادوا وجهنا ...

اشعاعات

أفي تلك الآية اشعاع ؟!

بل اشعاعات ... بل اشعاعات الاشعاعات !

تكاد من نورها ... تقول : دعوني ؟!

فيها ناموس عظيم ... أوجبه الله تعالى على نفسه ... « وكذلك نجزي المحسنين » ..

ناموس لا يتبدل ... كل من أحسن في حياته ... كل من أخلص لله قلبه ... كان حتماً
أن يؤتبه الله حكماً وعلماً من لدنه ...
ذلك أن القلب هو جهاز الاستقبال للإذاعات الالهية ... إن صح ذلك التعبير ...
صفات الله تعالى ... فعالة دائماً ... منطلقة في الوجود دائماً ...
وقلوب الخلق هي الأجهزة التي أعدها الله تعالى لاستقبال آثار تلك الصفات ...
فن أحسن ... فن أخلص قلبه لله ... أى أدار قلبه لله ... أى فتح قلبه لاستقبال الإذاعة
الالهية ... لاستقبال الارسال الالهى ...

التقط قلبه تلك الموجات الالهية المنتشرة في الكون كله !!

ما هذا ؟

هذا اشعاع باهر ...

إن القلوب خلقها الله له ... له وحده ... أجهزة مخصصة لاستقبال موجات رحمته
التي يرسلها في ثنايا الكون كله ...

ففى خلصت له ... وتخصصت له ... استقبلت فوراً تلك الموجات ... موجات الرحمة
والعلم ... والرضى ... والأنس ... والخير ...

أى : آتيناه حكماً وعلماً ...

عجائب والله عجائب !!

كما تدير مفتاح التليفزيون على محطة ما ... فتكون إذاعة تلك المحطة ...

كذلك هذه القلوب ... لها مفتاح ... هو الاحسان ... هو الاخلاص ... هو التوجه
المباشر إلى الله ... هو إرادة وجه الله ... هو أن لا يكون فيها مكان لغيره سبحانه ...

ومتى أدت ذلك المفتاح ... كانت الإذاعة على الفور ... تدفقت الموجات الالهية إلى
قلبك تدفقاً مباشراً ...

بل تلك الموجات أرقى وأرقى ... وأعلى وأعلى ... وله المثل الأعلى ...

وَرَاوَدَتْهُ آتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ .

« وراودته » وطلبت منه أن يواقعها بشق أنواع المطالبة والمخادعة .

« التي هو في بيتها » المرأة التي يعيش يوسف في قصرها .

« عن نفسه » أي خادعته ، ولاطفته ، تستميله إليها ... وتدفعه إلى ما تريد منه

أن يفعل .

« وغلقت الأبواب » وأحكمت إغلاق الأبواب . لتحقيق بذلك خلوة تامة بيوسف .

« وقالت » وقالت ليوسف .

« هيت لك » تعال ...

« قال » قال يوسف .

« معاذ الله » أعوذ بالله معاذاً مما تدعيني إليه ، إنه زنى وخيانة فيما أوّمت عليه ،

وضرأ لمن توقع النفع ، وإساءة إلى من أحسن إلى !!

« إنه ربي » إنه الله ربي ...

« أحسن مَثْوَايَ » أحسن مقامي ، وأكرمني غاية الإكرام ... فكيف أقابل إحسانه

إلى ، بالإساءة ، والمعصية ؟

أو : إن الشأن الخطير هذا ، وهو ربي ، أي سيدي العزيز ، أحسن مَثْوَايَ ، أي

تعهدى ، حيث أمرك بإكرامى ، فكيف يمكن أن أسئ إليه بالخيانة في حرمه ؟

وفيه ارشاد لها إلى رعاية حق العزيز بالطف وجه .

« إنه لا يفلح الظالمون » المراد بالظالمين كل من ظلم ، كائنا من كان فيدخل في ذلك

المجازون بالإحسان بالإساءة والمعصاة لأمر الله تعالى ، والزناة لأنهم ظالمون لأنفسهم

وللمزني بأهله .

اشعاعات

قالوا : فيها ثمرات ...
أن الواجب عند الدعاء إلى المعصية الاستعاذة بالله من ذلك ، ليعصمه منها ، ويدخل
فيها دعاء الشيطان ، ودعاء شياطين الإنس ، ودعاء هوى النفس .
أن السيد والمالك يسمى (رَبًّا) .
وأقول ... فيها اشعاعات كبرى ...
أن نشأة يوسف في قصرها ... من صغره حتى بلغ أشده ... أي من دون الثالثة ...
حتى صار شابا قويا ... تشبیه كل انثى ... جعلها تطاع على خفايا شخصيته الباهرة القاهرة
فشخصية يوسف كانت باهرة ... بما فيها من أنوار ساطعة ...
وقاهرة ... بما فيها من قوة أعدها الله لتحكم وتتحكم ...
فهو الجميل الأخاذ ... والقوى الجذاب ... وهذا آخر ما تطمح إليه الأنثى ...
كما اطلعت منه على خفاياه ... فبهرها سناه ...
فبينما هو أحسن الناس صورة ... إذا هو أحسنهم خلقا ...
وبينا ظاهره أنه مملوك ... إذا هو ملك يملك ولا يملك ...
هاهى فى جمالها ... وزينتها ... وسلطانها عليه ...
ترتب ترتيبا ... وتمخلى القصر ممن فيه ...
وتغلق أبواب القصر ، وأبواب جناحها ، وأبواب حجرة نومها ...
أعدت الجو ... جو المتعة ... والاستمتاع ...
وهاهى تتثنى ... وتروده بشتى طرق المرادة ...
وتستسلم له بشتى وسائل الاستسلام ...
وتغزیه بكل امكانيات الإغراء عندها ...
عطور ... زهور ... اخراج ... خلوة ...

كل شيء يدعو إلى الاستجابة ...
وهو يابى .. ويأبى .. حتى تضطر المرأة أن تصارح برغبتها فيه علانية بعد أن فشلت
وسائل التلميح والإغراء فقالت له : هيت لك ..
أى تعال .. تعال يا حبيبي ..
تعال يا محبوبى .. إني قد جننت بك حبا ..
فماذا كان ؟

ما إن وصلت إلى هذا الحد من الاصرار على تنفيذ رغبتها حتى نادى يوسف ربه :
معاذ الله .. أعوذ بك يا الله ، أن تعصني من تلك الفحشاء ..
ثم صاح : كلا .. إنه ربي .
لن أعصيه من أجلك .. إنه أحسن مثواى .. إنه أكرمى فكيف أقابل أكرامه بالإساءة
ثم أعلن يوسف ناموسا خالدا من نواميس الله ... إنه لا يفلح الظالمون .. لا يفلح
من ظلم .. أبدا ... لأن الظلم ظلمات ..

ما هذا ؟ لقد افتتنت المرأة بجمال يوسف ، فأرادته لنفسها ، وراودته عن نفسه ...
وهنا تلالاً معدن يوسف فأبى ... ثم أبى ...
لقد كالت ترى فى يوسف مجرد رجل ككل الرجال ..
تراه رجلا قويا جميلا .. يحقق رغبتها الجنسية على أكل وجه ..
تراه مجرد مملوك لها .. لها أن تأمره فيطيع .. لها أن تستمتع به كيف شاءت متى شاءت ..
ولا تتصور أنه سوف يعصى لها أمرا !!

وجاءته بكل فتنتها .. فجاءها بكل امتناعه .
وجاءته بكل ظلماتها ، فصددها بكل أنواره ..
لقد رأت المرأة من يوسف ظاهره ... رأت منه رجلا حسن الصورة قوى البدن ...
فيه جاذبية تجذب النساء إليه جذبا ..

وغاب عنها حقيقة أنواره .. فلم تر ما أودع الله فيه من أسرارهم !

وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ
عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ .

« ولقد همت به » ولقد عزمت امرأة العزيز عزمًا جازمًا ، لا يلوئها عنه صارف .
عزمت على ضرورة مخالطته ، والظفر بما تريد منه ، بعد ما باشرت مبادئها من الراودة ،
وتغليق الأبواب ، ودعوته إلى الاسراع إليها بقولها (هَيْتَ لَكَ) مما اضطره إلى الهرب
إلى الباب .

والهم يكون بمعنى القصد والإرادة .

ويكون فوق الإرادة ودون العزم ، إذا أريد به اجتماع النفس على الأمر والازماع
عليه . وبالعزم : القصد إلى امضائه . فهو أول العزيمة .

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ، ما لم
تتكلم به ، أو تعمل به . [البخارى]

« وهم بها » معنى الهم هنا هو خطوط الشيء بالبال ، أو ميل الطبع ، كالصائم في الصيف
يرى الماء البارد ، فتحمله نفسه على الميل إليه ، وطلب شربه ، ولكن يمنعه دينه عنه .

فالهم هنا عبارة عن جوازب الطبيعة ، ورؤية البرهان جوازب الحكمة .

وهذا لا يدل على حصول الذنب ، بل كلما كانت هذه الحال أشد ، كانت القوة على

لوازم العبودية أكمل .

وقالوا : إن همه هنا بمعنى ميله إليها ، بمقتضى الطبيعة البشرية ، وشهوة الشباب ، ميلا

جيبليا لا يكاد يدخل تحت التكليف ، لأنه قصدها قصدا اختياريا .

« لولا أن رأى برهان ربه » لولا أن رأى برهان ربه لهم بها كما همت به ، لتوفر

الدواعي .

ولكنه رأى من تأييد الله له بالبرهان ما صرف عنه السوء والفحشاء .

لولا أن رأى برهان ربه : أى حجته الباهرة ، الدالة على كمال قبح الزنى ، وسوء سبيله .
والمراد برؤيته لها كمال إيقانه بها ، ومشاهدته لها مشاهدة واصلة إلى مرتبة عين اليقين
وكأنه عليه السلام قد شاهد الزنى بموجب ذلك البرهان الذير ، على ما هو عليه فى حد
ذاته أقبح ما يكون ، وأوجب ما يجب أن يحذر منه ، ولذلك فعل ما فعل من الاستعصام
والحكم بعدم افلاح من يرتكبه .

أى : لولا مشاهدة برهان ربه فى شأن الزنى لجرى على موجب ميله الغريزى ، ولكن
حيث كان مشاهداله من قبل ، استمر على ما هو عليه من قضية البرهان .

وهذا بيان أن امتناعه - عليه السلام - لم يكن لعدم مساعدة من جهة الطبيعة ، بل
لخص العفة والنزاهة ، مع وفور الدواعى الداخلية ، وترتيب المقدمات الخارجية ، الموجبة
لظهور الأحكام الطبيعية .

« كذلك لنصرف عنه السوء » لندفع عنه المنكر والفجور والمكروه .

« والفحشاء » ولندفع عنه الفحشاء ، وهى ما تنهى قبحة ... لندفع عنه الزنى .

« إنه » إن يوسف

« من عبادنا المخلصين » من عبادنا الذين أخلصناهم لطاعتنا ، وعصمتناهم ، لنخصصهم

لأنفسنا .

وقرىء : المخلصين

بمعنى الذين أخلصوا دينهم لله

اشعاعات

ماذا فى هذه ؟ ...

فيها أجمل أزمة نفسية يمكن أن يتعرض لها إنسان ...

وأشق امتحان ... يمكن أن يجوزه بشر ...

وفيها شهادة ليوسف .. أنه أعرض عن شيء .. ليس من المستطاع الاعراض عنه ..

والمنظر في الجملة... هو هذا... امرأة على الغاية من الجمال والدلال والشباب ...
في خلوة تامة ... وأبواب مغلقة ... في جو يشجع كله على الجريمة ...
أقبلت إليه شبه عارية ... تدعوه إلى نفسها ... بكل ما يمكن لأنى أن تستميل به
الذكر ...

وشاب على الغاية من الجمال ... وعلى الغاية من القوة ...
تفرض عليه المرأة هذا الوضع فرضاً ...
وتدعوه إلى نفسها بكل ما يثير الغريزة الجنسية في الذكر !
ماذا يحدث في هذا الموقف ؟
الذى يحدث أن المرأة التي تريد ... وتمنى نفسها بقضاء لحظات من اللذة والمتعة ...
تكون على الغاية من التفتح والرغبة والاشتهاء ...

وأن الذكر الذى رأى أمامه نجاة امرأة عارية ... أو شبه عارية ... تعرض نفسها
عليه ... تتحرك فيه الغريزة ... وتحذته نفسه بجأها ، واشتهاها ...
شئ غريزى ... لا يقاوم ...
فماذا حدث من يوسف ؟
تحركت فيه الغريزة ... وتحرك فيه العقل فى وقت واحد ...

هذه تشهى ... وهذا يقيم له البرهان على أن هذا الذى تحذته به نفسه ، إنما هو فعل
قبيح ، ومعصية تعضب الله تعالى ...
وانتصر العقل .. على الغريزة ..
وكان ذلك امتحاناً رهيباً ..
جازه يوسف .. ونجح فيه نجاحاً باهراً ..

هذه هى القصة التى أكثر الناس من ليها بالسنتهم ... وذهبوا فيها المذاعب .. منظر
عادى .. مألوف ..

إنه الصراع النفسى الذى يحدث فى نفس كل إنسان عندما يتعرض للوقوع فى
معضية .

تجاذب طرفى الاستملاء .. والنزول ..

تجاذب العريضة مع العقل ..

واتصر العقل .. وكان ذلك بتأييد من الله ليوسف .

لماذا ؟

لأنه مخلص لله .. اختاره الله لنفسه .

ولم تظفر المرأة من يوسف بشيء مما كانت تمنى به نفسها !!!

- ٢٥ -

وَاسْتَقْبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفِيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ
قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ .

« واستبقا الباب » ولقد همت به ، وأبى هو ، واستبقا الباب .

أى قصد كل سبق الآخر إلى الباب .

فيوسف - عليه السلام - ليخرج ، وهى لتمنعه من الخروج .

والمراد بالباب هنا الباب الخارجى للقصر ، الذى منه الخلص والمهرب ..

لقد فر يوسف منها .. وتوجه نحو باب القصر الخارجى .. ليهرب من تلك الفتنة

التي أحيط بها ..

وانطلقت هى من وراءه .. وهى على ماهى عليه من إخراج وعرى .. تريد أن تمنعه ..

وتجذبه إليها مرة أخرى !!

« وقدت قميصه من دبر » أى اجتذبتته من خلفه فاقطعت ، أى انشق قميصه .

« وألفيا سيدها لدى الباب » وصادقا زوجها هناك قادمًا عند الباب .

« قالت » قالت امرأة العزيز .. حين ضبطها زوجها وهى على تلك الحال .

« ماجزاء من أراد بأهلك سوءاً » ما عقاب من أراد أن يزني بزوجتك ؟
« إلا أن يسجن » إلا أن يلقى في السجن .
« أو عذاب أليم » أو يعذب على ذلك أشد العذاب .

اشعاعات

انطلقت صاحبتنا وراء يوسف .. تحاول أن تمنعه من الخروج .. وترغمه على الاستجابة
لرغبتها الحارقة ..

ونجأة كان وزير الداخلية ... كان زوجها عائداً .. من الخارج ..
ونجأة .. كذلك .. تصرفت المرأة الذكية .. وخرجت من المأزق ..
فاتهمت يوسف بأنه كان يريد أن يغتصبها .. وأنها كانت تقاومه .. وهو يريد أن
يرغمها !!!

ولم تقف عند ذلك .. بل حكمت هي في القضية ..
وحددت العقوبة .. إما السجن وإما التعذيب أشد العذاب !!
فماذا نأخذ من هذا ؟
نأخذ منه أن في هذه عدة أزمات متداخلة في بعضها البعض ..
أزمة للزوج .. حين يفاجأ بزوجه .. مع شاب .. وهما في حالة مربية .. وهو لا يدري
ما القصة ؟ ... وهو على ما هو عليه من المهابة والسلطة في منصبه ... فإذا بمنزله في مثل
هذه الفوضى !!

ثم هذا الشاب ... يوسف ... الذي أكرمه ... ورباه ... ورعاه ... كيف سولت
له نفسه أن يخونه هذه الخيانة ؟

أزمة عنيفة جداً ... وقع فيها الزوج فجأة !!
وأزمة ليوسف .. حين يجد نفسه فجأة أمام سيده ... الذي أحسن إليه ، ورباه ..
وأكرمه ... في مثل هذا الموقف ...

وماذا يكون إحساس يوسف ، وهو يشعر بالآلام التي تجتاح الرجل ، وهو يفاجأ بتلك المفاجأة ؟

ثم كيف يرى نفسه ... وهي قد سارعت إلى اتهامه .. والمرأة مصدقة دائماً في تلك المواقف؟

وأزمة .. للمرأة نفسها .. حين فوجئت بزوجها .. يضبطها متلبسة .. كل الشواهد تشير إليها .. ولذلك سارعت إلى اتهام يوسف .. قبل أن ينتشر الأمر !! وهكذا .. أزمات متداخلة .. تتلاحق سراعاً ..

فما كان من يوسف .. كذلك إلا أنه تصرف بسرعة .. ودفع عن نفسه تلك التهمة الشائنة .. فقال ..

- ٢٦ -

قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ
قُدَّ مِنْ قَبْلِ فَصَدَّقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ .

« قال » قال يوسف دفاعاً عن نفسه ، ونفياً لتلك التهمة الشائنة عنها .

« هي » هي « هي ولست أنا

« راودتني عن نفسي » حاولت معي شتى المحاولات لاغرائني على ما تريد .. فأبيت ..

واعرضت .. وفررت منها فراراً .. فوثبت من خلفي .. تشدني إليها شداً ..

« وشهد شاهد » وشهد رجل هذا المشهد العجيب .. وكان ذلك الرجل قادماً مع زوجها

« من أهلها » من أسرتها .. وليس من أسرة زوجها .

« إن كان قميصه قد » إن كان قميصه تمزق .

« من قبل » من أمام .

« فصدقت » فصدقت زوجتك أيها العزيز .

« وهو من الكاذبين » لأن قده من أمام اماره الدفع عن نفسها به ، أو تعثره في مقام قيصه بسبب إقباله عليها ، قد لإسراعه خلفها .

- ٢٧ -

وَإِنْ كَانَ قَيْصُهُ قَدْ مِنْ دُبْرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ .

« وإن كان قيصه قد من دبر » تمزق من خلف .

« فكذبت » فكذبت امرأتك أيها العزيز .

« وهو من الصادقين » لأنه اماره ادباره عنها ، بسبب أنها تبعته ، واجتذبت ثوبه

إليها فزقته ..

- ٢٨ -

فَلَمَّا رَأَى قَيْصَهُ قَدْ مِنْ دُبْرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنْ كَيْدِكُنَّ عَظِيمٌ .

« فلما رأى » فلما رأى العزيز .

« قيصه » قيص يوسف .

« قد من دبر » شق من خلف .

« قال » قال العزيز .

« إنه من كيدكن » إن هذا الذي حدث من مكركن وحيلكن أيها النساء .

« إن كيدكن عظيم » إن مكركن شديد .

وإنما استعظم كيدهن لأنه أطف وأعلق بالقلب ، وأشد تأثيرا في النفس ، ولهن فيه

دلال ورقق ، وبذلك يغلبن الرجال .

- ٢٩ -

يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكَ كُنْتَ

مِنَ الْخَاطِئِينَ .

« يوسف » ثم قال العزيز موجها الكلام إلى يوسف : يا يوسف .
« أعرض عن هذا » أعرض عن هذا الأمر واكتمه ، ولا تحدث به .
« واستغفري لذنبك » واعتذري إلى يوسف عن الاساءة إليه .
استغفري لذنبك الذى وقع منك من ارادة السوء بهذا الشاب ، ثم قذفه بما هو برىء
منه .

« إنك كنت من الخاطئين » إنك كنت من القوم المتعمدين للذنب .
إنك كنت من المحترفين الاجرام ، الذين يرتبون للجريمة ، ويهيئون لها الأسباب ،
ثم يرمون بها البراءة .
يقال : خطيئ إذا أذنب متعمدا ، وأخطأ إذا فعله من غير تعمد .

اشعاعات

اختلفوا فى أسباب تهاون العزيز مع امرأته . إلى حد أنه اكتفى منها بالاعتذار إلى يوسف .
فمن قائل : كان رجلا حليما !
ومن قائل : عذرها لأنها رأت مالا صبر لها عنه .
ومن قائل : إنه كان قليل الغيرة .
ومن قائل : هى لطف من الله تعالى بيوسف عليه السلام .
ومن قائل : إنه مقتضى تربة مصر .
ومن قائل : إن لاختلاف أحوال العمران فى الخصب والجذب ، وأقاليمه فى الحرارة
والبرودة وتوابعهما ، أثر فى أخلاق البشر وأبدانهم .
وعندى أن العزيز كان رجلا كسكل الرجال ، ليس بقليل الغيرة ، ولا بشديد البرودة .
وإنما هو يعلم تمام العلم أن يوسف لن يرتكب الفحشاء .. مهما كانت المغريات ..
لأنه خالطه .. حليلة طفولته ... وصباه .. وشبابه .. فتأكد لديه أنه عفيف متعفف ، ذا
إرادة خارقة فى السيطرة على نفسه ، وكبح جماحها .
وهذا هو أقوى الأدلة عندى ، فى موقف الرجل .

أنه موقن أن يوسف لن يفعل سوءا بزوجه أبدا .
هذا من ناحية .. ومن ناحية أخرى .. أن الرجل خاف الفضيحة والتشهير السياسي .
فهو وزير للداخلية .. أى يشغل أكبر منصب سياسى بعد الملك .
وهو صاحب السطات الواسعة ، فلو أن الأمر ذاع فى مصر ... أن امرأة العزيز على
علاقة بمملوكها .. لكان ذلك ضربة قاضية لمستقبله السياسى فى البلاد .

ولتلقفه خصومه السياسيون ، وشهروا به تشهيرا .
ولذلك رأى الرجل الداهية ، أن يعالج الأمر علاجا عميقا .
فطلب من يوسف أن يعرض عن الموضوع .. ويعتبره منتهيا .. ويكتمه ولا يتحدث
به إلى أحد .

وذلك بعد أن أعلن إليهما أن الفعل من ترتيب زوجته .. فبرا بذلك يوسف واتهمها
نم طلب إليها أن تعتذر إلى يوسف لأنها ارتكبت جريمة كبرى .
وبذلك يفوت على خصومه السياسيين أن يناووه من هذا الطريق فيقولوا : وزير
الداخلية يكتشف فضيحة فى قصره .. امرأة العزيز تراود فتاها .. المملوك الساحر على علاقة
بسيده .. زوجة وزير الداخلية تقع فى غرام .. يوسف .. فأتى النساء !!
إلى غير هذا من أراجيف التشهير السياسى الذى يكون فى مثل هذه الحالات .
أضف إلى ذلك أن الرجل أذل امرأته بهذا .

فهو قد سجل عليها الجريمة .. واحتفظ بهذا السلاح لديه .. ليشره فى وجهها فى أى وقت .
هذا فضلا عن أن الرجل كان مترفا ... بورجوازيا ، ابن قصور ، ولم يكن على دين
يقبح لديه الفحشاء ... وإنما كان ابن ذوات ... قد ألف مثل هذه الألاعيب الترامية فى
مجتمعه ... ولا يراها كبيرة .

ولذلك عالج الموضوع بما يتناسب مع تفكير هؤلاء الناس .
ولكن هل هذا كله قد أدى إلى كتمان الفضيحة .. واسدال ستار النسيان على الموضوع؟
كلا .. فقد تسرب الخبر فى العاصمة .. وأصبح حديث القصور .. ونساء القصور ...
ولذلك يقول ..

وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ .

« وقال نسوة » وانتشر الخبر ... وشاع وذاع وقال نسوة من ربات القصور ...

« في المدينة » في العاصمة ... في مصر .

« امرأة العزيز » زوجة الأمير ... زوجة صاحب العزة والسلطة والسيادة ...

« تراود فتاها » تطلب من مملوكها ... تعرض نفسها على مملوكها ... بكل ما يتصور

من أساليب العرض والاعراء ...

« عن نفسه » تخادعه عن نفسه ... ليقع بها ، ويأتيها ... ومع هذا كله يتنزه عنها ،

ويأبى !!!

« قد شغفها حبا » قد خرق حبه شغاف قلبها ، حتى وصل إلى الفؤاد .

والشغاف حجاب القلب .

« إنا لنهاها في ضلال مبين » إنا لنهاها في خطأ عن طريق الرشد والصواب . واقحام

الرؤية ، للإشعار بأن حكمهن بضلالها صادر عن رؤية وعلم ، مع التلويح إلى تنزههن عن

مثل ذلك .

اشعاعات

وانتشر الأمر ... رغم محاولات العزيز ... وأصبحت القصة حديث العاصمة . .

وموضع فكاهة النساء والبيوتات ...

زوجة الأمير ... زوجة وزير الداخلية تعرض نفسها على مملوكها ... والمملوك يأبى !!

هذه امرأة مجنونة .. امرأة مستهتره .. امرأة فاجرة .. وهذا هو معنى : إنا لنهاها في

ضلال مبين ..

امراة لم ترع حرمة قصرها .. وحرمة زوجها .. وحرمة أسرتها ..
فيرد بعضهن : قد شغفها حبا .. الحب .. الحب :: ماذا تصنع وقد جنت بحبه ؟ .
فالمفهوم من الفقرات الثلاث أن الموضوع أصبح حديث الصالونات والاجتماعات
والقصور .. وغير القصور .

والآية تسجل بعضا من اتهامات الناس لها ، وأقاويلهم فيها ... فتسجل :
« امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه » .
« قد شغفها حبا »
« إنا نراها في ضلال مبين »

هذا جزء من كل .. وليس كل ما قيل وإنما هو أهم ما قيل ..
تسجله الآية .. لتشير بذلك إلى مدى انتشار الموضوع في العاصمة والبلاد المصرية ..
وإلى جوار ذلك .. تنتشر كذلك شهرة يوسف في البلاد .. بالأخلاق العليا في أعينهم .
وحين تقع الواقعة ... خاصة في المسائل الجنسية .. تكثر أقاويل الناس . ويطلقون
ألسنتهم فيها اطلاقا ... خاصة إذا كانت الحادثة تتصل بكبار المسئولين في البلاد .
وتلك عادة الناس جميعا .

والانسان أسرع ما يكون إلى التصديق في الأمور الجنسية .
يكاد يصدق كل ما يسمعه .. بل يضيف هو إليه من خياله ما يشاء .. وهو ينقله إلى
غيره .. وهكذا .

ومعنى هذا أن الدولة كلها أصبحت تتحدث بالقصة ..
وأن الموضوع أصبح حديث الطبقات جميعا ..

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكِنًا وَهَاتَتْ
كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سَكِينًا وَقَالَتْ أَخْرِجِي عَلَيَّيْنِ فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أُكْبِرْتَهُ
وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ .

« فلما سمعت بمكرهن » فلما وصل إلى سمع زوجة العزيز ، اغتياهن وسوء أقوالهن .
فلما صك سمعها .. وتناهى إليها ما يقل عنها .. خاصة من صديقاتها وعدواتها من
نساء القصور .

أو (المكر) على حقيقته ، وكن قلن ذلك لتهيئ يوسف ..

« أرسلت إليهن » أرسلت تدعوهن إلى الضيافة ، مكرًا بهن ..

« وأعدت » وأحضرت وهيأت .

« لهن » للنساء المدعوات في قصرها ...

« متكنًا » ما يتكنن عليه من الوسائد وغيرها ...

أى أعدت لهن مجلسًا من تلك المجالس الناعمة التي تكون في القصور الكبرى ..

خاصة قصور الأمراء والملوك .. أى فنتحت لهن ... واستقبلتهن .. في صالونات قصرها ...

في قاعة الاستقبال الكبرى في القصر .. حيث الأرائك الناعمة المريحة .. التي تسمح

للجلاس أن يتكئ كما شاء .. في راحة تامة .. وانسجام عظيم ..

« وآتت كل واحدة منهن سكينًا » وبدأت الحفلة الكبرى ..

واستقبلت امرأة العزيز ضيفاتها في صالونها ..

ثم جاء موعد تقديم العشاء .. فانتقلن إلى جهو الطعام تتقدمهن صاحبة الدعوة ...

وانشرون حول الموائد الكثيرة المنتشرة في القصر .. وكان أمام كل مدعوة صحافها ...

وسكينها .. وملعقتها .. وشوكتها .. كما هو الشأن في مثل هذه الحفلات ..

فليس معنى « وآتت كل واحدة منهن سكينًا » أن الأمر اقتصر على السكين .. كلا

وإذ المعنى .. أن هناك حفلة في القصر وهناك أدوات المائدة أمام كل منهن .. ومن بينها
سكين .. كما هي العادة ..

وبينما هن مشتغلات .. منهمكات في الطعام .. والضحكات ..
كانت المفاجأة ..

« وقالت اخرج عليهن » أمرت امرأة العزيز يوسف أن يخرج عليهن جميعاً .. وهن
منهمكات في الطعام ..

وخرج يوسف .. ملكاً غير متوج .. أو ملكاً في صورة بشر .. الجمال والجلال
يتلألاً في وجهه .. صورة لم تشهد الأرض مثلها حسناً ..
وكانت مفاجأة لهن جميعاً ..

« فلما رأيته » فلما فوجئن كلهن ، فلما وقعت أعينهن على يوسف ..
« أكبرنه » أعظمه ، وهبن حسنه الفائق .

وقع من أنفسهن موقع الاكبار والإجلال ، وبدا في عيونهن وقلوبهن ، عظيماً غاية
العظمة ، جيلاً غاية الجمال ..

« وقطنن أيديهن » وظلت أعينهن معلقة به ، حتى نسين أنفسهن ، وقطنن أيديهن
بالسكاكين ، أي جرحنها ..

« وقلن حاش لله » وقلن جميعاً : حاشا لله ..
حذفت ألفه تخفيفاً ..

أي تنزيهاً له سبحانه عن صفات النقص والعجز ، وتمجباً من قدرته على مثل ذلك
الصنع البديع .

« ما هذا بشراً » لا يمكن أن يكون هذا بشراً ..

وإنما نقين عنه البشرية لخرابة جماله ، وأثبتن له الملكية ، على نهج القصر ، بناء على
ماركز في الطباع أن لا أحسن من الملك ، كما ركز فيها أن لا أقبح من الشيطان . ولذلك
يشبه كل متناه في الحسن واقبح بهما .

« إن هذا إلا ملك كريم » نحن نقطع أن هذا ليس ببشر وإنما هو ملك من ملائكة السماء .. في صورة بشر ..

اشعاعات

ما هذا ؟ حفلة ساهرة كبرى .. في قصر العزيز .. يدعى إليها نساء الطبقة الراقية جميعاً ويخرج عليهن يوسف .. فيكون الدهول .. وتأخذ المفاجأة عليهن جميعاً عقولهن . فيفعلن عن الطعام .. وعن كل شيء حتى يقطعن أيديهن بالسكاكين التي يحمزرن بها الطعام !!! .

ثم يشهدن جميعاً : سبحان الله !
كيف خلق الله مثل هذا الجمال ؟
مستحيل أن يكون هذا بشر ! ..
إنه ملك كريم في صورة انسان ..

ارتفاع .. شهرة .. مجد .. عظمة .. قل ماشئت .
فان الله أراد أن يرفع يوسف .. ويمكن له في الأرض .. وهذا شيء مما يتفضل به تعالى عليه .

نساء العطاء جميعاً .. يشهدن له تلك الشهادة .. فإذا بقي بعد هذا ؟ !
كيف كان جمال يوسف .. هذا الذي بهر النساء جميعاً .. ؟
وبهر أباه فكان لا يصبر على فراقه ؟
كان شيئاً لا يعلمه إلا الله .. وحين يريد الله أن يبدع جمالاً فهو الابداع .
ومهما اطلقنا تخيلنا في تصور جمال يوسف .. فسوف تأتي صورة خيالنا باهتة .. دون الحقيقة بكثير ...

فالأولى أن ندع التحديد .. وتصور أن يوسف عليه السلام كان في أحسن صورة ..
وإنما كان يزيده جمالاً على جمال ...

للألاء النبوة .. واشعاعات أنوراها .. وهي تترقق في ثنايا وجهه .. وهذا ما أنطق
النسوة جميعا : ما هذا بشرا .. إن هذا الإلامك كريم !!

رأين في وجهه جبال النبوة .. ونور السموات ...
فانطلقن يؤكدن أنه ليس ببشر .. وإنما هو ملك كريم !!!

-- ٣٢ --

قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنِّي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ
وَأَن لَّمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرَهُ لَيْسَ جَنًّا وَلَيْكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ .

« قالت » امرأة العزيز .

« فذلكن الذي » فهذا هو الذي .

« لمتني فيه » في الافتتان به .

« ولقد راودته » ولقد أغريته بشقى طرق الاغراء ، وعرضت عليه نفسى بشقى طرق

العرض .

« عن نفسه » وجعلت اغريه وأدعوه .

« فاستعصم » فامتنع ، طالبا للعصمة ، مستريدا منها .

قالوا : الاستعصام بناء مبالغة ، يدل على الامتناع البليغ ، والتحفظ الشديد ، كأنه في

عصمة ، وهو يجتهد في الاستزادة منها .

« وأئن لم يفعل ما أمره » وأئن لم يأت ما أريد منه .

« ليسجن » ليعاقبن بالسجن .

« وليكونا من الصاغرين » أى الاذلاء المهانين .. بعد أن كان في عز وسيادة ونعمة .

اشعاعات

في قولها : فذلكن الذي لمتني فيه ...

رقة نسائية مابعدھا رقة .. كأنھا تقول لهن : هذا هو الجمال القاتل الساحر الفتاك
الذى تتحدثن عنى بسببه .. وتلوموننى من أجله ...

ثم زادته عظمة إلى عظمته أمامهن جميعا فأعلنت فى غير حياء ولاخجل كأنها طلبت
إليه معروفا : واقدر اراودته عن نفسه فاستعصم !!! ولقد طلبت إليه فأبى ثم أبى ثم أبى ..
وكنت كلما اقبلت عليه وتراميت على يديه .. كلما تباعد وتباعد عنى !!!
ثم هددته أمامهن كلهن .. انتظر ماذا يكون جوابه .. بعد أن طلبت إليه على الملأ ..
« ولئن لم يفعل ما أمره ليسجنن » .

لأصدرن أمرى بسجنه إلى الأبد .. وأى سجن ؟! .. «وليسكونا من الصاغرين» ..
سجن الأشغال الشاقة المؤبدة . حيث الازلال والمهانة والعذاب ... وهو الآن مخير ...
بين المتعة واللذة .. وبين المهانة والعذاب ...

وهذا يدل على مدى ماوصل إليه جمال يوسف وانه جمال لايقاوم .. جعل المرأة
تعلن بلااستحياء أنه رجل لايمكن أن تقاومه امرأة فى الأرض . وانه بمايزيده اغراء للمرأة
أنه كلما طلب ازداد امتناعا !!!

ثم كان آخر مااعنها أن أعلنت عقابه بالسجن إن لم يفعل !!
فإذا كان من يوسف ؟!

-- ٣٣ --

قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي
كَيْدَهُنَّ أَضْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ .

« قال » فما أن سمع يوسف تهديدها علانية بسجنه أمام النساء جميعا .. حتى قال ...
«رب» التجأ فورا إلى الله .. وأسقط الأغيار اسقاطا تاما ..

لم يدخل فى جدل معها .. لماذا .. وكيف ؟ كلا ... وإنما أتجه مباشرة إليه تعالى ...

وناداه : رب ...

« السجين أحب إلى » الإقامة في السجن والاصابة بعذابه وآلامه أحب إلى نفسى .
« بما يدعونى إليه » من تلك الفحشاء التى يدعونى إليها كلهن .
وهذا يشير إلى أنهم جميعا عرض أنفسهم عليه بكل الطرق الممكنة من الاغراء .
وأنة وجد نفسه فجأة . محاطا بهم . هذه تداعبه .. وهذه تضاحكه .. وهذه تريد أن
تقبله .. وهذه تدعوه إلى سهرة ممتعة .. وهذه تدعوه إلى خلوة .. وهذه تريد منه
ولو كلة .

وبعدهن جميعا . امرأة العزيز .. الموتورة .. الجريحة الكرامة .. الجنونة بحبه ..
تنظر ماذا يفعل معهن .. وكيف يتصرف .. وترقب وترقب .
شاب كله قوة وشباب ونضارة وجمال .. وأجمل لساء مصر .. وأرقاهن .. وأحلاهن
يترامين كلهن عليه .

فيترك ذلك كله .: ويستصرخ ربه : رب السجن أحب إلى بما يدعونى إليه ..
« وإلا تصرف عنى كيدهن » وإلا تدفع عنى فتنهن ، . وأساليبهن الجهنمية ..
واغراءتهن الفتاكة .. وإلا تصرف عنى ما أردن منى .

« أصب إليهن » أمل إليهن .. إلى إجابتهن بمقتضى البشرية .
« وأكن من الجاهلين » بسبب ارتكان ما يدعونى إليه من القبيح .

قالوا : هذا فزع منه ، عليه السلام ، إلى أنظاف الله تعالى ، جريا على سنن الأنبياء ،
والصالحين ، فى قصر نيل الطيرات ، والنجاة عن الشرور ، على جناب الله عز وجل ،
وسلب القوى والقدرة عن أنفسهم ، ومبالغة فى استدعاء لطفه فى صرف كيدهن بإظهار
أن لاطاقة له بالمدافة ، كقول المستغيث : أدركنى وإلا هلكت ، لأنه يطلب الإجمار
والإلجاء إلى العصمة والعفة ، وفى نفسه داعية إلى هواهن .

وقالوا : وذلك الدعاء هو صورة افتقار القلب الواجب عليه أهدا .

الشيئات

وهكذا وضع الله تعالى يوسف - عليه السلام - ا لوجه امام الفتنة الكبرى ..
واحاطه بها من كل جانب ..

ودفع به اليهن ... ودفعهن اليه ... لينظر ماذا يفعل ؟

بيئته من كل باب ... فخر من كل باب ..

وتذلن له بكل وسيلة .. فهرب بكل وسيلة ..

فلما أحس بالفتنة تريد أن تسعى إليه ... صاح به سبحانه ... صبيحته الكبرى ...
رب السجن أحب إلى مما يدعونني إليه ..

ثم تلاً لأكثر وأكثر فأعلن : وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن .. أنت
وحدك الذي يستطيع اقاذى من تلك الموجات المفرقة .

ثم تلاً وتلاً .. فأعلن : وأكن من الجاهلين .. أنا بشر .. ضعيف .. يتضعضع
سريعا أمام الفتنة .. فلا تتركني وحدي .. فأميل إليها بفرزتي .. وأتحول إلى مجرد
إنسان تستعبده شهوته .. وهذا شر أنواع الجهل ..

إنه يوسف .. يتلى فيما أوتى .. في الجمال الذي آتاه ..

هل يقول كما يقول كل الناس : استمتع بشبابك ... أم يكون له موقف آخر ؟

وصب عليه البلاء صبا .. وساق اليه الفتن سوفا ..

فما كان منه - عليه السلام - إلا أن ارتفع فوق الأحداث ، وارتفع على نفسه ..
وأسقط كل شيء .. وأسقط نفسه .. وأسقط كل شيء حوله .. وأسقط ما حوله .. وطار
إليه سبحانه .. وهو يصرخ : رب .. رب .. أنت .. أنت .. وحدك .. تنقذني ..

إنه يوسف ..

فإذا كان من الله ؟

فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ .

« فاستجاب له ربه » أجاب له دعاءه .. على الفور ..
إنه دعاء مستغيث .. دعاء قلب فرمن كل شيء .. إلى ربه .. فكيف لا يستجيب له؟
« فصرف عنه كيدهن » فأيده بالتأييد القدمي ، فصرفه إلى جناب القدس ، ودفع
عنه ، بذلك ، كيدهن .

فأمده الله تعالى فورا بامداد من عنده .. بطاقة فوق طاقته .. استطاع بها أن يدفع
عن نفسه تلك الفتن جميعا ..

« إنه هو السميع » لدعاء المتضرعين إليه .

« العليم » بحقيقة ما في قلوبهم وهم يستصرخونه ويستغيثونه فيعطاهم
ما يصلح حالهم ..

اشعاعات

فيها لألاء .. وسناء ..

ما إن استغاثه .. واستصرخه .. حتى قال له : لبيك يوسف لبيك !!!

فاستجاب له؟! فورا .. كان معه ..

ومتى كان معه .. فلا شيء يريد به يوسف بعد ذلك ..

فصرف عنه كيدهن!؟

إنه لم يصرف عنه النساء .. وإنما صرف قلبه عن الصباية بالنساء ..

وهذا أعلى أنواع التأييد .. أن تكون في الشيء .. واست فيه ..

أن تكون في الدنيا .. ولست منها ..

أن تكون في الفنى .. ولست منه ..

أن تكون في الأسباب .. ولا تراها ..

أن تكون في الحياة .. ولست حيا إلا به تعالى ..
أن تكون في كل شيء .. ولست منه في شيء ..
ثم يتشعشع نورها .. ويتشعشع .. إنه .. هو ..
الله يحكم عن نفسه .. ويؤكد .. ويؤكد .. أنه هو .. أنه وحده هو .. السميع ..
الغيب لدعاء من أرادته وحده بدعائه .. ولم يخلط شيئا آخر ..
يجيب دعاء من فر إليه .. ولم يرسوا .. ولم يشرك به أدنى شرك ..
وها هنا .. كان فرار يوسف إليه عظيما ، وارتفاعه إليه سريعا .. واستصراخه
شديدا ..

فسارع تعالى إليه إنه هو العليم بيوسف .
هل هناك جمال بمد هذا الجمال ؟
اللهم أكرمنا ولو شيئا يسيرا بما أكرمت هؤلاء !!

ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيْسَ جُنُنُهُ حَتَّىٰ حِينٍ .

« ثم بدأ لهم » ثم كان من رأيهم .

ثم كان من رأى العزيز وزوجته

« من بعد مارأوا الآيات » من بعد ما تأكدوا من براءته ، ورأوا بأعينهم الشواهد،
والبراهين المؤكدة لنزاهته .

من بعد مارأوا الآيات التي حققناها في يوسف .. الدالة على أنه شيء آخر غير سلوكهم

جميما .

« ليس جُنُنُهُ حَتَّىٰ حِينٍ » ليلقونه في السجن إلى مدة يرون رأيهم فيها .

اشعاعات

أى آيات هذه التي رأوا من يوسف .
أو أى معجزات التي شاهدوا منه ؟
هل جاءهم يوسف بخارقة كما جاء الأنبياء من قبله ؟
هل أجرى الله على يديه معجزة من تلك المعجزات التي يؤيد بها انبياءه ؟
كلا .. وإنما كان يوسف نفسه هو المعجزة !!
شخصية يوسف نفسها .. انواره الظاهرة .. والباطنة .. سلوكه .. استمصامه الدائم ..
علوه على الشهوات .. عزمته على الرشد .. عدم خشيته من التهديد بالسجن ..
هذه هي المعجزة .. شخصية يوسف نفسها هي الآيات الكبرى ..
وحين يكون الاعجاز في نفس الشخصية .. فذلك هو الاعجاز ..
إن ما كان من يوسف .. وانتصاره على جميع الفتن التي حوصر بها .. هو ..
الآيات التي رأوا .

رأوا شيئاً خارقاً .
شاباً تدعوه سيده .. فيأبى .
ثم تدعوه مرات أخرى .. فيأبى .
ثم يهدد بالسجن .. فيزداد علواً .
ثم يهدد بالاذلال والتعذيب .. فيزداد فراراً إلى ربه .
وقبل هذا وذاك .. عنده من الجمال .. ما يقهر أى امرأة قهراً .. ويأتى بها طوعاً إليه !
شخصية خارقة .

ويزيدها عجباً .. أنه رغم ما هو عليه من جمال .. لا يرى شيئاً من ذلك الجمال ..
إلا أنه نعمة من نعم الله .. عليه أداء شكرها .. بصيانتها عن الانحراف .
وكان كل ذلك سبباً في اشتهار أمره بين الناس ..

فحدثت النسوة عن عجائبه .. وعن موقفه الخارق حين عرضن أنفسهن عليه .. فامتنع
منهن جميعا .. وجرح كبرياءهن جميعا .

هذه هي الآيات .. هذه هي المعجزات التي رآها المصريون جميعا من يوسف .
شخصية معجزة .. محيرة .

فكان قرارهم .. كان قرار وزير الداخلية .. وزوجه .. وجميع أهل السلطة أن ..
يدخل يوسف السجن لماذا ! .. لأنه مجرم ؟ .

كلا .. لأنه أصبح فتنة للنساء جميعا .. وفتنة للرجال من بعدهن ...

فإذا يفعل رجل حين يسمع أن امرأته عرضت نفسها على يوسف ؟

وكم كان عدد الرجال الذين أودوا في أعراضهم وكرامتهم حين سمعوا أن زوجاتهم أو
بناتهم أو اخواتهم قطعن أيديهن حين رأين يوسف ؟

أو ماذا يكون شعور هؤلاء الرجال وهم يشهدون نساءهم ولا حديث لهم إلا يوسف ..
وجمال يوسف .. وسمو يوسف .. واستعصام يوسف ؟
لا بد إذا من استئصال تلك الفتنة من البلاد .

لا بد من سجن يوسف .. إنه مرتكب أكبر جريمة .. لماذا يكون أجمل الرجال ؟ !
وهكذا .. ابتلى يوسف بالجمال .. وابتلى من حوله بجماله !

ودخل يوسف السجن .. لأنه أجمل الناس صورة .. وأجمل الناس أخلاقا !!!

وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَّانَ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ
الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أُجِزُّ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ
إِنَّا نرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ .

« ودخل معه السجن فتيان » روى أنهما غلامان كانا لفرعون مصر ، أحدهما رئيس سقائه ، والآخر رئيس طعامه ، وغضب عليهما فحبسهما ، فكانا مع يوسف ، ثم رأها يوما وهما مهمومان ، فسألها عن شأنهما ، فذكرتا له أنهما زأباً رؤيا غتتهما ، وليس لهما من يعبرها .

فقال لهما : أليس التأويل لله ؟ قصاً على !

فذلك قوله تعالى ..

« قال أحدهما » وهو صاحب شرابه .

« إني أراني أعصر خمرا » أى عنبا ، تسبب بما يؤول إليه .

وذلك أنه قال : رأيت في المنام كأن بين يدي ماء فيه ثلاثة قضبان عنب ، ثم فضجت عنقيدها وصارت عنبا ، وكانت كأس فرعون في يدي ، فأخذت العنب ، وعصرته في الكأس ، وذاوتها فرعون .

« وقال الآخر » وهو صاحب طعامه ..

« إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه » .. وذلك أنه قال له : رأيت كأن فوق رأسي ثلاث سلال حواري ، والطير تأكل من السلة العليا فوق رأسي .

« نبئنا بتأويله » أخبرنا بتفسير ما رأينا ، وما يؤول إليه أمر هذه الرؤيا .

« إنا نراك من المحسنين » الذين يحسنون عبارة الرؤيا .

أو : من المحسنين إلى أهل السجن ، تداوى مريضهم ، وتعزى حزينهم ، وتوسع على فقيرهم ، فأحسن إلينا بكشف غممتنا ، إن كنت قادراً على ذلك .

اشعاعى

ودخل يوسف السجن !؟

يوسف .. البريء .. المتعفف .. الذى أبى الفحشاء فى أى صورة من الصور .. الذى

حفظ عرض العزيز .. ونفر نفورا شديدا أن يخونه فيما ائتمنه عليه !

يوسف .. الجميل الصورة .. الجميل الخلق .. حتى شهدت له النسوة .. إن هذا إلا
ملك كريم !

يوسف هذا .. يدخل السجن .. وكان من الأولى أن تدخله امرأة العزيز !!
لماذا يختار الله تعالى لأنبياؤه .. وأوليائه .. ذلك الاختيار ؟

لماذا يسلط عليهم الجبارة والطفافة .. ويمكن هم مهم .. فيتهمهم بالباطل ويدخلهم
السجون بغير ذنب ؟

لأن السجون وحياة السجون .. عالم غير هذا العالم الذى يعيش فيه الناس .. لو اطعوا
عليه لولوا منه فرارا وملتوا منه رعبا !

عالم تمحى فيه كل المعانى السكريمة .. وتبقى كل المعانى الأليمة .
وما ظنك بحياة يلتقى فيها السجين كأنه بهيم .. فى إذلال .. وتعذيب .. وتحقير ..
وتسخير .. كيف تكون ؟

أو ما ظنك بحياة ليس فيها من معانى الحياة من شيء ؟
فلا طعام إلا كسيرات من خبز أسود .. أو قطرات من عسل أسود .. أو ذرات
من جبن متعفن ؟

أو ما ظنك بالملثات يكسدون متراصين ليلا ونهارا كما تنزاحم أعداد الأسماك فى عاب
السردين ؟

مهما وصفنا .. فالسجن أدهى وأمر !!
هذا هو السجن الذى دخله يوسف بغير ذنب .. إلا أنه أبى أن يأتى امرأة العزيز ..
ويحقق مشتهاها !!

لماذا كل هذا .. وهل هذا هو التكريم لأنبياؤه الله ؟

نعم .. ثم نعم ..
لأن النفس طالما هى فى مجبوحة من العيش .. مستحيل أن تدرك حقيقة الحياة و

يجرى فيها .. أو تدرك نعمة الله عليها فيما تتقلب فيه من أنعام ... لأن إلف الشيء يفقده قيمته ..

فإذا نزع الله يوسف من حياة القصور .. والنعم .. والترف .. والدلال .. والجمال .. واللذة .. والأبهة .. والساطة ..

إذا نزعه من كل ذلك فجأة .. واقاه إلى السجن ..

وجد يوسف نفسه في مكان مظلم .. ضيق .. ليس فيه من لوازم الحياة إلا أحقرها .. وأقلها .. مما تعافه الكلاب ..

حدث انقلاب هائل في أحاسيسه كلها .. كانت صدمة شديدة جداً .. تقهره على أن يدرك ما لم يك يستطيع أن يدرك من قبل .

يدرك أن هذه الشمس الساطة طول نهارها .. ولا يلتفت إليها الإنسان .. ولا يعتبرها نعمة تذكر .. يدرك أنها نعمة عظيمة .. حين يلقى إلى زنزانة مظلمة في السجن لا يرى الضوء فيها إلا من خلال كوة حقيرة !!

ويدرك أن الهواء الحر .. الذي كان ينعم به ولا يحس له قيمة .. هو من أجل النعم التي آتاه الله .. حين يجد نفسه يكاد يخنق .. من ذلك الهواء الحبيس في ظلمات الزنازين في حياة السجن .

ويدرك أن أحقر مستوى من المعيشة في الحياة العادية .. هو أرق من أى مستوى في حياة السجن ..

ويدرك أن الحرية هي أغلى شيء .. وأكبر نعمة تنعم على الإنسان ..

ويدرك أن في الحياة آلاماً وأهوالاً .. ما كان ليدركها لولا أن رأى حياة السجن وعاشها وعانها ..

وأن هؤلاء الألوف معه في السجن .. هؤلاء الأخطا من المجرمين العتاة .. إلى الأبرياء المظلومين .. يرغبون إرغاماً أن يتخالطوا .. ويتزاحوا .. ويتزاحوا .. ليلاً ونهاراً .. حتى يود أحدهم لو يزحزح عن صاحبه ولو إلى النار !!

من طول ما سئم رؤيته .. ومل صحبته .
وأن أضييق الضيق في الصدور .. أن يرغم الإنسان على ما لا يحب .. أو يعاشر من
لا يتفق معه في الميول .

ويدرك .. ويدرك .. ويكشف له الغطاء عن الكثير مما كان يجهل في هذه الحياة ..
من أجل ذلك يُدخل الله يوسف السجن .. بغير ذنب ..
ليكشف له الغطاء .. ويرفع عن قلبه الحجاب ..

ليشعر يوسف بمرارة الاتهام بالباطل .. حتى إذا حكم تجنب أن يتهم أحدا بالباطل .
وليشعر يوسف بآلام السجنين ، حتى إذا حكم من بعد .. عمل على الغاء هذه السجون
أورفع مستواها .. وتعديل لوايحها الجهنمية .

وليشعر أن أحقر نعمة يؤتاها .. ينبغي تعظيمها .. وتلقيها أحسن التلقي .. حتى إذا
ماخرج من السجن استقبل الحياة استقبالا جديدا .. بنظرة جديدة .. كلها حب للحياة
وواعب الحياة ..

وليشعر يوسف أن الحرية أغلى من كل شيء .. حتى إذا ما عادت إليه حريته .. عمل على
احترام حقوق الغير .. واحترام حريته ..

وليشعر يوسف أن هؤلاء السجناء .. مساكين لا يشعر بهم أحد في الدنيا .. يعيشون
نسيا منسيا .. حتى إذا خرج يوسف من السجن .. وتولى أمر البلاد .. عمل على العفو
عنهم .. واعطاهم الفرصة للحياة الكريمة مرة أخرى ..

من أجل ذلك .. وما وراء ذلك .. أدخل الله يوسف السجن ..
ليصهره بآلام الحرمان .. والضيق .. والغربة .. والذل .. والسخرة .. فيخرج
نقيا .. خالصا ..

وجمع الله على يوسف غرتين في هذا الأمر ..
فقد كان من قبل هذا غريبا .. لأهل له في مصر .. وكان يجد في حياته في رعاية امرأة
العزیز وصاحبها .. شيئا من العوض عن فقد أهله جميعا ..

ثم هاهو الآن تجتمع عليه غربة جديدة .. فيدخل السجن .. ويعزل عن مجتمع الطبقة
الراقية الذى كان يعزبه شيئاً ما عن غربته ..
غربتان .. تجتمعان على يوسف ..
وتلك ضريبة النبوة .. وتجربتها .. يعانها !!
وآية أخرى ..
أن يوسف دخل السجن وهو البريء مع فتيين ..
أى مع مملوكين .. مثله فى المملوكية .. مستعبدين مثله . قد ذاقا آلام الاسترقاق ..
وذلل الاستعباد ..

ولعل هذا بما أرقع الصداقة بينهم .. وألف بين قلوبهم ..
كأن هذين الفتيين .. فى نفس المستوى الوظيفى الذى كان فيه يوسف ..
فيوسف كان مديراً لقصر الأمير .. وزير الداخلية ..
وهذان .. أحدهما رئيس سقاة فرعون .. والثانى رئيس طعام فرعون ..
نفس المستوى تقريباً ..

ثم ماذا؟ ثم كلمة .. عن الرؤى والأحلام فى حياة السجن ..
إنها شىء مهم جداً .. فالسجين رجل انقطعت كل أسباب حياته .. أو الغيت
حياته حين ألغيت حريته ، فهناك كبت شديد فى باطنه .. يتحول إلى أحلام ورؤى
فى منامه ..

ولذلك تجدد فى حياة السجن سبيل دائم لا ينقطع من الرؤى والأحلام التى تكون
من السجناء ..

ويكونون أشوق ما يكون لإنسان إلى من يعبرها لهم .. ويدلمهم على تأويلها ..
لأنها هى الخيط الوحيد الباقى لهم فى الحياة .. ووسيلة الإخبار الوحيدة عندهم !!
ولا يعرف قيمة الحلم .. وتعبير الحلم .. فى حياة السجن .. إلا من عانى تجربة السجن ..

وفهم من ذلك أن يوسف اشتهر شهرة كبيرة في السجن .. بسبب امتيازه بعلم التعبير .
وأن المساجين كانوا يهرعون إليه .. ليمر لهم رؤاهم ..
وأن سلوكه لراقي .. وأخلاق النبوة التي كان يتحلل بها في السجن .. رفعت من مقامه
في أعينهم جميعا ..

فليس أوقع من الفعل الجميل في نفس السجين ..

إنه يعيد إليه الثقة في الحياة .. ويرد إليه الأمل في الناس ..

فشهرة يوسف في السجن ... كانت لسببين ..

أخلاقه العالية جدا .. التي تعتبر شيئا نادرا وجوده في هذا المجتمع المليء بالمدننين .

وعلم الرؤيا التي آتاه الله تعالى .. وماله من أهمية عند المساجين ...

ثم دأبه على نشر الدعوة إلى الله بكل وسيلة في تلك القلوب الميتة .. اليأس .. التي

ينست من الله .. ومن الناس ..

فكان دخوله السجن رحمة لمؤلاء جميعا .

ورحمة لنفسه .. أن انكشف لها ما لم تكن تعلم من قبل ..

ورحمة مستقبله لأهل مصر جميعا .. حين يحكمهم .. فيشعر بالآلامهم .. وأحلامهم ..

فيسوسهم سياسة الرحمة والشفقة .. والحرية .. والمساواة .. ويتقن فيهم أن يظلم منهم أحدا

بعد أن ذاق مرارة الظلم .. واتهام الأبرياء ..

ثم ماذا .. ثم بين عليه السلام ، لها بأن مارأياه سهل التأويل ، لوجود مثاله في المنام

وأن له علما فوقه ، وهو أنه يبين لها كل جليل ودقيق من الأمور المستقبلية ، وإن لم يكن

هناك مقدمة المنام ، حتى إن الطعام الموظف الذي يأتيهما كل يوم ، يبينه لها قبل إتيانه ،

وأن ذلك ليس من باب السكاهنة ، بل من الفضل الرباني لمن يصطفيه بالنبوة ، وهذا معنى

قوله تعالى :

قَالَ لَا يَا تَيْكَمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأُ تَيْكَمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَا تَيْكَمَا
ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ
هُمْ كَافِرُونَ .

« قال » قال يوسف .

« لا يأتيكما طعامٌ ترزقانه » يوزع عليكما ، كنعين يومي ، كما يوزع على المساجين .
« إلا نبأتكما » إلا أخبرتكما .

« بتأويله » الاذكرته لكم قبل أن يحضر إليكم ، وعينته لكم قبل أن نراه .
بأن يقول : يأتيكما طعام كيت وكيت ، فيجدانه كذلك .

ومراده - عليه السلام - بذلك : بيان كل ما يهيمها من الأمور المرتقبة قبل وقوعها .
وإنما تخصيص الطعام بالذكر لكونه عريقاً في ذلك ، بحسب الحال ، مع ما فيه من
مراعاة حسن التخلص إليه مما استعبراه من الرؤييين المتعلقين بالشراب والطعام .
« ذلكما » ذلك التأويل والإخبار بالمغيبات .

« مما علمني ربي » شيء مما تفضل به عليّ ربي ، فعلمني من لدنه ، بالوحي ، والإلهام ،
لامن التكهن والتنجيم .

وفيه إشعار بأن له علوماً جمة ما سمعاه شذرة من جواهرها .

وإنما يكشف لهم من علومه الجليلة ، ما يتناسب مع استعدادهم ليس إلا ..

« إني تركت ملة قوم » المراد بتركه ملة الكفر الامتناع عنها رأساً ..

إني نبذت أسلوب قوم .. طريقة قوم .

« لا يؤمنون بالله » لا يصدقون بالله ، ولا بذاته ، ولا بصفاته ، ولا بوحده التوحيد

الحقيقي .. الخالص .

« وهم بالآخرة هم كافرون » منكرون لليوم الآخر .. أشد الانكار ..

اشعاعات

غاب عن الكثيرين أهمية الاخبار بالطعام قبل توزيعه في حياة المساجين .. ونقول هنا .. أن أهم شيء عند المساجين أن تبشرهم ماذا سوف يأكلون ؟ ذلك أنهم مساكين .. لا يجدون شيئاً يؤكل إلا ما يوزع عليهم من طعام محدد .. معلوم ..

وأنه محرم عليهم أن يأكلوا .. أو يجدوا ما يأكلون .. غير المفروض عليهم يومياً .. فإذا وجد الشخص الذي يبشرهم بما سوف يأكلون اليوم .. أو الوجبة القادمة .. فإنهم يفرحون لذلك أشد الفرح .. خاصة إذا بشرهم بوجبة فيها شيء مما يشتهون . وترام جميعاً إليه يتطلعون .. في لهفة وترقب !!

ثم ماذا .. ثم في قول يوسف « ذلك كما علمني ربي » اشعاع جميل .. أن يوسف ذوعلم .. واسعة .. علمه الله إياها .

وأن لكل نبي عند ربه فضلاً عظيماً .. يختصه به دون غيره .. وأن يوسف كان ذا إحساس عظيم بفضل الله عليه .

وأن المأساة .. مأساة السجن .. لم تؤثر في روحه المعنوية .. بل كان له من علمه بالله .. ومما عامه ربه .. عالمه الباطن الذي يسعد فيه .. ويرقى إليه .. فلا يشعر بشيء من آلام الظاهر التي في السجن .

وأن يوسف شيء عظيم جداً جداً .. يتشعشع ذلك من قوله « مما علمني ربي » فهناك في قلبه علوم عظيمة مكنونة ..

وأن حلوله - عليه السلام - في السجن كان رحمة لهم جميعاً ..

أشاع في جسيم السجن تياراً من الرحمة عظيماً ..

فتحول السجن إلى دعوة ربانية .. يقوم بالدعاية إليها نبي كريم .. وشخصية

عظيمة .. هي شخصية يوسف ذات المهابة .. والقوة ..

وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ
بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يَشْكُرُونَ .

« واتبعت ملة » واتبعت طريقة .. وأسلوب ..

« آباؤى » أجدادى

« إبراهيم » الذى اتخذہ الله خليلاً .. جدى لأبى ..

« وإسحاق » جدى ..

« ويعقوب » أبى ..

« ما كان لنا أن نشرك بالله » ما صح ولا استقام ذلك لنا ، فضلا عن الوقوع ..

وإنما عبر عنه بذلك ، لسكونه أدخل بحساب الظاهر فى اقتدائهما به عليه السلام ..

والتخصيص بهم ، مع أن الشرك لا يصح من غيرهم أيضاً ، لأنه يثبت بالطريق

الأولى .

أو : المراد نفي الوقوع منهم لعصمتهم .

« من شىء » أى لا نشرك به شيئاً من الأشياء ، قليلاً أو كثيراً ، صنماً أو ملكاً أو

جنياً أو غير ذلك .

« ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس » يعنى عدم الإشراف بالله ، وهو التوحيد ،

من نعم الله العامة . التى يجب شكره تعالى على الهداية لها بالقطر السليمة ، ونصب الدلائل

الأنفسية والآفاقية .

« ولكن أكثر الناس لا يشكرون » ولكن أكثر الناس نبذوا هذه النعمة بعد

ماحق عليهم شكرها .

اشعاعات

من ابن ليوسف أن يعزف أن آباءه كانوا إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، وأنهم كانوا على ملة التوحيد ، وقد بيع صغيرا لا يدرك من أبوه ولا من جده ؟
الجواب .. « ذلك مما علمني ربي » ..
بالوحي .. إنها النبوة .. هي التي تتكلم الآن ..
كشف الله له الغطاء .. فعله مما كان .. وما سيكون ..
فهو - عليه السلام - يقرأ من النيب باذن ربه ..
ولذلك يقول يوسف .. احساسا بتلك النعمة الجليلة .. نعمة النبوة .. « ذلك من فضل الله علينا » ..

أرأيت ؟ .. يوسف يعلم عنده الشعور بالمنة فيسجله تسجيلا جميلا ..
ومن أوفى بنعمة الله من الانبياء ؟ !
ثم ماذا ؟ ثم فيها نواميس ..
الناموس الأول .. ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ..
هناك استحالة أن يشرك الأنبياء بالله أى شيء ..
انهم عباد لله وحده .. لا يرون سواه .. ولا يثبتون وجودا الا له .. فستحيل أن يكون منهم اى شرك بالله .

وتلك قمة التوحيد .. التي لا يرق إليها الا ايام ..
هم في أعلى عليين من ادراك حقيقة التوحيد ..
انكشفت لهم الحقائق .. فادركوا من الحق ما لم يدرك سواهم ..
وذلك اعلى انواع التفضل التي يمكن أن يتفضل الله بها على بشر .. « ذلك من فضل الله علينا » ..

الناموس الثانى .. « وعلى الناس » .. إن الناس جميعا يدعوم الله تعالى إلى ذلك ..
لهرقوا في معاريحها قدر طاقتهم .. فيمسسهم فضله .. ويرتفع بهم إلى منتهاه ..

الناموس الثالث .. «ولكن أكثر الناس لا يشكرون» .. أن أكثر الناس لا يريدون هذا الفضل .. ولا يرغبون فيه .. ولا يحسون أنه نعمة .. ويعرضون عنه اعراضا كبيرا .
لماذا؟ .. لأنهم يكفرون بالموضوع من أساسه ..

يكفرون بفكرة التوحيد الخالصة .. ولا يطبقونها .. فكيف يشكرون شيئا لا يحسون له بقيمة في أنفسهم؟!
هناك استحالة ..

الناموس الرابع .. أن يوسف يرى أن اعظم الفضل .. أن يتفضل الله على عبد فيعرفه تلك العلوم العليا .. علوم العلم بالله .. وادراك حقيقة التوحيد الخالصة .
ومارآه يوسف .. هو ما يراه الانبياء جميعا .
وهو الحق .. لأن الانسان كلما ازداد علما بالله .. كانت فكرته عن الأمور أشمل وأكمل ، وحكمه عليها ادق واحكم .

يَا صَاحِبِ السِّجْنِ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ .

« يا صاحبي السجن ، يا صاحبي في السجن .. يا صديقي .

« أرباب متفرقون خير » أرباب شتى تستعبد الناس خير لهم .

« أم الله الواحد القهار » أم أن يكون لهم رب واحد قهار لا يغالب ؟

وفي قوله : (أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ) إشارة إلى ما كان عليه أهل مصر لعهدده - عليه

السلام - من عبادة أرباب شتى .

قالوا : كما أن مصر كانت تغلبت في العلوم والسلطة ، كذلك في عبادة الأصنام ، فإن

أهلها فاقوا كل من سواهم في الضلال ، فكانوا يسجدون للشمس والقمر والنجوم

والأشخاص البشرية والحيوانات ، حتى الهوام وأدنى حشرات الأرض .

وقالوا: « دلت الآية على أن الشرع كما جاء مطالبا بالاعتقاد ، جاء هاديا لوجه الحسن فيه .

« وذلك أن هذه الآية تشير إشارة واضحة إلى أن تفرق الآلهة يفرق بين البشر في وجهة قلوبهم إلى أعظم سلطان يتخذونه فوق قوتهم .

« وهو يذهب بكل فريق إلى التعصب لما وجه قلبه إليه .

وفي ذلك فساد نظامهم كما لا يخفى .

« أما اعتقاد جميعهم بإله واحد ، فهو توحيد لمنزاع نفوسهم إلى سلطان واحد ، يخضع

الجميع لحكمه ، وفي ذلك نظام أخوتهم . وهي قاعدة سعادتهم .

« فالشرع جاء مبيّناً للواقع في أن معرفة الله بصفاته ، حسنة في نفسها ، فهو ليس مُحدِثاً

الحسن . »

اشعاعات

فيها ناموس عظيم .

هو « أرباب متفرقون خير أم الله الواحد . » .

يؤكد هذا الناموس أن فكرة تعدد الآلهة فكرة باطلة .

وأن الله يتحتم أن يكون واحداً .

لماذا؟ الجواب هو آخر كلمة في الآية .. « القهار » .

لأن الله قهار .. يقهر كل شيء .. ويخضعه لسلطانه .. فن الحتم التوجه إلى مصدر القوة

والتسلط الحقيقي .. إلى الله .

فبها عبد الإنسان من شيء من دون الله .. فإن هذا الشيء مربوب لله .. خاضع لسلطانه

مقهور تحت جبروته .. فهو لا يملك لنفسه شيئاً .. فن العبث أن يعبد الإنسان شيئاً هذا

حاله من الضعف ..

وأن من الخير للإنسان أن يتجه إلى ذلك الإله الواحد .

وأهم بذلك إنما يتجاوزون مع الناموس الطبيعي .. والفطرة التي فطرهم الله عليها .
وأبعد ما يكون الإنسان حين يتلاقى سلوكه .. واتجاهه .. مع فطرته !!

-- ٤٠ --

مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ
بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ
الْقَيُّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ .

« ما تعبدون من دونه » ما تعبدون من دون الله .. ما تعبدون متجاوزين عبادته تعالى
« إلا أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم » يعني أنكم سميت ، مالا يستحق الإلهية آلهة ، ثم
طفقتم تعبدونها ، فكأنكم لا تعبدون إلا أسماء فارغة لامسميات تحتها .

« ما أنزل الله بها من سلطان » من حجة تدل على صحتها .

« إن الحكم » في أمر العباداة والدين .

« إلا لله » لأنه مالك ، وهو لم يحكم بعبادتها لأنه ..

« أمر ألا تعبدوا إلا إياه » لأن العباداة غاية التذلل ، فلا يستحقها إلا من له غاية العظمة

« ذلك » ذلك التوحيد الدال على كمال عظمة الله ، بحيث لا يشاركه فيها غيره .

« الدين القيم » الدين الحق المستقيم ، الثابت .

« ولكن أكثر الناس لا يعلمون » أي لجهلهم ، ولذا كان أكثرهم مشركين .

قالوا: لا يخفى أن قوله تعالى: (قال لا يأتيكما طعام) إلى هنا ، مقدمة لجواب سؤالها

عن تعبير رؤياها ، مهد - عليه السلام - بهاله ليدعواها إلى التوحيد ليزدادا علما بعظم شأنه ،

وثقة بأمره ، توسلا بذلك إلى تحقيق ما يتوخاه من هدايتهما ، لاسيما وأن أحدهما ستعاجله

منيته بالصلب ، فرحا أن يختم له بخير .

اشعاعات

كل شيء بعيد من دون الله إنما هو وهم من الاوهام .. التي لا حقيقة لها .
لقوله « ماتعبدون من دونه إلا أسماء سميتوها » . اوها ما اخترعتموها .. وتخيّلتموها ..
وتصورتموها ثم عبدتموها
والإنسان عبد أو هامه دائماً .. يتوهم ما لا وجود له .. ثم ينتهي به الأمر إلى عبادة
ذلك الوهم !!
في قوله « إن الحكم إلا لله » .. فيها ناموس عظيم .. إن الدين الحق هو ما شرعه الله ..
لا ما وضعه الناس .
لأن الله هو مالك هذا الملك .. والحكم لا يكون إلا لمن ملك .
فإذا شرع الله لعباده .. الذين يملكهم ؟
« أمر ألا تعبدوا إلا إياه » .. أمر ألا يعبد شيء سواه .
وهذا منطوق طبيعي .. إله .. خلق خلقاً .. فمن حقه أن يأمرهم بما شاء منهم .
فكان أمره إليهم .. لاتعبدوا إلا إياي .
ومن عجائب توافق رسالات الرسل جميعاً .
أن يوسف عليه السلام يقول « أمر ألا تعبدوا إلا إياه » ..
ثم يأتي محمد صلى الله عليه وسلم في آخر الزمان .. ويعلن نفس الناموس ..
« إياك نعبد .. وإياك نستعين » !!
وهكذا .. تتحد رسالاتهم .. ولن تجد لسنة الله تبديلاً .
وفيها أن عبادة الله وحده .. هو الدين القيم .. المستقيم .
وأن أي اتجاه آخر غير هذا .. انحراف .. وضلال بعيد ..
وفيها أن الأغلبية العظمى من الناس لا تعلم هذه الحقيقة البسيطة .. حقيقة التوحيد .
وتنصرف عنها لجهلهم بها دائماً ..

وهذا واضح جداً .. لو ألقينا نظره شاملة على الكرة الأرضية الآن .. ثم تفكرنا كم
من سكانها يدين بعقيدة التوحيد الخالصة ؟

قليل .. قليل جداً !!

-- ٤١ --

يَا صَاحِبِ السِّجْنِ أَمَا أَحَدُكُمْ فَهَسَقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَا الْآخِرُ فَيُصَلِّبُ
فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ .

« يا صاحبي السجن » يا صديقي في السجن .

« أما أحدكما فيسقى ربه خمرًا » أما أحدكما فيخرج من السجن ويعود إلى ما كان عليه

من سقى سيده الخمر .

« وأما الآخر فيصلب » فيحكم عليه بالإعدام ، ويقتل ، ويعلق على خشبة .

« فتأكل الطير من رأسه » فتأتى الطيور وتنقض على لحم رأسه وتأكل منه .

« قضي الأمر الذي فيه تستفتيان » قطع ، وتم ، ما تستفتيان فيه .

يعنى مآله ، وهو نجاة أحدهما ، وهلاك الآخر .

والتعبير عنه بـ (الأمر) وعن طلب تأويله بـ (الاستفتاء) تهويلا لأمره ، وتفخيما

لشأنه ، إذ الاستفتاء إنما يكون في النوازل المشككة للحكم ، المهمة الجواب .

وإيثار صيغة الاستقبال ، مع سبق استفتائهما في ذلك ، لما انهما بصدده ، إلى أن يقضى

— عليه السلام — من الجواب وطره .

أو قضي الأمر الذي فيه تستفتيان . بمعنى : فرغ من أمركما .. عند أهل السلطة ..

وصدر حكمهما بشأنكما .. أن يقتل أحدكما صلبا .. ويبرأ الآخر ويفرج عنه فورا ..

أى : انتهى الأمر .. وصدر الحكم .. ولا رجعة فيه .. أحدكما سوف يقتل .. والآخر

سوف يفرج عنه فورا ..

اشعاعات

فسر يوسف - عليه السلام - لها رؤياها .
فكان تفسيره بشرى بالإفراج عن أحدهما .. وخروجه من السجن .. وعودته إلى
عمله كما كان في القصر الملكي .. رئيساً للسقاة ..
بينما كان تفسيره صاعقة انقضت على رأس الآخر .. قبل أن تنقض عليه الطيور تأكل
من رأسه ..

ذلك أنه أخبره أنه سوف يقتل صلباً .. وتعلق جثته .. وتنهش الطيور الجارحة !
والآية تدل على أن يوسف كان يخاطب رجلاً محكوماً عليه بالإعدام ..
أي رجلاً لا أمل له في شيء في الحياة .. وإنما ينتظر الموت .. في كل لحظة ..
ولعل هذا هو ما جعل يوسف يواجهه بالحقيقة .. لينقذه من ضلاله في آخر لحظة
من حياته .

فرجل كهذا .. أغلب الظن أنه ارتكب جريمة القتل العمد .. لذلك كانت عقوبته
القتل صلباً ..

فهو رجل مجرم ... شديد الإجرام ..
يضاف إلى ذلك صدور الحكم عليه بالإعدام صلباً .. فهو رجل يائس من أي خير .
يضاف إلى ذلك أنه رجل كافر .. لأنه لا يعرف الله .. وإنما يعبد أوهاماً ..
اجتمعت عليه ظلمات ثلاث ... بعضها فوق بعض .

ظلمة الإجرام .. والإسراف في الإجرام .. وظلمة اليأس من الحياة .. وظلمة الكفر
بالله .. والانحراف عن طريقه ..

فمثل ذلك الرجل لا بد لإيقاظه من قوارع تصك كيانه وتهزه هزاً عنيفاً ليستيقظ ..
وهذا ما فعله يوسف - عليه السلام - قذفها في وجهه « وأما الآخر فيصلب » سوف
تقتل أيها الرجل ..

كلمة رهيبية .. أن تقول لإنسان ينتظر مصيره الرهيب في السجن « سوف تقتل » ..
ولكن يوسف صكه بها ليوقله .. ليخرجه من ظلماته ..
ثم زاده قرعا .. « فتأكل الطير من رأسه » !
يالها من قارعة .. يربع لها الحجر رعبا شديدا ..
كل ذلك لتنهار معنويات الرجل ، ويستسلم لأى يد تمتد لتنقذه مما هو فيه ..
وقد كان ... وامتدت يد يوسف - عليه السلام - لتخرجه من ظلمات الإجرام
والياس والكفر .. إلى نور الإيمان بالله .
ومثل هؤلاء .. الذين يكونون فى انتظار تنفيذ حكم الاعدام فيهم .. هم أقرب الناس
إلى الاستجابة للحق إذا دعوا إليه ..

تعريضهم حالة تصوف عالية جدا ..
لأنهم عابنوا الحقيقة .. وأصبحوا على حافة الآخرة !!
فى قوله « قضى الأمر » .. نبوءة ليوسف - عليه السلام -
أى أن الافراج عن الاول .. والحكم باعدام الآخر ..
قد تقرر .. وصدرت أحكامه .. وهو فى طريقه إلى التنفيذ ..
وذلك لا يكون علمه .. إلا بوحى يوحى !

وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهَا أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ
ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ .

« وقال » وقال يوسف ..

« للذى ظن » للذى أيقن ، وتأكد له ..

« أنه ناج منها » للذى علم نجاته من القتين ..

أى خلوصه من السجن والقتل .. وبرأته منها ، وهو الساقى ..

« اذكرني عند ربك » اذكر حالي وصفتي ، وعلى بالرؤيا ، وما جرى علي ، عند الملك سيدك ، عسى يخلصني مما ظلمت منه .

اشرح قصتي ومظلمتي للملك .. فانت تخلو به كثيرا ..

قل له هناك رجل اسمه يوسف ، مظالم في السجن .. كان معي .

وليس له من جريمة إلا أنه أبي أن يأتي امرأة العزيز .. زوجة وزير داخلتيك .. فلفقوا

له التهم ظلما .. وقذفوه إلى السجن ..

اكتشف يا صاحبي للملك حقيقة أمري .. لعله يخرجني من سجنى ..

« فأنساه الشيطان ، فأنسى الشيطان .. يوسف .. »

« ذكر ربه » ذكر ربه الذي خلقه ، وابتلاه بالسجن لحكمة يريد بها ..

« فلبث » فكث .

« في السجن بضع سنين » عدد سنين .. سبع سنين ..

زيادة تربية له .. لما كان منه ..

اشعاعات

في هذه الآية انوار تتعالى .. وتماوج بعيدا ..

قال مرة « اذكرني عند ربك » ..

ومرة « فأنساه الشيطان ذكر ربه »

أما الرب في الأولى .. فهو فرعون .. الذي يملك العفوعه .. ويملك اخراجه من

السجن ..

وأما الرب في الثانية .. فهو الله .. الذي يملك فرعون ، وأسباب فرعون .

وكان درسا قاسيا .. أدب يوسف أحسن تأديب ورباه أعلى تربية .. شيء طبيعي

جدا .. أن يقول المسجون لزميله في السجن .. الذي تقرر الافراج عنه .. وخروجه إلى

الحياة .. خصوصا إذا كان هذا المفرج عنه ذا منصب رفيع .. مديرا للبروتوكول ..

أوصى يوسف صاحبه أن يذكر قصته عند الملك .. عسى أن يأمر الملك بإخراجه من السجن .

شئ طبيعي هذا .. أن يسعى رجل مظلوم إلى رفع الظلم عن نفسه ..
ولكن هذا يكون مباحا .. بل مطلوباً .. ممن هم دون مقام يوسف ..
أما يوسف .. فله مقام آخر عند الله ..

إنه من عبادة المُخْلِصين .. ومثل هؤلاء لا يرضى الله لهم إلا إسقاط الأسباب والتوجه المباشر إليه .. هناك يتولاهم هو .. ويخرجهم من السجن هو ..
من أجل ذلك كان الرد عنيفا .. والمؤاخذة أشد ..
أوصى يوسف الرجل أن يذكره عند ربه ..

فماذا حدث ؟ .. خرج الرجل .. وانهمك في مسئولياته .. ونسى أن يذكر قصة يوسف للملك ..

وكانت النتيجة أن قضى يوسف سبع سنين في السجن .. يصلى سعيها ..
إنه مقامهم ..

لا يرضى منهم .. الامراضيه لابراهيم حين عرض له جبريل .. وهو يلقى في النار ،
فقال . ألك حاجة يا ابراهيم ؟ .. قال : أما إليك فلا !!!

وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُرْنَ سَبْعَ عِجَافٍ وَسَبْعَ
سُفْهَاتٍ مُخْضِرٍ وَأَخْرَجَ يَا بَسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ لِيْنَ كُنْتُمْ
لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ .

« قال الملك ، وقال فرعون ملك مصر .. لمن حوله من الكبراء والمسؤولين .
« إِنِّي أَرَى » في المنام .

«سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف» كأن سبع بقرات سمان يأكلهن سبع بقرات عجاف ، أى هالكات من الهزال .

جمع عجفاء ، بمعنى المهزولة ، ضد السمينه .

« وسبع سنبلات خضر » ورأى رؤيا ثانية كأن سبع سنبلات ..

« وأخر يابسات » أى وسبعا أخر يابسات دقيقة ، أى نبتت وراءها ، فابتلمت

السنابل الخضر المتلثة .

ولمّا استغنى عن عددها وإعدامها للخضر ، للاكتفاء بما ذكر من حال البقرات لأنها

نظيرتها ..

« يا أيها الملا أفتونى فى رؤياى إن كنتم للرؤيا تعبرون » يأيها الأمراء والكبراء

أفتونى فى منامى إن كنتم للنمام تفسرون .

خطاب للأشراف من قومه ، وللعلماء من مملكته .

وكان دعا ، اثر استيقاظه ، سحرة مصر وحكامها ، وعلماءها ، وقص عليهم رؤياه هذه ..

قالوا أضغاث أحلامٍ وما نحن بتأويلِ الأحلامِ بعالمين .

« أضغاث أحلام » تخاليط أحلام .

جمع ضغث . وفى الأصل ما جمع من أخلاط النبات وحُزِمَ ، ثم استعير لما تجمه

القوة التخيلية من أحاديث النفس ووساوس الشيطان ، وترىها فى المنام .

و (الأحلام) جمع (حلم) وهو ما يراه النائم ، فهو مرادف للرؤيا ، إلا أنها غلبت

فى رؤيا الخير ، والشئ الحسن ، وغلب الحلم على خلافه . وفى الحديث : الرؤيا من الله ،

والحلم من الشيطان .

والمراد بالجمع فى (الأحلام) ما فوق الواحد ، لأنها حلمان ، رأى كل واحد منهما

اثر استيقاظه منه ، كما روى .

« وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين » وما نحن بتفسير الأحلام الباطلة بعالمين .. وإنما التأويل للرؤيا الصادقة ..

أى : ولأن تأويل للأحلام الباطلة ، فنكون به عالمين ..
وقول الملك لهم أولا : (إن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ) دليل على أنهم لم يكونوا في علمه عالمين بها . لأنه أتى بكلمة الشك ، وجاء اعترافهم بالقصور مطبقا لشك الملك الذي أخرجه مخرج استفهامهم عن كونهم عالمين بالرؤيا .

- ٤٥ -

وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ .

« وقال الذى نجا منها » وقال الذى نجا من صاحبه السجن ، وهو مدير الشراب .. وهو الساقى .

« وادكر بعد أمة » وتذكر بعد مدة وكان تذكره على ما روى بعد بضع سنين .
« أنا أنبئكم بتأويله » أنا أخبركم بتفسيره ، بالتلقى عن علمه ، لامن تلقاء نفسه .
ولذلك لم يقل : أنا أنبئكم فيها .
« فأرسلون » فابعثوني إلى يوسف ، وإنما لم يذكره ، ثقة بما سبق من التذكر ..

- ٤٦ -

يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُنَّ مِنْ حَبِّ سَبْعِ عَجَافٍ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلَّ أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ .

« يوسف » فذهب اليه في السجن ، فقال : يا يوسف ا
« أيها الصديق » بامن عرفنا صدقك في كل أحوالك ..

ودات الأيام على صدق ما أولت لنا من أحلام رأيناها وقصصناها عليك ..

يوسف .. أيها الصادق .. العظيم !.

« أفنتا » أول لنا تأويلا مريعا ..

« في مع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف » .. لقد رأى الملك رؤيا عجيبة ... رأى كأن سبع بقرات سمان .. عظام الجنة .. يخرجن من النهر ... ثم جاء من بعدهن سبع بقرات مهزلات .. خرجن من النهر .. وابتلعنهن ابتلاعا ..

« وسبع سنبلات - خضر وأخر يابسات » كما رأى الملك رؤيا ثانية .. كأن سبع سنبلات

خضر .. يأكلن سبع سنبلات يابسات ..

أفنتا أيها الصديق في هاتين الرؤيتين ..

فإن الملك قد جمع عظماء دولته .. وسألهم تعبير ما رأى .. فلم يستطيعوا له جوابا ..

« لعلى أرجع إلى الناس » وإني لأرجو أن أعود إلى الملك والذين اجتمعوا من

حواله .. يعا ..

« لعالمهم يعلمون » وإني لأرجو أن أخبرهم بتفسيرك .. وأرجو أن يعلموا بسبب

ذلك تفسير ما رأى الملك .. وبالتالي يعرفون فضلك وعلمك وبراءتك ونزاهتك ..

فيعيدوا النظر في حكمهم عليك بالسجن .. ويخرجوك منه اخراجا كريما ..

اشعاعات

يوسف !؟

فيها إشارة لطيفة .. إلى ما كان من شوق ولهفة في ذلك اللقاء ..

وكم يكون رقيقا .. ومؤثرا .. لقاء الأصدقاء .. بعد غيبة طويلة !؟

فسكيف .. وهذا الرجل الذي نجا .. إنما توثقت الصداقة بينه وبين يوسف وهما في

السجن وتوطدت .

وها هو يعود إلى السجن بعد سنين .. ليرى يوسف .. مازال في بلائه ..

يعانى اذلال السجون وآلامها .. بينما هو فى عزه الحريه ولذائذها .
كان لقاء مؤثرا ..

وكان لهذا اللقاء رد فعل عنيف فى نفس الرجل ..

حين جىء يوسف فى اذلال السجين .. إليه ..

فما أن رآه .. حتى تلقاه فى تأثر بالغ .. وهتف به : يوسف !!؟

ثم ازداد تأثره .. ، وانفجرت عيناه بالبكاء ، لما يرى من اهانة يوسف .. وهو يعلم

أنه خير الناس .. وأعلمهم .. وأحكمهم .. وأنزههم ..

فهتف به أيها الصديق .. أيها العظيم يوسف .. أيها الصادق فى كل شيء ..

أيها المبتلى من أجل صدقك .. ولو كنت من الكذابين الخادعين ما دخلت السجن

ولا ابتليت ..

فاذا كان من العظيم ؟

قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا
قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ .

« قال » قال يوسف لصاحبه .

« تزرعون سبع سنين دأبا » دائبين مواظبين كل عام منها ..

« فاحصدتم » فاحصدتم من الزرع ..

« فذروه فى سنبله » فلا تدرسوه ، وإنما اتركوه فى سنبله ، فانه أبقي له وأحفظ ..

« إلا قليلا مما تأكلون » ويستثنى من ذلك قدر ما تستهلكون سنويا .. قدر ما يأكل

اشعاعات

ما هذا ؟ .. هذا يوسف .. عليه السلام .. يتلألاً .. وهذا ما آتاه ربه يتجلى ..
وحين يأذن الله تعالى لفضله أن يظهر .. يكون منه العجب ..
إن يوسف يقرأ من صفحة الغيب .. يطالع فيها ويتلو .. كأنما قد نشرت له السنون
القادمة .. ورأى جزئياتها ..

وتفصيلاتها .. فجعل يتحدث بتفصيل ما سيكون ..
تزرعون سبع سنين .. سيكون النيل فيها مرتفعا .. والخير عميما .. والمحاصيل عظيمة
نامية .. سبع سنين متواليات .. تبدأ بون أيها المصريون فيها .. على الزراعة .. وتتوافر
لكم فيها كميات هائلة من القمح والشعير وغيره من المحاصيل .
ثم ماذا ؟ .. ثم يخطط يوسف لهم .. التخطيط الواجب أن يسبروا عليه في تلك السنين
السمان ..

فاحصدتم فذروه في سنبله .. فاجمعتم من القمح والشعير .. والقول والذرة ..
فذروه في سنبله .. فدعوه .. في سنبله .. في أغلافه .. كما هو .. فيما عدا ما يخصص
للاستهلاك السنوي للشعب ..

فامعنى هذا ؟

معناه أن علوم النبوة التي آتاها الله يوسف .. واختصه بها .. قد تفجرت .. وجاء حينها ..
معناه أن الله يسوق بدايات التمكين ليوسف في الأرض .
وأن الله .. وإن ألقى يوسف في السجن .. ولكنه تعالى يراه .. ويتولاه .. ولا ينساه !

ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا
مِمَّا يُحْصِنُونَ .

« ثم يأتي من بعد ذلك » ثم يأتي من بعد السنين السبع المذكورات .
« سبع شداد » سبع سنين صعب على الناس ، لقوة القحط ...

ثم يستمر انخفاض الفيضان .. سبع سنين متتابعات .. حتى تكون شدة .. وتنخفض
المساحات المزروعة .. لقلة المياه ... وتكون مجاعات ..
« يأكلن ما قدمتم » يستهلكن ما ادخرتم ..
بأكلن ما دفعتم لهن من الحبوب المتروكة في سنا بلها .

ولما عبر عن البقرات بالسنين ، نسب الأكل إلى السنين ، كما رأى في الواقعة البقرات
بأكلن حتى يحصل التطابق بين المعبر وهو المرئي في المنام ، والمعبر به ، وهو تأويله .
« إلا قليلا مما تحصنون » مما تحرزون وتخبثون للزراعة .

ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ .

« ثم يأتي من بعد ذلك » ثم يأتي من بعد السنين السبع الشديدة ، التي استهلك
جميع ما ادخره الناس من حبوب ..

« عام » سنة مباركة ، كثيرة الخير ، غزيرة النعم .
« فيه يغاث الناس » فيه يمطرون من الميث ... أي تسقط فيه أمطار غزيرة في منابع
النيل ... فيأتي فيضان عال جدا ... يغمر الأراضي كلها ... وتزدهر البلاد بالخصب
والحاصيل الوفيرة ...

أو تسقط أمطار غزيرة على البلاد المصرية نفسها .. تعوض الناس ما كان من انخفاض
مياه النيل .

أو : يغاث الناس من القحط والمجاعات .
أو : يرفع عنهم مكروهه .. من العوث ..

« وفيه يعصرون » ما كانوا يعصرونه على عاداتهم ، من عنب ، وزيتون ونحوها ..
وقيل : معنى (يعصرون) يجلبون الضروع .
واللفظ بعموم معناه يشمل ، لأن الحلب فيه عصر الضرع ليخرج الدر .
قالوا : تأول البقرات السماء ، والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب ، والمعجاف ،
واليابسات بسنين مجدبة ، ثم بشرهم أبعد الفراغ من تأويل الرؤيا بأن العام الثامن يحىء
مباركا خصيبا ، كثير الخير ، غزير النعم ، وذلك جهة الوحي .

اشعاعات

وهكذا .. انفجرت النبوة عيوننا .. وانطلقت إشعاعاتها ذات اليمين وذات الشمال !!
الرجل يستفتى يوسف - عليه السلام - في تعبير رؤيا الملك .. فيفسر له الرؤيا
الأولى والثانية

ثم لا يقف عند هذا الحد .. بل ينبئهم بما سيكون بعد تلك السنين الأربعة عشر ..
ستأتي السنة الخامسة عشر سنة رخاء وسخاء ..

أمطار غزيرة في بنابيع النيل .. تجرى منه فيضانات مرتفعة جدا في النيل ..
وأمطار غزيرة على سائر البلاد .. تخضر لها الأرض وتهتز ..
ويبلغ من ازدهار الزراعات والبساتين في البلاد ..

أن العنب يكثر جدا .. ويزيد عن استهلاك المصريين .. فلا يجدون أمامهم إلا أن
يعصروه .. ويخترنوه ، وكذلك سائر المحاصيل .. من الفواكه .. كالبرتقال وازيتون ..
تزيد عن استهلاك الشعب .. فيعصروها .. ويخترنوها .. نرابا .. أوزيتا .. أو غير
ذلك ... من أفانين الاختزان ..

عام .. سوف يعوض الناس ما كان من قحط وشدة طيلة السنين السبع الشداد ..
فما معنى هذا ؟

إن الرجل لم يكن يطعم في أكثر من تفسير رؤيا الملك ..

فإذا بيوسف يفسر له الرؤيا ...
بل يخطط للدولة كلها وهو في سجنه وبلائه .. ما ينبغي عليهم أن يفعلوه ليتقوا آثار
المجاعة الممتدة سبع سنين شديدة ..
ثم ليس كذلك .. بل يبشرهم جميعاً .. بما سيكون بعد ذلك من رخاء عميم ..
ثم لا يقف عند هذا .. بل يبلغ به الأحكام .. أن يحدد لهم كل شيء تحديداً ..
إنها النبوة تتفجر .. « ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها .. »
لقد كانوا ارحمة .. وأى رحمة ! ؟

وَقَالَ الْمَلِكُ ااثُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ
فَأَسْأَلْهُ مَا بَالُ النَّسُوءِ اللَّاتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ .

وذهب الساق فرحا إلى الملك ، وقص عليه ، وعلى من حوله ، ممن ينتظرون .. تفسير
يوسف للرؤيتين .. ثم أثار دهشتهم جميعاً .. حين أخبرهم بنبوءته بما سيكون في العام
الخامس عشر .. من ارتفاع البلاء .. ونزول الأمطار .. وانتشار الرخاء ..
وأحس الذي رأى على الفور .. أحس الملك أن ذلك التعبير .. وذلك التنبؤ ..
لا يمكن أن يكون إلا من رجل عظيم .. أو نبي كريم .. فأصدر أمراً ملكياً على
الفور ..

« وقال الملك اثتوني به » أخرجوه من السجن فوراً ، وأحضروه إلى ..
لتذهب قوة فوراً .. وتحضره عندي على الفور ..
« فلما جاءه الرسول » فلما جاءه رسول الملك يستدعيه إلى الملك ..
« قال » قال يوسف له :

« ارجع إلى ربك » ارجع إلى سيدك الملك
« فأسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن » أى ما شأنهن وخبرهن ؟

أمره بأن يسأله ويستفهمه عن ذلك .

ولم يكشف له عن القصة ، ولا أوضحها له ، لأن السؤال مجملاً ، مما يهيج الملك على الكشف والبحث والاستعلام ، فتحصل البراءة .
وإنما كان السؤال المجمل يهيج الإنسان ويحركه للبحث عنه ، لأنه يأنف من جهله وعدم علمه به .

ولو قال : سله أن يفكش عن ذلك ، لكان طلباً للفحص عنه ، وهو مما يتسامح ويتساهل به ، وفيه جراءة عليه ، فربما امتنع منه ، ولم يلتفت إليه .

قالوا : إنما تأنى وتثبت في إجابة الملك ، وقدم سؤال النسوة ، لتظهر براءة ساحته عما قرف به وسجن فيه ، لئلا يتساق به الحاسدون إلى تقبيح أمره عنده ، ويجلوه سالماً إلى حظ منزلته لديه ، ولئلا يقولوا : ما خلد في السجن إلا لأمر عظيم ، وجرم كبير ، حق به أن يسجن ويعذب ، ويستكف شره .

وفيه دليل على أن الاجتهاد في نفي التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف في مواقعها .

وعن النبي صلى الله عليه وسلم : لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره ، والله يغفر له ، حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ، ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى اشترط أن يخرجوني . ولقد عجبت منه حين أتاه الرسول فقال (ارجع إلى ربك) ، ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبثت ، لأسرعت الإجابة ، وبأدرتهم الباب ، ولما ابتغيت العذرة .
[رواه عبد الرزاق في مصنفه مرسل عن عكرمة]
إن كان حليماً ذا أناة .

وقد روى في المسند ، والصحيحين مختصراً ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي » .

قالوا : مدحه النبي صلى الله عليه وسلم على هذه الأناة ، وكان في طي هذه المدحة بالأناة والتثبت تنزيهه وتبرئته مما لعله يسبق الوهم أنه تم بامرأة العزيزها يؤاخذ به .
لأنه إذا صبر وتثبت فيما له أن لا يبصر فيه ، وهو الخروج من السجن ، مع أن

الدواعى متوفرة على الخروج منه ، فلأن يصبر فيما عليه أن يصبر فيه من المهم ، أولى وأجدر .

قالوا : وإنما لم يتعرض لامرأة العزيز ، مع ما لقي منها مالتى ، من مقاساة الأحران ، محافظة على مواجب الحقوق ، واحتراماً عن مكرها ، حيث اعتقدها مقيمة فى عدوة العداوة . وأما النسوة فقد كان يطمع فى صدعن بالحق ، وشهادتهن بإقرارها بأنها راودته عن نفسه فاستعصم ، ولذلك اقتصر على وصفهن بتطبيع الأيدى ، ولم يصرح براودتهن له ، وقولهن (أطمع مولاتك) واكتفى بالإيحاء إلى ذلك بقوله : « إن ربى بكيدهن عليم » . يعنى ما كدنه به .. وفى إضافة علمه إلى الله إشارة إلى عظمه . وأن كنهه غير مأمول الوصول إليه ، لكن ما لا يدرك كله لا يترك كله . وفيه تشويق وبعث على معرفته ، فهو تميم لقوله (أسأله) الخ . ودلالة على أنه برى بما قرف به ، للاستشهاد بعلمه تعالى عليه . وفيه الوعيد لمن على كيدهن . وأنه تعالى مجاز عليه .

قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَاوَدْتَن يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَارَ أَوْدَتَهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ .

« قال ما خطبك إذ راودتن يوسف عن نفسه » استئناف مبنى على السؤال ، كأنه قيل : فإذا كان بعد ذلك ؟ فقيل : قال الملك : ما خطبك - أى شأنك - إذ راودتن يوسف يوم الضيافة ؟ يعنى : هل وجدتن منه ميلاً إليك ؟

« قلن حاش لله » تنزيه لله تعالى .. سبحان الله ...

« ما علمنا عليه من سوء » من قبيح .

ما صدر عنه ولو أقل القليل من الفعل السيء ... إنه إنسان كامل .

« قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق » الآن ثبت واستقر الحق وظهر بعد خفاؤه .

« أنا راودته عن نفسه » أنا أعترف أنى أنا التى راودته عن نفسه وليس هو .

« وإنه لمن الصادقين » فى قوله هى راودتنى عن نفسى .

قالوا : ولا مزيد على شهادتهن له بالبراءة والنزاهة .. واعترافهن على أنفسهن ، بأنه لم يتعلق بشىء مما قرفته به ، لأنهن خصومه وإذا اعترف الخصم بأن صاحبه على الحق وهو على الباطل ، لم يبق لأحد مقال ..

اشعاعات

ما معنى هذا ؟ وكيف تأتى للملك أن يجمع هؤلاء النسوة جميعا ؟

يفهم من تسلسل الحوادث .. إما أن يوسف قد أخبر الرسول بتفصيل قصتهن ، وأسمائهن ، وما حدث منهن ، وطلب إليه أن يروى للملك الحقيقة كاملة .. فذهب الرسول إلى الملك ، وقص عليه كل ما كلفه به يوسف - عليه السلام - فأرسل الملك إليهن جميعا ، بما فيهن امرأة العزيز ..

ثم تولى الملك التحقيق بنفسه معهن . وواجههن بالحقيقة .. فاعترفن لفورهن جميعا ، فلما رأت امرأة العزيز أنهن قد أجمعن على براءته ..

لم تجد بدا من الاعتراف هى الأخرى فاعترفت : أنا راودته عن نفسه ، وإنه لمن الصادقين .

هذا احتمال هو عندى الأقوى والأولى .

واحتمال آخر ... لا بأس به ... ن قضية يوسف كانت قضية مشهورة عند الملك

والشعب ...

وأنها نظرت أمام القضاء ملنقة على أن يوسف قد راود امرأة العزيز عن نفسها ، وأنها دفعت عنها ، وتلك جريمة كبرى أن يجرىء مملوك على سيدهته إلى مثل ذلك الحد ..

وانه اتهم تلفيقا كذلك باتهام أشد .. هو أنه حاول أن يعتدى على المدعوات فى حفل

امرأة العزيز الساهر كذلك ..

وأهن جميعاً وعلى رأسهن امرأة العزيز .. اشتكين مما حدث منه ..
فكان أن قبض عليه ... وأودع السجن رهن التحقيق ... في جريمة شروع في الزنى
بامرأة العزيز ومدعوات امرأة العزيز !!!
ثم رفعت القضية إلى القضاء .. وكان الحكم بسجنه سجننا مؤبدا !!

تلفيق .. في تلفيق .. في تلفيق ..

واستغل العزيز سلطاته .. في التأثير على القضاء ..

واستصدر هذا الحكم منهم .. وأذيع الحكم على الشعب ..

وكان ذلك المكر منهم جميعاً لتغطية الفضيحة في البلاد ..

حيث قد شاع وذاع أن امرأة العزيز تراود فتاها ..

ثم شاع وذاع أن النسوة كذلك تراود يوسف عن نفسه .. وهو يستعصم منهن جميعاً ..

فلم يكن بد من تغطية ذلك كله .. بان تصور الأمور على العكس من ذلك وإيهام

الشعب أن يوسف هو المعتدى .. وأنه سوف يلقي جزاءه الأليم !!

وأن تلك القضية كانت مشهورة بين الناس ، وعلى رأسهم الملك الذى صدق على

الحكم بسجنه ..

وأن الملك كان ممن خدع بذلك التلفيق الذى لعقوه ورفعوه إليه على أنه حقيقة ..

فلما رفعوه إليه صدق على الحكم وهو يعتقد أن يوسف آثم آثم !!

ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ
الْخَائِنِينَ .

« ذلك » تقول امرأة العزيز : ذلك الذى اعترفت به على نفسى .

« اعلم » ليعلم يوسف .

« أنى لم أخنه بالغيب » أنى لم أكذب عليه فى حال الغيبة ، وجئت بالصحيح والصدق فيما سئلت عنه .

أو : ليعلم زوجى أنى لم أخنه بالغيب فى نفس الأمر ، ولا وقع الحذور الأكبر ، وإنما راودت هذا الشاب مراودة فامتنع ، فاعترفت ليعلم أنى بريئة .
« وأن الله لا يهذى كيد الخائنين » لا يرضاه ولا يسدده .
وقد قيل : إن ذلك من كلام يوسف .

والمعنى : ذلك التثبت والتأنى والتشمير لظهور البراءة ليعلم العزيز أنى لم أخنه بظهر الغيب فى أهله .

أو : ليعلم الله أنى لم أخنه ، لأن المعصية خيانة .

ثم أكد يوسف أماتته بقوله : (وأن الله لا يهذى كيد الخائنين) وأنه لو كان خائناً لما هدى الله عز وجل أمره ، أى : سدده وأحسن عاقبته .. وفيه تعريض بامرأة العزيز فى خيانتها أماتته ، وبالعزيز فى خيانة أمانة الله تعالى ، حين ساعدها بعد ظهور الآيات على حبسه .

اشعاعات

فى قولها : ذلك .. يعلم أنى لم أخنه بالغيب ..

فىها إعلان لحبها الشديد ليوسف .. وانها لم تستطع أن تكتم أمره عن أحد .. وأنها حريصة على ارضائه فى كل مناسبة ..

إنى اعترف .. لا شىء .. إلا ليصل إلى علم يوسف .. أنى لست بخائنة .. ولست بمنحلة .. ولست بعاهرة .. وإنما أنا أحبه .. وحبه هو الذى حركنى إلى ذلك .. وها أنا أقول الحقيقة ارضاء لنفسه .. التى أحب أن تكون راضية عنى !!

إن المرأة قد شغفها يوسف حيا !!

وفيها كذلك تسجيل لشدة احساس المرأة بجريمتها .. وأنها نفقت تلك التهمة لشاب
بريء .. وتسببت في سجنه اعواما بغير ذنب .. فهي تريد أن تخفف من آثار الجريمة ..
وتعلن براءته .. ليخرج من ذلك العذاب ..
وأما على التفسير الآخر : ذلك يعلم زوجي أني لم أخنه مع ذلك الشاب .. ولم أطمئه
بالغيب .. من وراء ظهره ..
ففيها براءة من تلك المرأة .. فهي تريد أن يتأكد زوجها من براءتها .. فلا ينظر
إليها على أنها امرأة خائنة !!

وَمَا أُبْرِي نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي
غَفُورٌ رَحِيمٌ .

« وما أبرئ نفسي » قال يوسف ، لما حصص الحق ، وظهرت براءته . وشهد
ببراءته من كل سوء النسوة وامرأة العزيز أمام الملك : وما أبرئ نفسي .
أى لا أنزهها من الزلل ، ولا أشهد لها بالبراءة الكلية ، ولا أزكيها ..
أراد أن يتواضع لله ، ويهضم نفسه ، لئلا يكون لها مزكيا ، وبحلها في الأمانة معجبا
ومفتخرا ، وليبين أن مافيه من الأمانة ليس به وحده ، وإنما هو بتوفيق الله ولطفه وعصمته .
« إن النفس لأماراة بالسوء » إن النفس البشرية تأمر بالسوء ، وتحمل عليه بما فيها من
الشهوات .

« إلا مارحم ربي » إلا مارحم الله من النفوس التي يعصمها من الوقوع في
المساوىء .

« إن ربي غفور » إن ربي يتجاوز دائما للناس عن خطاياهم .. وبسترها عليهم ..
ما استغفروه ..

« رحيم » وذلك لأنه واسع الرحمة ..

اشعاعات

فيها للألاء يوسف .. وانواره المشرقة ...
ففيها نواميس كاملة من تلك النواميس التي لا يدركها إلا من اصطفاهم الله تعالى ..
وآثامهم .. وهدامهم ..

الناموس الأول .. وما أبرئ نفسي ..

يعلن يوسف - عليه السلام - ناموسا خطيرا جدا .. هو ناموس النقص .
أن كل نفس ناقصة .. مهما كملت أو تكاملت أو كملت .
وإنما هو أمر نسي .. وأن كمال النفوس يتدرج إلى اعلى .. ويصل الانبياء جميعا إلى
أعلى درجات الكمال .. ولكنهم مع ذلك يلحقهم التقصير كغيرهم بحكم بشريتهم .. وإن
فاقوا النفوس جميعا كأنبيا ..

ومهما تكاملت النفوس .. فإن من وراء كمالها كمالا أعلى ..
حتى الأنبياء ..

وفي قول يوسف : وما أبرئ نفسي .. إشارة إلى ذلك الناموس ..

يريد أن يقول ، إن نفسي مقصرة .. ككل نفس بشرية ..

فليس الأمر أمر تواضع .. وإنما هو تقرير حقيقة ..

حقيقة لا يدركها إلا الأنبياء والعلماء ..

الناموس الثاني .. إن النفس لأماراة بالسوء ..

إن النفس البشرية لا تأمر إلا بالسوء .. دائما وأبدا ..!!

لماذا؟! الأمر بسيط .. لأن النفس .. هي مانسميه في العصر الحاضر .. بالفرائز ..

غريزة الجنس .. غريزة حفظ النوع .. غريزة التملك .. غريزة تنازع البقاء ..

أو - بلغة الوحى - الشهوات ..

تلك الفرائز ، أو الشهوات ، أو متطلبات الجسد .. أو الدنيا بلغة الشريعة .. شيء

يضاد العلو والسمو دائما ..

الفرأئز ترید أن تنحط بالإنسان إلى تحت ..
والوحي یرید أن یرتفع بالإنسان إلى أعلى ..
والانسان .. بین هذا التجاذب دائماً في صراع ..
فانفس أمارة بالسوء دائماً .. دائبة على الاشتهااء .. دائبة على الرغبة في تنفيذ
مانشهى ..

هذا هو التاموس الثاني .. فما التاموس الثالث ؟
« إلا مارحم ربى » .. إلا نفسا اختصها الله برحة خاصة ..
إلأنفسا زادها الله رحمة من عنده .. آتاهها نسبة من الرحمة .. زيادة عما آتى العموم ..
هذه النفس .. هى التى تستشى من النفوس جميعا ..
لأن الرحمة التى أنزلها إليها .. تنير لها الطريق .. وتعرفها أن الباقى خير من القانى ..
وأن التعالى خير من التسافل .. وأن الارتفاع أحلى من الانحطاط ..
هنالك تستطيع هذه النفس أن تأوى إلى ربها .. وتعلمئن إلى جنبه .. وتتغلب على
شهواتها ونزواتها ..

أماسأر الناس .. فعبید غرائهم .. « واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا » ..
وأما التاموس الرابع .. « إن ربى غفور رحيم » .. ومع ذلك فإن ربى غفور ..
فتح باب المغفرة على مصراعيه .. ليستغفره الناس .. ويغفر لهم ما كان من نقائصهم ..
التاموس الخامس .. « رحيم » .. بلغ من رحمته أن وسعت كل شىء ..
ما هذا ؟ هذه اشعاعات يوسف .. هذه نواميس .. يطلقها يوسف .. ولا يمكن

أن تتأى إلا بمن كان فى مثل مقام يوسف !!
وهكذا .. أعلن يوسف أن النفوس جميعا ناقصة .. عاجزة عن الكمال .. لماركب
فيها من غرائز تدفع دفعا إلى المعصية .. وأنه لولا أن تداركه الله برحمة منه .. وخصه
بفضل منه .. لهوى كما يهوى الناس جميعا ..
ولذلك قالوا : (وما أبرئى نفسي) أصل فى التواضع ، وكسر النفس ، وهضمها .

قالوا : أخبر عن عشق امرأة العزيز ليوسف ، وما راودته ، وكادته به ، وأخبر عن الحال التي صار إليها يوسف ، لصبره وعفته وتقواه ، مع أن الذي ابتلى به أمر لا يصبر عليه إلا من صبره الله عليه . فإن موافقة الفعل ، بحسب قوة الداعي ، وزوال المانع ، وكان الداعي ههنا في غاية القوة ، وذلك لوجوه :

« أحدها - ماركب الله سبحانه في طبع الرجل من ميله إلى المرأة ، كما يميل العطشان إلى الماء ، والجائع إلى الطعام ، حتى إن كثيرا من الناس يصبر عن الطعام والشراب ، ولا يصبر عن النساء . وهذا لا يذم إذا صادف حلالا بل يحمده .

« الثاني - أن يوسف عليه السلام - كان شابا ، وشهوة الشباب وحدته أقوى .

« الثالث - أنه كان عزبا لا زوجة له ولا سرية تكسر شدة الشهوة .

« الرابع - أنه كان في بلاد غربة يتأني للغريب فيها من قضاء الوطر ما لا يتأني لغيره في وطنه ، وبين أهله ومعارفه .

« الخامس - أن المرأة كانت ذات منصب وجمال بحيث أن كل واحد من هذين الأمرين يدعو إلى موافقتها .

« السادس - أنها غير آبية ولا ممتنعة ، فإن كثيرا من الناس يزيل رغبته في المرأة بإبائها وامتناعها ، لما يجد في نفسه من ذل الخضوع والسؤال لها ، وكثير من الناس يزيده الإيذاء والامتناع زيادة حب ..

« السابع - أنها طلبت وأرادت وبذلت الجهد ، فكفته مؤنة الطلب ، وذل الرغبة إليها ، بل كانت هي الراغبة الذليلة ، وهو العزيز المرغوب إليه .

« الثامن - أنه في دارها ، وتحت سلطانها وقهرها ، بحيث يخشى ، إن لم يطاوعها ، من أذاها له ، فاجتمع داعي الرغبة والرغبة .

« التاسع - أنه لا يخشى أن تنمى عليه هي ، ولا أحد من جهتها ، فإنها هي الطالبة والراغبة ، وقد غلقت الأبواب ، وغيت الرقباء .

« العاشر - أنه كان مملوكا لها في الدار ، بحيث يدخل ويخرج ويحضر معها ، ولا ينسکر

عليه ، وكان الأُنس سابقاً على الطلاب ، وهو من أقوى الدواعي ، كما قيل لامرأة من العرب ما حملك على كذا؟ قالت : قرب الوساد ، وطول السواد . تعنى قرب وساد الرجل من وسادتي ، وطول السواد بيننا .

« الحادى عشر - أنها استعانت عليه بأئمة المسكر والاحتتيال ، فأرته إياهن ، وشكت حالها إليهن ، لتستعين بهن عليه ، فاستعان هو بالله عليهن ، فقال : (وإلا تصرف عى كَيْدَهُنَّ أَصَبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ) .

« الثانى عشر - أنها تواعدته بالسجن والصغار ، وهذا نوع إكراه ، إذ هو تهديد بمن يغلب على الظن وقوع ما هدد به ، فيجتمع داعى الشهوة ، وداعى السلامة ، من ضيق السجن والصغار .

« الثالث عشر - إن الزوج لم يُظهر من الغيرة والقوة ما يفرق به بينهما ، ويبعد كلا منهما عن صاحبه ، بل كان غاية ما خاطبهما به أن قال ليوסף : (أَعْرَضُ عَنْ هَذَا) وللرأة : (اسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ) وشدة الغيرة للرجل من أقوى الموانع ، وهنا لم يظهر منه غيرة .

« ومع هذه الدواعي فَأَتَتْ مَرْضَاةَ اللَّهِ وَخَوْفَهُ ، وحمله حبه لله على أن اختار السجن على الزنى ، فقال : (رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ) .
« وعلم أنه لا يطبق صرف ذلك عن نفسه ، وأن ربه تعالى إن لم يعصمه ويصرف عنه كيدهن صبا إليهن بطبعه ، وكان من الجاهلين .
« هذا من كمال معرفته بربه وبنفسه .

« وفى هذه القصة من العبر والفوائد والحكم ما يزيد على ألف فائدة » !!

وَقَالَ الْمَلِكُ انْتُونِي بِهِ اسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ
لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ .

« وقال الملك » قال ذلك لما تحقق براءته بما نسب إليه ، وكرم نفسه ، وسعة علمه .
« ائتوني به » احضروا إلى هذا الرجل العجيب فوزا .
« أستخاضه لنفسى » أخصه بها ، دون العزيز .
جريا على عادة الملوك من الاستئثار بالنفيس العزيز .
« فلما كآه » فلما أتوا به ، وكله ، أى خاطبه الملك وعرفه وشاهد فضله وحكمته
وبراعته .

أو : فلما كلم يوسف - عليه السلام - العزيز .
« قال » الملك :

« إنك اليوم لدينا مكين » ذومكانة ومنزلة .
« أمين » مؤتمن على كل شيء .

روى : أن يوسف - عليه السلام - لما حضر الملك ، وعبر له رؤياه ، ابتهج بحديثه
هو وخاصته .

وقال لهم : هل نجد مثله رجلا مهبطا للامداد الرباني ؟

« وقال ليوسف بعد أن عرفك الله هذا فلا يكون حكيم مثلك .

« وأنت على بيتى ، وإلى كلمتك تنقاد رعيتى ، ولأأكون أعظم منك إلا بعرشى .
« وقد أقمناك على جميع أرض مصر .

« ونزع خاتمه من يده ، ووضعها في إصبعه ، وألبسه ثياب يز ، وجعل طوقاً من
ذهب في عنقه ، وأركبه مركبته ، وأمر أن يطاف به في شوارع مصر ، وينادى أمامه
بالخضوع له .

« وقال له الملك : لا يمضى أمر ، ولا ينفذ شأن في مصر إلا برأيك ومشورتك .

« وسماه مخلص العالم .

« وزوجه بنت أحد العطاء لديه .

« وكان يوسف ، وقتئذ ابن ثلاثين سنة .»

وقالوا : إن من أمعن النظر في قصة يوسف - عليه السلام - علم يقينا أن التقى الأمين لا يضعف الله سعيه ، بل يحسن عاقبته ، ويعلى منزلته في الدنيا والآخرة .
« وأن المعتصم بالصبر لا يخشى حدثان الدهر وتجاربه ، ولا يخاف صروفه ونوائبه ، فإن الله يعضده ويُنجح مسعاه ، ويخلد ذكره العاطر على عمر الأدهار » .

اشعاعات

ماذا هناك ؟ هناك شيء .. تفجّر له العيون بُكياً .
الله .. جل ثناؤه .. يصدق .. يوسف - عليه السلام - وعده .. كما صدقه ..
يوسف .. وعده ..

مامعنى هذا ؟

معناه كبير جدا جدا ..

لقد كان يوسف جوهرًا كريمًا ... ولكنه مطموس ... لا يدري به أحد ...

كان سيدا حرا ... من سلالة سادة أحرار ...

فأهين بالأسر والاسترقاق والمملوكية !!

وكان نبيا ... كريما ... من سلالة ... وتسلسل أنبياء ...

فعمل معاملة الخدم ... ولا وزن لأنواره .. ومكنوناته ..

وفي هذا من الآلام ما فيه ...

وكان جوهرًا صافيا نقيًا خالصًا مخلصًا ... فنظروا إليه على أنه مجرد جسد جميل ...

يصلح للاستمتاع !!

وهذا من أشد الآلام التي تصيب مثل تلك القلوب الكبيرة !!

وكان في قلبه ميراث النبوة ... واشعاعات الرسالة ... وعلوم الربوبية ... وبرجات

الألوهية ..

وهو مجرد سجين ... مهين ... ضائع ... في قوم مجرمين !!

وكان متهما بالباطل ... أنه أراد أن يعتدى على امرأة العزيز ... وعلى نساء الأعداء
والكبراء .

وهو صابر ... بالله ... وفي الله ... والله ...

على أعلى ما تكون مقامات الصبر ...

حتى حقق الملك القضية بنفسه ... واستبان الحق لعينيه ... وشهدت له النسوة جميعاً
بالتطهر والعفة ...

فاشدد شوق الملك أن يرى ذلك الرجل الخارق ... العجيب .. الذي انتصر على كل
هذه الفتن ..

فصاح الملك : اثبتوني به ...

وهنا يتلألاً نور عظيم ... يتشعشع من قوله تعالى « فلما كلمه » ...

جاء يوسف .. جاء أجمل إنسان على ظهر الأرض .. ظاهراً .. وباطناً ..

شاب .. وجهه نور .. وباطنه نور .. وظاهره نور ..

جمال .. وجلال .. يتلألاً .. في صورة إنسان !!

هنالك أدرك الملك .. أنه أمام إنسان عظيم حقاً ..

وأحس الملك أن يوسف أولى منه بالملك ..

ورأى الملك نفسه لاشيء .. جنب يوسف .. وهيبة يوسف .. وجمال يوسف ..

وعلم يوسف .. وحكمة يوسف .. : .. وأنوار يوسف ..

وحين يتحدث الأنبياء .. يكون لحديثهم رنين الصدق ، ولألاء الربانية .. وبهاء

النورانية ..

فتشرق أنوارهم في قلوب الذين يتحدثون إليهم ..

وانشرح الملك به صدره .. كأنما قد عثر على أعز ما كان يتمنى في حياته ..

رأى أمامه نموذجاً لم ير مثله من قبل .. على طول ما رأى وقابل ..

لقد قابل الملك .. بحكم منصبه .. رجالات الدنيا .. وعظماءها .. فلم ير أعظم من يوسف .. ولا أحلى من حديثه .. ولا أجمل من صورته .
وتحدثنا .. طويلا .. واستعرضنا أمرها ..
وأيقن الملك أنه أمام شخصية خارقة ..
نبوة .. علم .. حكمة .. جمال .. هيبة .. قوة .. شباب .. رحمة .. عظمة .. خبرة ..
عفة .. أمانة ..

وازداد به إعجابا .. وله اكبارا .. حين شرح له رؤياه .. وما ترمز إليه ..
وحين خطط له التخطيط الواجب عليهم اتباعه .. حتى لا تتعرض البلاد للهلاك ..
فلما كلمه ؟!

فيها أنوار عالية جدا .

يكاد لألاؤها يوقف العقول عن الإدراك !

فإذا كان من الملك ؟

« قال : إنك اليوم » إنك الآن يا يوسف ..

« لدينا » عندنا .. في مملكتنا كلها .. من أولها .. إلى آخرها ..

« مكين » ذو مكانة رفيعة .. عالية .. أنت من الآن رئيس الوزراء .. تفعل ما تشاء

وتحكم كيف تشاء .

« أمين » وأنت موضع ثقتنا جميعا .. مؤتمن على كل شيء !!!

ما هذا ؟! هذا صدق الله وعده رسله !!!

من أذل الذل .. من الأشغال الشاقة في السجن إلى أعز العز .. إلى رئاسة الوزارة

في الامبراطورية المصرية إذ ذاك .

ومن الاتهام بالزنى والفحشاء والسوء .. إلى البراءة .. وشهادة الجميع له بالطهارة

والبراءة ..

ومن الملوكية واذلالها .. إلى الملك والسلطة والأسباب كلها !!!

ومن خول الذكر .. حيث كان لا وزن له عند أحد .. إلى ارتقاع الذكر .. وانتشار الشهرة حتى أصبح حديث الجميع .. وسيد الجميع .. ورجل الساعة في العالم !!!
ومن جهل الناس به .. وعدم انتفاعهم بعلمه .. إلى حيث يمكن من الأرض والسلطة .
ويعلم الناس علمه ، وفضله ، ويعممهم خيره .
ما هذا ؟ هذا شيء من اشعاعات الآية .. وإن وراء الاشعاعات لاشعاعات !!!

قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ .

« قال » يوسف للملك .

« اجعلني على خزائن الأرض » واني خزائن أرضك .

يعنى : جمع الغلات لما يستقبلونه من السنين التي أخبرهم بشأنها ، فيتصرف لهم على الوجه الأرشد والأصلح .

ثم بين اقتداره في ذلك فقال ..

« إني حفيظ » أمين أحفظ ماتستحفظنيه ..

« عليم » عالم بوجوه التصرف فيه ..

قالوا : وصف نفسه بالأمانة والكفافية اللتين هما طلبية الملوك من يولونه . وإنما قال ذلك ليتوصل إلى امضاء أحكام الله تعالى أو إقامة الحق ، وبسط العدل ، والتمسك بمآله تبعث الأنبياء إلى العباد ، ولعله أن أحداً غيره لا يقوم مقامه في ذلك ، فطلب التولية ابتغاء وجه الله ، لا لحب الملك .

قالوا : وإنما لم يذكر إجابة الملك إلى مسأله عليه السلام من جملة على خزائن الأرض . ايدانا بأن ذلك أمر لا مرد له ، غنى عن التصريح ، لاسيما بعد تقديم مايندرج تحته من أحكام السلطنة بمخايفها ، من قوله « إنك اليوم لدينا مكين أمين » وللتنبية على أن كل ذلك من الله عز وجل ، وإنما الملك آلة في ذلك .

اشعاعات

يوسف .. يرى حقيقة نفسه .. ويصف نفسه .. إلى حفيظ عليم .
فهو يمتاز بصفتين .. أمين .. عليم .. الأمانة والعلم .
أما الأمانة فقد تلات في ثنايا بلائه ..
وأما العلم فنابع من أنوار النبوة وليس وراء النبوة علوم ..
إنه رجل كفاء للمنصب ..

ولذلك طلب إلى الملك أن يعطيه السلطة الكاملة في إدارة شئون الدولة .
اجلنى على خزائن الأرض ؟

مكنى من السيطرة على مقدرات البلاد ، وامكانياتها الهائلة ، لأسوسها سياسة رشيدة ،
تجنبكم جميعا مهالك المجاعة القادمة .

وقد كان .. وألقى الملك بكل شيء إليه .. ألقى إليه أمر البلاد والعباد ..
وكانت تجربة جديدة دخلها يوسف ..
وتلات في أنواره .. وظهرت فيها عبقريته ..

- ٥٦ -

وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ
بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ .

« وكذلك مكنا ليوسف في الأرض » أرض مصر .
جعلناه ذا مكانة رفيعة .. وسلطة واسعة .. وأمرنا نافذا في أممها .
« يتبعون منها » ينزل من بلادها .

« حيث يشاء » وذلك أنه .. عليه السلام .. لما ولاه النظر على خزائن مصر ، تحول في
قطرها ، وطاف قراها ، والأمر أمره ، والإشارة إشارته ، عناية منه تعالى ورحمة كما قال ..

« نصيب برحمتنا من نشاء » من نشاء .. وقما نشاء .. حينما نشاء ..
« ولا نضيع أجر المحسنين » الذين أحسنوا عملا .

اشعاعات

فيها نواميس كبرى ..

الناموس الأول .. « وكذلك مكنا ليوסף في الأرض » .. أن التمكن .. أن الحكم
أن السلطة .. شيء يعطيه الله لمن يشاء « تؤتى الملك من نشاء وتزرع الملك من نشاء » .. فكما
يمكن الله لمن يشاء ، ويرفعه ، ويجمله ذا مكاة فيها .. يزرع من يشاء ، ويذهب مكانته منها .
الناموس الثانى .. « يتبوا منها حيث يشاء » .. أن يوسف كان صاحب سلطات
مطلقة فى الأمر والنهى .. وكان حاكما يحكم من الواقع ، ويمخاط الجماهير ، وينزل إلى
مشاكلهم لم يكن مترفا عنهم ..
وهذا خير أنواع الحكم .. أن يعيش الحاكم مشاكل الجماهير .. ليستطيع أن يحلها بنفسه
حلا عمليا ..

فبينما كان ذا سلطات مطلقة .. كان فى الوقت نفسه .. رجل جاهل .. محبوبا من الجماهير
يتفاعل مع الجماهير .. بدليل أنه يتبوا منها حيث يشاء .. ينزل منها حيث يشاء .
ولو كان مجرد حاكم مستبد .. لكرهه الناس .. ولما استطاع أن يتجول فى البلاد
حيث يشاء .

وأن التمكن الحقيقى للحاكم فى الأرض .. هو التمكن له من قلوب الشعب ..
وقد توافر هذا ليوסף .. فهو محبوب من الملك .. والحاشية ..
محبوب من الشعب .. والجماهير ..

وهذا هو التمكن الحق .. إلى جوار التمكن الظاهر بالسلطة وتولى البلاد .
الناموس الثالث .. « نصيب برحمتنا من نشاء » .. أن الله رحمة خاصة ينجس بها من
يشاء من عباده ..

فهناك رحمة عامة هي التي يتشمس فيها الجميع ..
وهناك رحمة خاصة .. يخص بها من يشاء من عباده ..
كتلك التي آتاها يوسف .. في صورة تمكين في الأرض ..
فكانت رحمة له .. أن واثقه فرصة اظهار مواهبه المكنونة .. وتنفيذ إرادته المعطلة
ورحمة للناس .. أن شاع فيهم العدل .. والرخاء .. حين آلت أمورهم إلى يوسف ..
الناموس الرابع .. « ولا نضيع أجر المحسنين » .. يستحيل أن يضعف الله أجر أي إنسان
أحسن عملا من الأعمال .
مستحيل أن يضعف اخلاص المخلصين ..

هذا ناموس خطير جدا .. لأن فيه ضمانا لحفظ حقوق الناس عند الله .. وأنها ثابتة ..
لا يمكن أن تضعف .
ولكن هل من الختم أن يكافئ الله كل محسن .. وكل مخلص .. في هذه الدنيا ؟

وَلَا جِرَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ .
« ولأجر الآخرة خير » ولثواب الآخرة خير من ثواب الدنيا .
« للذين آمنوا » للذين داوموا على الإيمان في الدنيا .
« وكانوا يتقون » وداوموا على اتقاء محارم الله .
إشارة إلى أن المطلب الأعلى هو ثواب الآخرة ، وأن ما يدخر لهؤلاء هو أعظم وأجل
مما يخولون به في الدنيا من التمكين في الأرض والجاه والثروة والملك .

اشعاعات

هذا ناموس خطير ..
فإن أخطر شيء عند الإنسان .. أن لا يرى نتيجة عملية لا يمانه واحسانه وجهاده في الدنيا ..

فيأتي هذا الناموس ويؤكد .. أن أجر الآخرة خير من أجر الدنيا العاجل .. بشرط
أن يستمروا على الإيمان والتقوى ولا يأسوا ولا يرتدوا عن إيمانهم ..
وهذه حقيقة .. بسيطة جدا ..

فهما أوتى الإنسان في الدنيا .. من نعم .. أو سلطان .. فإنما هي سنين .. ويفارق
كل ما فيه ..

ولكن الآخرة .. نعم الأبد ..

فأين الفناء من البقاء .. أو النعيم الدائم من النعيم المستعار ؟

وَجَاءَ إِخْوَةَ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ .

« وجاء إخوة يوسف » طالبين التموين والغلال ، لما أصاب أرض كنعان وبلاد
الشام ما أصاب مصر .

وقد كان حل بآل يعقوب - عليه السلام - ما حل بأهلها فدعا أبناءه ما عدا بنيامين
فقال لهم : يا بني بلغني أن بمصر ملسكا صالحا يبيع الطعام ، فتجهزوا إليه واقصدوه تشتروا
منه ما تحتاجون إليه ، فخرجوا حتى قدموا مصر .

« فدخلوا عليه » فدخلوا جميعاً العشرة على يوسف - عليه السلام - وهو في

مكتبه .. بعد أن أذن لهم ..

« فعرفهم » تقوة فهمه، وعدم مباينة أحوالهم السابقة، أحوالهم يوم المفارقة، لمفارقتهم

ليامهم وهم رجال ، وتشابه هياكلهم وزيهم في الحالين .

وروى أنهم ذكروا أسماءهم في الاستئذان عليه فعرفهم وأمر بانزالهم .

« وهم له منكرون » والحال أنهم منكرون له انسيانهم له بطول العهد وتباين ما بين

حاليه في نفسه ومنزلته وزيه .

ولاعتقادهم أنه هلك .

اشعاعات

قالوا : حيث كان إنكارهم له - عليه السلام - أمرا مستمرا في حاتى المحضر
والغيب ، أخبر عنه بالجملة الاسمية « وهم له منكرون » ..
وهذا حق .. أنهم لا يتصورون أن هذا الرجل الجالس على كرسى مصر هو يوسف ..
الطفل الذى أقوه في غيابة البئر ليهلك !!

وحتى لو لم يهلك حين إلقائه في ذلك البئر .. فلا يعقل أن يتحول من طفل ضائع
لا وزن له .. إلى حاكم يملك كل شىء في مصر !!
كان الأمر بعيدا عن تفكيرهم بعدا كبيرا ...
فهم لا يعرفون شيئا مطلقا عن أخيه الذى هلك .. ولا عن هذا الرجل الذى ملك !!

- ٥٩ -

وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالِ اتُّوْنِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَيْكُمُ الْآلَا تَرَوْنَ
أَنِّي أُوْفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ .

« ولما جهزهم بجهازهم » ولما أصلحهم بعدتهم ، وأوفر ركائبهم بما جاؤا لأجله .
ولعله - عليه السلام - إنما باع كل واحد منهم حمل بعير لما روى أنه كان لا يبيع
أحدا من المتارين أكثر من ذلك عدلا بين الناس .
وأصل الجهاز ما يحتاج إليه المسافر من زاد ومتاع .
« قال » قال يوسف

« اتتوني بأخ لكم من أيكم » ولم يقل بأخيكم مبالغة في إظهار عدم معرفته لهم كأنه
لا يدري من هو !

قيل : قال يوسف - عليه السلام - ذلك حين سأله حملازئدا عن المعتاد لبنيامين
فأعطاهم ذلك ، وشرط عليهم أن يأتوه به ، مظهر أنهم أنه يريد أن يعلم صدقهم .
« ألا ترون أنى أوف الكيل » ألا ترون أنى أتم الكيل .

وإشارة صيغة الاستقبال مع كون هذا الكلام بعد التجهيز للدلالة على أن ذلك عادة مستمرة .

« وأنا خير المنزلين » والحال أنى فى غاية الإحسان فى انزالكم وضيافتكم .
وكان الأمر كذلك

ولم يقل ذلك - عليه السلام - بطريق الامتنان بل لحثهم على تحقيق ما أمرهم به .

اشعاعات

قيل : إنهم لما رأوه فكلموه بالعبرية قال لهم : من أنتم فإنى أنكركم ؟ !

فقالوا : نحن قوم من أهل الشام ، رعاة ، أصابنا الجهد ، فحجنا بمتار

فقال : لعلكم جئتم عيوننا ، تنظرون عورة بلادى ؟

قالوا : معاذ الله ، نحن اخوة ، بنو أب واحد ، وهو شيخ ، صديق ، نبي ، من

الأنبياء إسمه يعقوب .

قال : كم أنتم ؟

قالوا : كنا إثني عشر فهلك منا واحد .

فقال : كم أنتم ها هنا ؟

قالوا : عشرة

قال : فأين الحادى عشر ؟

قالوا : هو عند أبيه يتسلى به عن المالك .

قال : فمن يشهد لكم أنكم لستم عيوننا وأن ما تقولون حق ؟

قالوا : نحن ببلاد لا يعرفنا فيها أحد فيشهد لنا

قال : فدعوا بعضكم عندى رهينة ، واثنونى بأخيك من أيكم ، وهو يحمل رسالة من

أيكم حتى أصدقكم .

فاقرعوا ... فأصاب القرعة شمعون .

ومن هنا يعلم سبب هذا القول ...

فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا يَبْلُغُ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ .

« فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي » إيعادهم على عدم الأتيان به .

والمراد لا كَيْلَ لَكُمْ فِي الْمَرَّةِ الْأُخْرَى فَضْلاً عَنْ إِيْقَانِهِ .

« وَلَا تَقْرَبُونِ » وَلَا تَقْرَبُونِي بِدُخُولِ بِلَادِي ، فَضْلاً عَنِ الْإِحْسَانِ فِي الْإِزْأَالِ

وَالضِّيَافَةِ

وفيه دليل على أنهم كانوا على نية الامتياز مرة بعد أخرى ، وأن ذلك كان معلوما

له - عليه السلام - .

أى أن يوسف - عليه السلام - هددهم ان لم يأتوه بينيامين ... سوف يشطب

أسماءهم من قائمة المسموح لهم بالتموين ... وسوف يجعل أسماءهم من الممنوعين من دخول

البلاد ..

أى لا يستطيعون أخذ الحبوب ، ولا حتى يسمح لهم بدخول البلاد .

قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ .

« قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ » سنخادعه ، ونستميله برفق ، ونجتهد في ذلك .

وفيه تنبيه على عزة المطلب ، وصعوبة مناله .

« وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ » وإنا لقادرون على ذلك ، لا نتعايا به .

أو : إنا لفاعلون ذلك لا محالة ، ولا نفرط فيه ولا نتوانا .

وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي حَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا

إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ .

« وقال » يوسف - عليه السلام - « لفتيانه » لعلانه ، الكيالين .

أو : لأعوانه الموظفين خدمته

« اجعلوا بضاعتهم في رحالهم » ضموا البضاعة التي جاءوا يشترون بها تمويهم في رحالهم

والرحل : هو ما يوضع على البعير للركوب .

ويفهم من ذلك أن التعامل كان على أساس المقايضة ... فهؤلاء جاءوا ببضاعة ...

يقال كانت نعالا وأدما ... ليشتروا قمحا وشعيرا ...

« لعلهم يعرفونها » يعرفون حق ردها والتسكرم بذلك .

« إذا انقلبوا » إذا رجعوا .

« إلى أهلهم » إلى زوجاتهم وبيوتهم ، فان معرفتهم لها مقيدة بالرجوع ، وتفرغ

الأوعية .

« لعلهم يرجعون » حسبما طلبت منهم ، فإن التفضل باعطاء البدلين ولا سيما عند

اعواز البضاعة من أقوى الدواعي إلى الرجوع .

وقيل : المعنى يرجعونها أي يردونها .

فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا
أَخَانَا نَكْتَلُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ .

« فلما رجعوا » فلما رجع إخوة يوسف - عليه السلام -

« إلى أبيهم » إلى يعقوب - عليه السلام -

« قالوا يا أبانا منع منا الكيل » حكم بمنعه بعد اليوم إن لم نذهب بأخينا بنيامين

حيث قال لنا رئيس مصر : (إن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي)

« فإرسل معنا أخانا » بنيامين إلى مصر . وفيه إيذان بأن مدار المنع على عدم كونه

- « نكتل » من الطعام ما نحتاج إليه .
- وقيل : يرفع المانع ونكتل .
- أى : يسمح لنا بشراء ما نحتاج إليه من الحبوب .
- « وإنا له لحافظون » من أن يصيبه مكروه .

- ٦٤ -

قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ قَالَ اللَّهُ خَيْرٌ
حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ .

- « قال » يعقوب - عليه السلام - « هل آمنكم عليه » ما أئتمنكم عليه .
- « إلا كما آمنتمكم » إلا ائتماننا مثل ائتماني إياكم .
- « على أخيه » يوسف .

« من قبل » وقد قلتم أيضا في حقه ما قلتم ثم فعلتم به ما فعلتم ، فلا أتق بكم ، ولا
محفظكم . وإنما أفوض أمري إلى الله تعالى .
« قاله خير حافظا وهو أرحم الراحمين » فأرجو أن يرحمني بحفظه ، ولا يجمع على

مصيبتين

وهذا كما ترى ميل منه - عليه السلام - إلى الأذن ، والإرسال ، لما رأى فيه من
الصلحة .

وفيه أيضا من التوكل على الله تعالى مالا يخفى .

- ٦٥ -

وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا
مَا نَبِيٌّ هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَزَادَ
كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ سَيْرٌ .

« ولما فتحوا متاعهم » المتاع كل ما ينتفع به على الوجه ، وهو في الآية الطعام .
وقيل : الوعاء ، وكلاهما متاع ، وهما متلازمان ، فان الطعام كان في الوعاء ..
والمعنى ، على أنهم لما فتحوا أوعية طعامهم .
« وجدوا بضاعتهم » التي كانوا أعطوها بمنأى للطعام .
« ردت إليهم » تفضلا ، وقد علموا ذلك بما مر من دلالة الحال .
« قالوا » قالوا لأبيهم .. ولعله كان حاضرا عند الفتح .

« يا أبانا ما نبغى » ماذا نطلب وراء ما وصفنا لك من احسان رئيس مصر الينا وكرمه
الداعي إلى امتثال أمره ، والمراجعة اليه في الحوائج .
وقد كانوا أخبروه بذلك ، على ما روى أنهم قالوا له - عليه السلام - إنا قدمنا على
خير رجل وأززلنا وأكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب ما أكرمنا كرامته .
« هذه بضاعتنا ردت الينا » كيف لا وهذه بضاعتنا ردها الينا تفضلا من حيث لا ندرى
بعد ما من علينا بما يتقل الكواهل من المن العظام ، وهل من مزيد على هذا فنطلبه ؟
ومرادهم به أن ذلك كاف في استيجاب الامتثال لأمره والاتجاه إليه في استجلاب
المزيد .

« ونمير أهلنا » نجلب لهم الميرة . ونجلب لأسرنا الطعام من عند رئيس مصر .
« ونحفظ أخانا » من المكاره حسبا وعدنا .
« ويزداد » بواسطته
« كيل بعير » وسق بعير زائدا على أوساق أباعرنا .. حيث يكال له كما يكال لنا ..
« ذلك كيل » ذلك مكيل .
« يسير » قليل لا يقوم بأودنا .
أو : ذلك الكيل الزائد ، قليل ، لا يضايقنا فيه الملك ، أو سهل عليه لا يتعاضمه .
فان عنده جبالا من القمح الخزون .

قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنْ اللَّهِ لِنَأْتِنِي بِهِ إِلَّا
أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ .

« قال » يعقوب - عليه السلام -

« لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ » لَنْ أَرْسِلَ مَعَكُمْ بِنِيَامِينَ . بعد أَنْ عَايَنْتَ مِنْكُمْ مَا أَجْرَى الْمَدَامِعِ

فِي يَوْسُفَ .

« حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنْ اللَّهِ » حَتَّى تَعْطُونِي مَا تُؤْتُونَ بِهِ مِنْ جِبْتِهِ .

أَرَادَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَنْ يُحْلِفُوا لَهُ بِاللَّهِ تَعَالَى .

« لِنَأْتِنِي بِهِ » حَتَّى تَحْلِفُوا بِاللَّهِ وَتَقُولُوا وَاللَّهِ لِنَأْتِنُكَ بِهِ .

« إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ » إِلَّا أَنْ تَعْلَبُوا فَلَا تَطْلِقُوا ذَلِكَ .

أَوْ : إِلَّا أَنْ تَهْلِكُوا جَمِيعًا .

« فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ » فَلَمَّا حَلَفُوا لَهُ بِاللَّهِ تَعَالَى حَسْبًا أَرَادَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - .

« قَالَ » غَرَضًا لثِقْتَهُ بِاللَّهِ تَعَالَى ، وَحَثًّا لَهُمْ عَلَى مِرَاعَاةِ حَلْفِهِمْ بِهِ عِزَّ وَجَلَّ .

« اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ » فِي أَثْنَاءِ طَلْبِ الْمَوْثِقِ وَإِتْيَانِ مِنَ الْجَانِبِينَ ، وَإِيْثَارِ صِيغَةِ الْاِسْتِقْبَالِ

لِاِسْتِحْضَارِ الصُّورَةِ الْمُؤَدَى إِلَى تَثْبِيهِمْ وَمَحَافِظَتِهِمْ عَلَى تَذَكُّرِهِ وَمِرَاقَبَتِهِ .

« وَكِيلٌ » مُطَّلِعٌ ، رَقِيبٌ . فَانَ الْمَوْكَلُ بِالْأَمْرِ يِرَاقِبُهُ وَيَحْفَظُهُ .

قِيلَ : وَالْمُرَادُ أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ مَجَازٌ عَلَى ذَلِكَ .

وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ
مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أَغْنَى عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا اللَّهُ عَلَيْهِ
تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ .

« وقال » ناصحهم لما عزم على ارسالهم جميعا .

« يَا بَنِيَّ » يَا اولادى .

« لاتدخلوا » مصر .. العاصمة ..

« من باب واحد » نهام - عليه السلام - عن ذلك حذرا من اصابة العين ، فانهم كانوا ذوى جمال وشارة حسنة ، وقد اشتهروا بين اهل مصر بالزاني والكرامة التي لم تنكس لعيرهم عند الرئيس . فكانوا مظنة لأن يصابوا بالعين إذا دخلوا كوكبة واحدة .

« وادخلوا من أبواب متفرقة » بيانا للمراد به وذلك لأن عدم الدخول من باب واحد غير مستلزم للدخول من أبواب متفرقة ، وفي دخولهم من بايين أو ثلاثة بعض ما في الدخول من باب واحد من نوع اجتماع مصحح لوقوع المحذور .

« وما أغنى عنكم » لأنفكم ولا أدفع عنكم بتدبيرى .

« من الله من شيء » من قضائه تعالى عليكم شيئا ، فانه لا يفتى حذر من قدر .

أراد بيان أن ما وصاهم به ليس مما يستوجب المراد لا محالة ، بل هو تدبير وتشبث بالاسباب العادية ، التي لا تؤثر إلا باذنه تعالى ، وأن ذلك ليس بمدافعة للقدر ، بل هو استعانة بالله تعالى ، وهرب منه اليه .

« إن الحكم » ما الحكم مطلقا .

« إلا الله » لا يشاركه أحد ولا يمانعه شيء .

« عليه » سبحانه دون غيره .

« توكلت » فى كل ما آتى به وأخر .

وفيه دلالة على أن ترتيب الأسباب غير مغل بالتوكل ، وفى الخبر « اعقلها وتوكل »

« وعليه » عز سلطانه دون غيره .

« فليتوكل المتوكلون » المريدون للتوكل .

ويدخل بنوه - عليه السلام - فى عموم الأمر دخولا أوليا ، وفى هذا الأسلوب

ملا يخفى من حسن هدايتهم وارشادهم إلى التوكل فيهم بصدده على الله تعالى شأنه غير معتمدين على ماوصاهم به من التدبير .

اشاعات

ما هذا؟ ما الذى دفع يعقوب - عليه السلام - أن يأمر أولاده العشر ألا يدخلوا من باب واحد ، وأن يدخلوا من أبواب متفرقة ؟
هل هو وقاية لهم من العين ، كما يقولون ؟
أم ماذا كان يعنى يعقوب بهذا التوجيه ؟
الحق .. أن العين حق .. وأن الإصابة بها حق ..
وقد أراد يعقوب ، أن يدفع عنهم شرها ..
فإن رؤية عشرة من الكواكب مجتمعين يدخلون من أبواب مدينة مصر .. فيه ما فيه من اثاره حقد الحاقدين ، وحسد الحاسدين ..
ثم ماذا ؟ .. ثم يضع يعقوب ناموسا عظيما .. « وما أغنى عنكم من الله من شيء .. » ..
أدنى شيء .. لا أستطيع دفعه عنكم إذا أراد الله بكم ..
ثم ماذا ؟ ثم ناموس آخر .. « إن الحكم إلا لله » لا يستطيع شيء أن يمانه شيئا ..
لماذا ؟ .. لأن الله إذا أراد شيئا .. فلا وزن لشيء بعد ذلك .. ولا بد أن يقع .. لأن الأقوى يبطل الأضعف ..
ثم ماذا ؟ .. ثم ناموس آخر .. « عليه توكلت » .. عليه وحده اعتمدت .. فرغم أنى أخذ بالأسباب .. إلا اننى أتعلم عليه وحده فى دفع السوء .. لاعلى أسبابى التى اتخذتها ..
ثم ماذا ؟ .. ثم ناموس أخير .. « وعليه فليتوكل المتوكلون » فليتعلم كل من أراد أن يعتمد على قوة عظمى ..
فامعنى هذا كله ؟ ..

مامضى ان يحاذر يعقوب من العين .. ثم يعود فيعلن أن هذا لا يدفع شيئا من قضاء الله .. ثم يعود فيعلن أن الحكم كله لله في الحقيقة .. وأنه لذلك لا يعتمد إلا على الله .. ولا ينبغي لأحد أن يعتمد إلا عليه سبحانه ؟
هل هو تناقض في اتجاهات يعقوب ؟
كلا .. وحاشاه .. بل ذلك هو الخط المستقيم .. الذى ينبغى أن يلتزمه كل إنسان مؤمن بالله ..

يأخذ بالأسباب .. وهذا يتمثل في سلوك يعقوب ، في أمره أولاده بالتفرق على أبواب متفرقة ..
ثم يعلم أن أسبابه هذه .. لا تمنع ارادة الله فيه / إذا توجهت إليه .. بل هي نافذة حما وقهارة أبدا ..
أى يعلم أن الأسباب غير مؤثرة بذاتها ، وإنما بما أودع الله فيها من تأثير ، ناتج عن النواميس الالهية السارية فيها ..

وبذلك يتلأأ في قلبه دائما « إن الحكم لإله » ..
ثم يدرك القضية في عمومها « عليه توكلت » .. أى ليست هذه الاسباب شيئا اركن إليه ، واحتجب به عن ربي .. بل أنى أتجه إليه مباشرة ، واطلب منه العون على أمرى ..
وهذا هو ما ينبغى على كل مؤمن .. أن لا تنيب عنه الحقيقة وسط الأخذ بالأسباب .. وإنما يرتب الأسباب .. وهو يوقن أنها ليست هي في ذاتها المؤثرة .. وإنما هو الله الذى اعطاها هذا التأثير .. « وعايه فليتوكل المتوكلون » ..

بقيت مسألة العين هذه كيف تؤثر في الإنسان ؟
قال علماء الروحية الحديثة في آخر ما وصلوا إليه في أبحاثهم .. أنه يخرج شعاع من عين العائن .. يتسلط على الشخص المصاب ، فيؤثر فيه تأثيرا شديدا ..
وهذا ليس بمستبعد .. والأشعاع الغير مرئية كثيرة ومتعددة ..

وتفصيل ذلك يرجع فيه إلى علوم الروحية الحديثة .. فقد اكتشفت في هذا المضمار

العجائب !!

- ٦٨ -

وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لَمَّا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ .

« ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم » من الأبواب المتفرقة من البلد .

قيل : كانت له أربعة أبواب فدخلوا منها .

والمعنى : ولما دخلوا متفرقين .

« ما كان » ذلك الدخول .

« يغني عنهم من الله » من جهته سبحانه .

« من شيء » شيئاً مما قضاه عليهم جل شأنه .

ذكروا أن هذا منه تعالى تصديق لما أشار إليه يعقوب - عليه السلام - في قوله : (وما

أغنى عنكم من الله من شيء) .

« إلا حاجة » ولكن حاجة .

« في نفس يعقوب قضاها » أظهرها ووصاهم بها ، دفعا للخطرة ، غير معتقد أن للتدبير

تأثيراً في تغيير التقدير .

والمراد بالحاجة شفقتة - عليه السلام - وحرارته من أن يعانوا أى يصابوا بالعين .

وقيل : المعنى ما أغنى عنهم ما وصاهم به أبوهم شيئاً إلا شفقتة التي في نفسه ، ومن الضرورة

أن شفقة الأب مع قدر الله تعالى كالهباء ، فاذن ما أغنى عنهم شيئاً أصلاً .

« وإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ » جليل .

« لما علمناه » لتعليمنا إياه بالوحي ، ونصب الأدلة ، حيث لم يعتقد أن الحذر يدفع القدر ، حتى يتبين الخلل في رأيه عند تخلف الأثر .

أو حيث بت القول بأنه لا يفتى عنهم من الله تعالى شيئاً ، فكانت الحال كما قال .

وتكبير (علم) وتعليقه بالتعليم المسند إلى ضمير العظمة من الدلالة على جلالة شأن يعقوب - عليه السلام - وعلو مرتبة علمه وخطامته ما لا يخفى .

« ولكن أكثر الناس لا يعلمون » سر القدر ، ويزعمون أنه يفتى عنه الحذر .

وقيل : المراد (لا يعلمون) إيجاب الحذر مع أنه لا يفتى شيئاً من القدر .

وقيل : المراد (لا يعلمون) أن يعقوب - عليه السلام - بهذه المثابة من العلم .

اشعاعات

فيها عجائب .. وغرائب .

الله سبحانه وتعالى يصدق على نظرية يعقوب - عليه السلام - !!

يقول يعقوب : « ما أغنى عنكم من الله من شيء » .

ويقول الله : « ما كان يفتى عنهم من الله من شيء » .

أى : كأن الله تعالى يريد أن يقول :

صدق يعقوب فيما قال وأعلن .. ما كان يستطيع أن يدفع عنهم شيئاً أردته بهم ..

ولا أدنى شيء ..

ومعنى هذا أن يعقوب نطق بالحق .. وأذاع الحق ..

ومعنى هذا أن يعقوب أوتي علماً عظيماً جداً جداً ..

وأن مستواه العلمي عال جداً جداً .. حتى استطاع أن يدرك هذا كله ..

وأن يرقى إلى ادراك تلك الحقائق الكلية .. العليا .. هذا الإدراك العظيم ..

ولذلك يفتى الله تعالى عليه .. « وإنه لنوع علم » ..

علم من لدنا .. « لما علمناه » .. لتعليمنا نحن إياه ..

علم من عنده تعالى .. لا ينال بأسباب .. ولا من مدارس .. ولا من أساتذة .

نور مباشر .. من الله إلى يعقوب ...

كيف كان علم يعقوب هذا ؟

ذلك مقام .. لا يدركه إلا يعقوب نفسه ..

لأنها تجربته .. التي عاشها مع ربه ..

ومقامه الذي لم يرق إليه سواه .. شيء بينه وبين ربه . تبارك وتعالى .. شيء يصفه الله

فيقول : « وإنه لذو علم ، لما علناه .. » وكفى بتلك شهادة !!

شيء .. لا يستطيع الناس أن يتذوقوه .. أو يدركوه .. لأنهم دون مستواه ..

وهذا هو سر تعقيبه .. بقوله ..

« واسكن أكثر الناس لا يعلمون » .. لا يستطيعون ادراك ما كان عليه يعقوب

من علم .

لأنه مستوى عال جدا جدا .. لا ينال بأسباب .. أنها النبوة .. النور المباشر .. المستوى

الذي لا يدركه الناس .. ولا يستطيعون !!

وَأَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا

تَبَيَّنْ لَهُ أَنَّهُ أَخُوهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

« ولما دخلوا على يوسف آوى » ضم .. « إليه أخاه » بنيامين .

قالوا : إنهم لما دخلوا عليه - عليه السلام - قالوا : أيها الملك ، هذا أخونا الذي أمرتنا

أن نأتيك به قد جئناك به .

« فقال لهم : أحسنتم وأصبتم وستجدون ذلك عندي ، وبلغوه رسالة أبيهم ، فإنه - عليه

السلام - لما ودعوه قال لهم : بلغوا ملك مصر سلامي ، وقولوا له : إن أبانا يصلي عليك

ويدعو لك ، ويشكر صنيعك معنا » .

وقالوا : إنه - عليه السلام - خاطبه بذلك في كتاب .

« فلما قرأه يوسف - عليه السلام - بكى .

« ثم إنه أكرمهم وأنزلهم وأحسن نزلهم .

« ثم أضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة ، فبقى بنيامين وحيدا فبكى وقال :

لو كان أخى يوسف حيا لأجلسنى معه .

« فقال يوسف - عليه السلام - بقى أخوك وحده ؟

« فقالوا له : كان له أخ فهلك .

« قال : فأنا أجلسه معى ، فأخذه وأجلسه معه على مائدة وجعل يؤاكله .

« فلما كان الليل أمرهم بمثل ذلك ، وقال بنام كل اثنين منكم على فراش .

« فبقى بنيامين وحده فقال : هذا بنام عندى على فراشى .

« فنام مع يوسف - عليه السلام - على فراشه .

« فجعل يوسف - عليه السلام - يضمه إليه ، ويشم ريحه ، حتى أصبح .

« وسأله عن ولده فقال : لى عشرة بنين ، اشتقت أسماءهم من اسم أخ لى هلك .

« فقال له : أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك ؟

« قال : من يجد أخا مثلك أيها الملك ؟ ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل !

« فبكى يوسف - عليه السلام -

« وقام إليه ، وعانقه ، وتعرف إليه عند ذلك » .

« قال : إبنى أنا أخوك » يوسف .

وكانت مفاجأة .. لبنيامين .

أيقل هذا ؟ ..

هذا الرجل .. العظيم .. الذى يحكم الإمبراطورية المصرية .. هذا هو يوسف !؟

« فلا تبتئس » فلا تحزن

« بما كانوا يعملون » بنا فيما مضى ، فان الله تعالى قد أحسن إلينا وجمعنا على خير .
ولا تعلمهم بما أعلمتك .
روى أنه قال ليوسف - عليه السلام - أنا لا أفارقك .
قال : قد علمت اغتمام والدي ، فاذا حبستك ازداد غمه ، ولا سبيل إلى ذلك إلا أن
أنسبك إلى ما لا يحمل .
قال : لا أبالي ، فافعل ما بدالك .
قال : فاني أدس صاعى فى رحلك ثم أنادى عليك بأنك سرقته ، ليتيها لى ردك بعد
تسريحك معهم .
« قال : افعل »

اشعاعات

تجرى حوادث هذه القصة .. فى انفعالات .. وشحنات من العواطف .. غاية فى
القوة .. وغاية فى العنف ..
بنيامين .. يتلفت يمينا .. وشمالا .. يبحث عن رفيق يأكل معه على مائدته فلا يجد ..
فيتذكر أخاه الذى هلك طفلا .. شقيقه الأوحده .. لو كان هنا .. لجلس معى كما يجلس
هؤلاء اثنين .. اثنين ..
وتنفعل نفسه انفعالا شديدا ..
ونجأة يأتى إليه رجل مصر الأول .. ورئيس وزرائها .. وصاحب الكلمة الأولى فيها ..
يأتى إليه فى أبهته وعظمته .. ويجلس معه .. ويخصه بهذا الشرف دون إخوته جميعا ..
ثم يمازحه .. ويلالطه .. ويأكل معه ..
وهذه كلها انفعالات تجرى فى نفس بنيامين متدافعة .. جارفة ..
ثم تكون المفاجأة الكبرى .. حين يستدعيه رئيس الوزراء .. ليشركه النوم فى
فراشه ..

وفي هذا اللقاء .. وحدهما ..

تكون المفاجأة الكبرى .. « إني أنا أخوك » ..

ولا يصدق بنيامين .. ويكاد يذهل ..

مفاجآت كبرى .. وانفعالات عظي .. كانت تنفجر في نفس بنيامين .. ونفس

يوسف ..

- ٧٠ -

فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ
أَتَيْهَا الْعَيْرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ .

« فلما جهزهم بجهازهم » فلما أمر باعداد قافلهم ، فأعدت ، ووفى لهم الكيل ، وزاد

كلامهم - على ماروي - حمل بهير .

« جعل السقاية » هي إماء يشرب منه الملك ، وبه كان يكال الطعام للناس .

روى : أنها كانت من ذهب .

أى أمر يوسف ، أحدا ، فجعلها ..

« في رحل أخيه » بنيامين ، من حيث يشعر أو لا يشعر .

« ثم أذن مؤذن » ثم ناد مناد .

أى : أذن رجل معين للأذان .

« أيتها العير » العير الإبل التي عليها الأحمال ، سميت بذلك لأنها تعير أى تذهب

ونجى .

والمراد هنا : أصحاب العير .

« إنكم لسارقون » أى نادى عليهم مناد : يا أصحاب القافلة ، يا أصحاب القافلة ..

قفوا .. إنكم لسارقون .. أنتم لصوص .

قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ .

« قالوا » قال إخوة يوسف .

« وأقبلوا عليهم » ازعجوا بما سمعوا . فارتدوا إلى المنادى ومن معه مسرعين ..

« ماذا تفقدون » أى شىء تفقدون ؟

أو : ما الذى تفقدونه ؟

والمعنى : ما ضاع منكم ؟

قَالُوا نَفَقِدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ .

« قالوا » قال المنادى عليهم ومن معه .

« نفقد » ضاع .

« صواع الملك » مكيل الملك .

وقرى : صِوَاع .. وصَاع .. وَصَوْع .. وَصُوع .

وكلها لغات فى : الصاع

وقرى : صُوعَاغ .. وَصُوعْغ ..

أى : نفقد مصوغ الملك .

أى : جواهر الملك الثمينة .

« ولمن جاء به » ولمن أتى به مطلقا ولو من عند نفسه .

وقيل : ومن دل على صارقته وفضحه .

« حمل بعير » من الطعام ، مكافأة له على إرشاده عليه .

« وأنا به زعيم » كفيل ، أؤديه إليه .

وهو قول المؤذن الذى كان ينادى عليهم ..

اشعاعات

ذلك بلاء جديد .. وأزمة خطيرة يتعرض لها أولاد يعقوب ..
انه اتهام يوجه إليه .. إنكم لصوص ..
وأى شيء فيه يهتمون ؟
في مكيال الملك .. الذى هو من الذهب الخالص ..
والذى له شهرة عالمية .. حيث تكال به الحبوب للناس جميعا .. من جميع أنحاء العالم ..
كأس الملك .. بلغة اليوم ..
كأس من ذهب خالص .. مرصع بالجواهر الثمينة ..
إنه قطعة فنية نادرة .. تقدر بالملايين ..
فضلا عن قيمته التاريخية .. والأثرية ..
إن رجال الأمن فى الدولة يطاردون اللصوص ..
وينادونهم : انكم لسارقون !!!

--٧٣--

قَالُوا تَاللّٰهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْاَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ .

« قالوا » قال إخوة يوسف .

« تالله » والله .. أوبالله ..

وأيا ما كان فى القسم بها معنى التعجب .. كأنهم تعجبوا من رميهم بما ذكر مع
مشاهدوه من حالهم .

قد روى أنهم كانوا يعكفون أفواه إبلهم لثلاث تنال من زروع الناس وطعامهم شيئا ،
واشتهر أمرهم فى مصر بالغة ، والصلاح ، والمثابرة على فنون الطاعات .

« لقد علمتم » علما جازما مطابقا للواقع .. لقد تأكد لديكم جميعا ..

« ماجئنا لنفسد فى الأرض » لتسرق ، فان السرقة من أعظم أنواع الفساد .

أو . لنفسد فيها أى إفساد كان ، فضلا عما نسبتونا إليه من السرقة .
فكانهم قالوا : مامرنا الافساد ببال ، ولانعلق بنخيال ، فضلا عن وقوعه منا .
« وما كنا سارقين » ما كنا نوصف بالسرقة قط .

اشعاعات

أقسم إخوة يوسف على أمرين .. والله .. لقد علمتم .. ماجئنا لنفسد فى الأرض ..
والله .. لقد تأكد لكم جميعا .. بكل شواهد الحال .. ماجئنا إلى هذه الأرض
الطيبة .. لنتكسب فيها الجرائم ونسرق فيها كأس الملك .
والثانى .. وما كنا سارقين .. والله .. ما كنا لصوصا .. يوما من الأيام .. حتى نحترف
السرقة فى هذه الأيام !!

إنه اتهام غليظ .. يوجه إلى مجموعة من الأجانب عن البلاد .. من حكومة البلاد ..
وموضوع الاتهام شىء ثمين جدا .. مشهور جدا ..
وزيد الاتهام قبيحا .. أنه صدر عنهم ضد الدولة التى اكرمتهم .. واحتفت بهم ..
وزادتهم من التكوين بدون مقابل ..

ضد رئيس الوزراء الذى اكرمههم .. فكان ردهم على اكرامه لهم .. أن اختلسوا
أعز شىء عنده .. اختلسوا كأس الملك الذى يعتبره يوسف أغلى هدية أهداها إليه الملك !!

-- ٧٤ --

قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ .

« قالوا » قال إخوة يوسف .

« فما جزاؤه » فاجزاء سرقته .

ما عقوبة السارق عندكم وفى شريعتكم ؟

على أى شىء ينص قانون بلادكم ، عقابا لمن سرق مثل هذا الشىء الثمين ؟

« إن كنتم كاذبين » فى ادعاء البراءة .

قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ .
« جزاؤه » عقابه .. عقوبته .

« من وجد » أخذ من وجد الصواع عنده واسترقاقه .

« في رحله » في جهازه ، في حمل بعيره .

« فهو جزاؤه » فأخذه واسترقاقه هو جزاؤه .

واختاروا عنوان الوجدان في الرحل دون السرقة مع أنه المراد لأن كون الأخذ والاسترقاق سنة عندهم ومن شريعة أيهم - عليه السلام - إنما هو بالنسبة إلى السارق دون من وجد عنده مال غيره كيفما كان .. إشارة إلى كمال زاهتهم .. حتى كأن أنفسهم لاتطاولهم وألسنتهم لاتساعدهم على التناظبه مثبتا لأحدهم بأى وجه كان .. وكأنهم تأكيدا لتلك الإشارة عدلوا عن وجد عنده إلى من وجد في رحله .
« كذلك ، مثل ذلك الجزاء الأوفى .

« نجزي الظالمين ، بالسرقة .

والظاهر أن هذا من تنمة كلام الإخوة ، فهو تأكيد للحكم المذكور بعد تأكيد ، وبيان لقبح السرقة .. وقد فعلوا ذلك ثقة بكمال براءتهم عنها ، وهم عما فعل بهم غافلون !
وقيل : هو من كلام أصحاب يوسف - عليه السلام -

وقيل : كلامه نفسه .. أى مثل الجزاء الذى ذكرتموه نعاقب نحن كذلك .. هنا ..

في هذه البلاد .. السارقين . أى : ينص قانون بلادى على استرقاق من سرق !

فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاہِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاہِ أَخِيهِ
ذَلِكَ كَدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ
اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ .

« فبدأ ، فبدأ الذى كان ينادى عليهم : قفوا للتفتيش .. انكم لصوص .

أى : فبدأ المؤذن .. المنادى ..

وقيل : فبدأ يوسف - عليه السلام - فقد روى أن إخوته لما قالوا ما قالوا ، قال لهم أصحابه : لا بد من تفتيش رجالكم ، فردوهم ، بمد أن ساروا منزلا ، أو بمد أن خرجوا من العمران اليه - عليه السلام - فبدأ .

« بأوعيتهم » أى بتفتيش أوعية الاخوة العشرة .

ولا يخفى أن الظاهر اسناد التفتيش إليه - عليه السلام - مجازى ، والمفتش حقيقة

الموظفون الذى يعملون بأمره بذلك .

« قبل » قبل تفتيش .

« وعاء أخيه » بنيامين لنفى التهمة .

روى أنه لما بلغت النوبة إلى وعائه قال : ما أظن هذا أخذ شيئا . فقالوا : والله لا تتركه

حتى تنظر في رحله فإنه أطيب لنفسك وأنفسنا .. ففعل .

« ثم استخرجها » ثم استخرج الكأس .. أى السقاية .. أو الصواع ..

وقيل : الضمير للسرقة .. ثم استخرج السرقة .. أى ثم اكتشفها ..

« من وعاء أخيه » من وعاء بنيامين .. أخيه .

والوعاء : الظرف الذى يحفظ فيه الشيء .

وعليه يكون - عليه السلام - قد فتش كل ما يمكن أن يحفظ الكأس فيه مما كان

معهم من رحل أخيه .

« كذلك » مثل ذلك الكيد العجيب ، وهو إرشاد الإخوة إلى الافشاء المذكور

بإجرائه على ألسنتهم ، وحملهم عليه بواسطة المستفتين من حيث لم يحسبوا .

« كدنا ليوسف » صنعنا ، ودبرنا ، لأجل تحصيل غرضه ، من المقدمات التى رتبها ،

من دس الكاش ، وما يتلوه .

« ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك » أى فى سلطان الملك .

أو : في حكم الملك وقضائه .

والكلام لتعليل لذلك الكيد ، كأنه قيل : لماذا فعل ذلك ؟

فقيل : لأنه لم يكن يأخذ أخاه جزاء وجود الكائن عنده في قوانين الملك في أمر السارق ، إلا بذلك الكيد ، لأن جزاء السارق في قوانين الملك - على ماروى - أن يضاعف عليه الغرم ، أى يحكم عليه بغرامة تعادل ضعف ثمن المسروق .. فلم يكن يتمكن بماضعه من أخذ أخيه بما نسب إليه من السرقة بحال من الأحوال .

« إلا أن يشاء الله » إلا حال مشيئته تعالى ، التى هى عبارة عن ذلك الكيد .

أو : إلا حال مشيئته تعالى للأخذ بذلك الوجه .

« ترفع درجات » أى رتبا كثيرة ، عالية من العلم .

« من نشاء » من نشاء رفعه حسبما تقتضيه الحكمة ، وتستدعيه المصلحة ، كما رفعنا

يوسف - عليه السلام -

وايثار صيغة الاستقبال للاشعار بأن ذلك سنة مستمرة ، غير مختصة بهذه المادة .

« وفوق كل ذى علم » من أولئك المرفوعين .

« عليهم » لا ينالون شأوه .

وفى صيغة المبالغة مع التنكير والاتفات إلى الغيبة من الدلالة على فخامة شأنه عز شأنه ،

وجلالة مقدار علمه ، المحيط ، جل جلاله ، مالا يخفى .

وقيل : أى ترفع درجات عالية ، من نشاء رفعه ، وفوق كل منهم عليهم . . هو

أعلى درجة .

قال ابن عباس - رضى الله تعالى عنهما - فوق كل عالم عالم ، إلى أن ينتهى العلم

إلى الله تعالى .

اشعاعات

ثم استخرجها !!؟

فيها جمال عجيب !!!

كأن هناك ضجة ... ورجة ... وتفتيش ... وبحث ... ودولة بأكلها تبحث عن كأس الملك ..

وأخيرا .. اكتشفوها .. مخبأة .. في وعاء بنيامين .. بطريقة عجيبة .. فاستخرجوها .. وأعلنوا اكتشافها !!!

كل ذلك تحويه هذه الكلمة « ثم استخرجها » !!!

ثم ماذا؟ ثم في الآية اعاجيب ... ونواميس ...

الناموس الأول ... « كذلك كدنا » ..

الله يكيد .. الله يدبر الأمور تديرا تخفي مراميه على الخلق ..

لقد شاء الله ليوسف أن يأخذ أخاه .. ويحتجزه معه ..

فماذا حدث ؟

حدث هذا الذي حدث ... من دس كأس الملك في وعاء بنيامين ... ثم جرى رجال

المباحث العامة وراء القافلة بعد أن غادرت العمران .. ثم استوقفوهم .. بتهمة السرقة ..

ثم كان جدال ..

ثم سألوهم ما عقوبة السارق عندهم ؟

فقال الإخوة : أن يسترق .

فوافق يوسف على أن يحاكمهم بقانونهم .. وقانون بلادهم ، لا بقانون مصر

آنذاك ..

فكان ذلك كيدا من الله ليوسف ..

أى تديرا له تعالى .. ليحقق ليوسف غرضه من استبقاء أخيه معه !!

وذلك فاموس إلهى يسرى دائماً وأبداً ..
أن الله تعالى يدبر الأمور .. تدبيراً فوق ادراك الخلق .. ويدق على أفهامهم ..
لقصور علمهم ..

الناموس الثانى .. وفوق كل ذى علم عليم ..
قال فى حق الخلق « ذى علم » .. وقل فى حقه تعالى « عليم » ..
فما معنى هذا ؟

معناه عميق جداً جداً ..
أن علم الخلاق .. مؤقت .. مستعار .. موهوب لهم .. ليس علماً ذاتياً .. قائماً بهم ..
ولذلك قال « ذى علم » .. أى صاحب علم .. مؤقت .

وأن علم الله . ذاتى .. قائم به تعالى .. لا يزول .. ولا يحول .. ولا ينتهى ولا يتناهى ..
ولذلك قال « عليم » !!!
تأمل !!؟

مستحيل أن تكون هذه الدقة .. وهذا الاحكام .. من كلام بشر !!!
وفىها أن علوم الخلق تتناهى .. ومحدودة ..
وأن علم الله لا يتناهى ..

وفىها أن العلم ذاته لا نهاية له بالنسبة للخلق .. وأن عليهم أن يستزيدوا منه دائماً ..
وفىها أن العلم درجات ..
وأن الله يهب تلك الدرجات لمن يشاء ..

وهذا هو الناموس الثالث .. « رفع درجات من نشاء » .. العلم مراتب .. آفاق وراء
بعضها البعض .. مستويات مختلفة ..

والله تعالى يرفع من يشاء إلى ماشاء من تلك المراتب ..
إنه محض فضله تعالى .. ومحض تفضله ..

وانه تعالى له مطلق الحرية . . في رفع من شاء من عباده . . إلى ما شاء من درجات العلم والمعرفة . .

- ٧٧ -

قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ .

• قالوا ، قال إخوة يوسف .

• إن يسرق ، إن يسرق بنيامين .

• فقد سرق أخ له من قبل ، يريدون به يوسف - عليه السلام - وما جرى عليه من جهة عمته .

عن مجاهد قال : كان أول ما دخل على يوسف - عليه السلام - من البلاد - فيما بلغني أن عمته - كانت تحضنه ، وكانت أكبر ولد إسحاق - عليه السلام - وكانت إليها منطقة أيها ، وكانوا يتوارثونها بالكبر ، فكانت لاتبأ أحدًا كخبها إياه ، حتى إذا ترعرع وقعت نفس يعقوب إليه فأتاها فقال : يا أختاه سلمى إلى يوسف ، فوالله ما أقدر على أن يغيب عني ساعة ، فقالت : والله ما أنا بتاركته فدعه عندي أيا ما أنظر إليه لعل ذلك يسليني فلما خرج يعقوب - عليه السلام - من عندها عمدت إلى تلك المنطقة فخرمتها على يوسف - عليه السلام - من تحت ثيابه ثم قالت : فقدت منطقة أبي إسحاق فانظروا من أخذها فالتفت ثم قالت : اكشفوا أهل البيت ، فكشفوهم فوجدوهم مع يوسف - عليه السلام - فقالت : إنه سلم لي أصنع فيه ماشئت فأتاها يعقوب فأخبرته الخبر ، فقال لها : أنت وذاك إن كان فعل ، فامسكته ، فاقدر عليه حتى ماتت .

والمعنى : إن كان سرق فليس ببذع أسبق مثله من أخيه ، وكأنهم أرادوا بذلك دفع المعرفة

عنهم ، واختصاصها بالشقيقين .

• فأسرها يوسف ، فأخبر يوسف الحزاة التي حصلت له - عليه السلام - بما قالوا .

وقيل : أضرهم مقالهم ، أو نسبة السرقة إليه ، فلم يجبهم عنها .
« في نفسه » لأنه أسرها لبعض أصحابه ، كما في قوله تعالى : (وأسرت لهم أسرارا)
« ولم يبدها » ولم يظهرها .
« لهم » لا قولا ولا فعلا ، صفحا لهم وحلما .
« قال » قال يوسف في نفسه .
« أنتم شر مكانا » أنتم شر منزلة في السرقة .
وحاصله انكم أثبت في الاتصاف بهذا الوصف وأقوى فيه ، حيث سرقتم أحاكم من
أيكم ، ثم طفقتم تفترون على البرى .
« والله أعلم بما تصفون » والله عالم علما بالغا إلى اقصى المراتب بأن الأمر ليس كما
تصفون صدور السرقة منا .

قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبَا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ
مِنَ الْمُحْسِنِينَ .

« قالوا » قال إخوة يوسف ، عندما شاهدوا مخايل أخذ بنيامين مستعطفين .
« يا أيها العزيز » يا صاحب الدولة والفخامة .
« إن له أبا شيخا كبيرا » إن لهذا الذي تريد أن تأخذه جزاء سرقة أبا طاعنا في السن
لا يكاد يستطيع فراقه ، وهو يتسلى به عن شقيقه المالك .
وقيل : أرادوا مسنا كبيرا في القدر .

« فخذ أحدنا مكانه » بدله ، فلسنا عنده بمنزلة من المحبة والشفقة .
« إنا نراك من المحسنين » إلينا فآتم احسانك ، فما الانعام إلا بالآتمام .
أو : من عادتك الإحسان مطلقا ، فاجر على عادتك ، ولا تغيرها معنا ، فنحن أحق

الناس بذلك

قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مِنْ وَجْدِنَا مَتَاعِنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذَا لَظَلْنَا لِمُونَ .

« قال » قال يوسف .

« معاذ الله » نعوذ بالله تعالى معاذاً من ..

« أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده » لأن أخذنا له إنما هو بقضية فتواكم ، فليس

لنا الأخلال بموجبها .

« إنا إذا » إذا أخذنا غير من وجدنا متاعنا عنده ولو برضاه .

« لظالمون » في مذهبكم وشرعكم ومالنا ذلك :

فَلَمَّا اسْتَيْسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ آبَاءَكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْتَقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَإِنَّ أُبْرَحَ الْأَرْضِ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ .

« فلما استيسوا منه » فلما يتسوا من يوسف - عليه السلام - واجابته لهم إلى

مرادهم .

أى : يتسوا بأسا كاملا ، ولعل حصول هذه المرتبة من اليأس لهم لما شاهدوه من عوذه بالله تعالى بمطالبوه الدال على كون ذلك عنده في أقصى مراتب الكراهة وأنه بما يجب أن يحذر عنه ويماذ بالله تعالى منه ، ومن تسميته ذلك ظلما بقوله : (إنا إذا لظالمون) .

« خلصوا » افردوا عن غيرهم واعتزلوا الناس .

« نجيا » متناجين متشاورين فيما يقولون لأبيهم .

« قال كبيرهم » رئيسهم ، وهو شمعون .

أو : كبيرهم في السن ، وهو روبييل .
« ألم تعلموا ، كأنهم أجمعوا عند التناجي على الانقلاب جملة ولم يرض به فقال منكرًا
عليهم .

« أن أبانم قد أخذنا عليكم موثقا من الله ، عهدا يوثق به ، وهو حلفهم بالله تعالى
وكونه منه تعالى لأنه باذنه فكأنه صدر منه تعالى أو هو من جهته سبحانه .
« ومن قبل ، ومن قبل هذا .

« ما فرظتم في يوسف ، قصرتم في شأنه . ولم تحفظوا عهد أيكم فيه ، وقد قلم ما قلمتم .
وما مزيدة .. وهذا على ما قيل أحسن الوجوه في الآية وأسلمها .

أي : ومن قبل هذا فرظتم في يوسف .
« فلن أبرح الأرض » فلن أفارق أرض مصر .

« حتى يأذن لي أبي » بالانصراف إليه .

« أو يحكم الله لي » بالخروج منها على وجه لا يؤدي إلى نقض الميثاق .

أو : بخلص أخى بسبب من الأسباب .

« وهو خير الحاكمين » إذ لا يحكم سبحانه إلا بالحق والعدل .

ارْجِعُوا إِلَىٰ أَيْبِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا
عَلَيْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ .

« ارجعوا إلى أيكم فقولوا له .

« يا أبانا إن ابنك سرق » الظاهر أن هذا الكلام من تنمة كلام كبيرهم .

« وما شهدنا » عليه .

« إلا بما علمنا » من سرقة ، وتبقيناه ، حيث استخرج كأس الملك من رحله .

« وما كنا للغيب حافظين » وما علمنا أنه سيسرق حين أعطيناك الميثاق .
أو : ما علمنا أنك متصاب به كما أصبت بيوسف .

- ٨٢ -

وَسئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ .
« وسئل القرية التي كنا فيها » وارسل من تنق به إلى أهل المدينة التي كنا فيها واسألهم
أى : واسأل أهل مصر ...

« والعير التي أقبلنا فيها » واسأل أصحاب القافلة الذين توجهنا فيهم وكنا معهم فان
القصة معروفة فيما بينهم .

وكانوا قوما من كنعان ، من جيران يعقوب — عليه السلام — .
« وإنا لصادقون » فيما أخبرناك به .

- ٨٣ -

قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبِرْ بِهِ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي
بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ .

« قال » قال أبوهم عندما رجعوا إليه فقالوا له ما قالوا .
« بل سولت لكم أنفسكم أمرا » بل زينت وسهلت لكم أنفسكم أمرا من الأمور
فأتيتموه .

والتعويض في (أمرا) للتعظيم أى : أمرا عظيما .

« فصبر جميل » أى فأمرى ذلك ، أو فصبر جميل أجل .

والصبر الجميل هو الذى لا شكوى فيه .

« إنه هو العليم » بحالى وحالمهم .

« الحكيم » الذى يتولى ويرفع البلاء حسب الحكمة البالغة .

قيل : إما نرجى — عليه السلام — للرؤيا التي رآها يوسف — عليه السلام —

فكان ينتظرها ، ويحسن ظنه بالله تعالى ، فانه قد جرت سنته تعالى أن الشدة إذا تهاوت
يجعل وراءها فرجا عظيما .

اشعاعات

فصبر جميل ١٩

كلمة عالية .. من يعقوب .. عليه السلام ..
تدل على أن الأنبياء لهم شأن غير شؤون الناس جميعا ..
سوف لأشكو .. وإنما سوف اصبر ..
« إنه هو العليم » بي .. وبآلامى وأحزاني .. على قد هذين الولدين ..

- ٨٤ -

وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْنَىٰ عَلَىٰ يَوْسُفَ وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ
فَهُوَ كَعِظِيمٍ .

« وتولى » وأعرض .

« عنهم » كراهة لما جاؤا به .

« وقال : يا أسنى على يوسف » الأسف أشد الحزن على ما فات ،

ياحزنى على يوسف ..

قالوا : إن مثل هذه المحبة الشديدة تزيد عن القلب الخواطر ، ويكون صاحبها كثير
الرجوع إليه تعالى ، كثير الدعاء والتضرع ، فيصير ذلك سببا لسكال الاستغراق .

« وبيضت عيناه من الحزن » أى بسببه .

وهو فى الحقيقة سبب للبكاء ، والبكاء سبب لايضاض عينه .

والايضاض . قيل أنه كناية عن العمى ، فيكون قد ذهب بصره - عليه السلام -

بالكلية .

وقيل : المراد من الآية أنه - عليه السلام - صارت في عينيه غشاوة بيضتهما -
وكان - عليه السلام - يدرك ادراكا ضعيفا .

قيل : كان منذ خرج يوسف من عند يعقوب - عليهما السلام - إلى يوم رجع
ثمانون سنة ، لم يفارق الحزن قلبه ، ودموعه تجري على خديه ، ولم يزل يبكي حتى ذهب
بصره . وما على الأرض يومئذ والله أكرم على الله تعالى منه .

« فهو كظيم » مملوء من التغيظ على أولاده ، ممسك له في قلبه لا يظهره .

وقيل : مملوء من الحزن ، ممسك له لا يبيديه .

أو : شديد التجرع للتغيظ أو الحزن لأنه لم يشك إلى أحد قط .

اشعاعات

ما هذا ؟ هذا مقام يعقوب - عليه السلام - ثمانون عاما .. وهو حزين .. دائم
البكاء .. ولكن .. لا يبت ما به إلى أحد .. وإنما إلى الله ..

لماذا هذا ؟

ليكون مع الله دائما ..

حتى عمي .. واصبحت الدنيا ظلما دائما ..

لماذا ؟ لينتقل إلى نوره تعالى ..

أرأيت ؟ حيلولة تامة بينه وبين الدنيا .. بينه وبين أحب ابنائه إليه .. ثم ولده الثاني ..

الذي يأتي في المرتبة الثانية من حبه ..

ثم اسدال الستار على الدنيا .. وحجبها عنه .. بالصبي ..

كل ذلك تقطيع للأسباب .. ليعود إليه تعالى وحده !!!

فلا شيء يراه يعقوب بعد الآن .. بعينه ..

ولا وجه يوسف .. الجميل .. أمامه ..

وإنما لم يعد للرجل شيء .. إلا الله ..

وهذا هو هدف البلاء ..

إنه هذا الحزن الدائم .. وهذا الفقد الدائم ..

طريق يعقوب .. إلى ربه ..

إنه مقام يعقوب .. وبالله من مقام !!

-- ٨٥ --

قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَيًّا تَكُونُ حَرَضًا أَوْ تَكُونُ
مِنَ الْهَالِكِينَ .

« قالوا » قال إخوة يوسف .

وقيل : غيرهم من أتباعه - عليه السلام - .

أو : معارفه .

« تالله تفتأ » أى لا تفتأ ولا تزال .

« تذكر يوسف » تفجعاً عليه .

أى قسم بالله تعالى لا تزال ذاكر يوسف متفجعاً عليه ...

« حتى تكون حرصاً » مريضاً ، مشفقاً على الملاك .

وقيل : المرض من أذابه هم أو مرض أو جطه مهزولاً نحيفاً .

« أو تكون من الهالكين » أى الملتين ...

-- ٨٦ --

قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَنِي وَحْزَنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ .

« قال » يعقوب - عليه السلام -

« إنما أشكو بنى » الظاهر أن القوم قالوا ما قالوا بطريق التسلية والاشكاء ، فقال

في جوابهم : إني لا أشكو ما بى إليكم أو إلى غيركم حتى تنصدوا لتسليتي وإنما

أشكو غمى ..

والبث هو النعم الذي لا يطيق صاحبه الصبر عليه . كأنه ثقل عليه فلا يطيق حمله وحده ...

« وحزنى إلى الله » تعالى ، ملتجئاً إلى جنبه . متضرعاً في دفته لدى بابه ، فإنه القادر على ذلك .

وى الخبر عن ابن عمر قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كنوز البر ، إخفاء الصدقة ، وكتمان المصائب ، والأمراض ، ومن بث لم يصبر » .

« وأعلم من الله » من لطفه ورحمته .

« ما لا تعلمون » فأرجو أن يرحمني ، ويلطف بي ، ولا يخيب رجائي .

اشعاعات

فيها أنوار عجيبة ...

النور الأول .. إنما أشكو بثي وحزني ... إلى الله ...

أى مالكم وشأني .. إنما هو شيء بيني وبينه ... أبته غمى .. وأرفع إليه حزني ...

إنه شيء يعيش فيه يعقوب .. ويرى فيه مقامه ...

فلا شأن لكم بذلك ..

النور الثاني ... وأعلم من الله ما لا تعلمون ...

ماذا يعلم يعقوب من الله ؟

هذا أيضاً .. مقام يعقوب وحده ... إن الله تعالى علمه شيئاً خاصاً به ...

يعلم عنه تعالى الكثير ..

ويعلم لماذا ابتلاه بهذا البلاء للشاق ؟

لماذا ابتلاه في يوسف بالذات ؟

لماذا اختار الله تعالى أن يكون البلاء في الولد .. الذي أهله ليحمل الرسالة من بعده ...

ورث النبوة عنه ؟

ويعلم كثيراً .. وكثيراً .. مما لا سبيل إليه ..
وإنما الضوء الذي يشرق علينا من ذلك التعبير ... أن الأنبياء لهم علم بالله ... فوق
علومنا جميعاً ... وأنهم أعلم الخلق بالله ..

« عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« كان يعقوب أخ مؤاخ في الله تعالى

« فقال ذات يوم ليعقوب : يا يعقوب ، ما الذى أذهب بصرك ؟

« قال : البكاء على يوسف .

« قال : ما الذى قوس ظهرك ؟

« قال : الحزن على بنيامين .

« فأتاه جبريل ، فقال : يا يعقوب ، إن الله يقرؤك السلام ، ويقول لك : أما تستحي ،

تشكونى إلى غيرى ؟

« قال : إنما أشكو بنى وحزنى إلى الله

« فقال جبريل : الله أعلم بما تشكو يا يعقوب

« ثم قال يعقوب : أى رب ، أما ترحم الشيخ الكثير ؟ أذهبت بعيرى ، وقوست

ظهري ، فاردد على ريمحائى ، أشمه شمة قبل الموت ، ثم اصنع لى ما أردت

« قال : فأتاه جبريل ، فقال : إن الله يقرؤك السلام ، ويقول لك : أبشر ، وليفرح

قلبك ، فوعزنى لو كانا ميتين لنشترتهما ، فاصنع طعاما للمساكين ، فإن أحب عبادى إلى

الأنبياء والمساكين

« اتدرى لم أذهبت بصرك ، وقوست ظهرك ، وصنع إخوة يوسف يوسف

ما صنعوا ؟

« انكم ذبحتم شاة ، فأنا كمسكين ، يقيم ، وهو صائم

« فلم تلمسوه منها شيئاً !

« قال : فكان يعقوب ، بعد ذلك ، إذا أراد النداء ، أمر مناديا فنادى : ألا من أراد النداء من المساكين فليتند مع يعقوب .

« وإن كان صائما ، أمر مناديا فنادى : ألا من كان صائما من المساكين ، فليفطر مع يعقوب (عليه السلام) » .
[رواه الحاكم]

يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيَاسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ .

« يا بني اذهبوا فتحسسوا » أى فتمرقفوا .

وهو تقفل من الحس ، وهو فى الأصل الإدراك بالحاسة ، وكذا أصل التحسس طلب

الإحساس .

« من يوسف وأخيه » أى من خبرهما .

ولم يذكر الثالث لأن غيبته اختيارية لا يصير ازالتهما .

« ولا تياسوا من روح الله » لا تقنطوا من فرجه سبحانه وتنفسه .

أو : لا تياسوا من رحمة الله .

أو : من فضل الله .

« إنه » أى الشأن .

« لا يياس من روح الله إلا القوم الكافرون » لعدم علمهم بالله تعالى وصفاته .

فإن العارف لا يقنط فى حال من الأحوال .

قال ابن عباس : إن المؤمن من الله تعالى على خير ، يرجوه فى البلاء ، ويحمده فى الرخاء .

قالوا : الياس لا يحصل إلا إذا اعتقد الإنسان أن الإله غير قادر على الكمال ، أو غير

عالم بجميع المعلومات ، أو لبس بكرم .

« واعتقاد كل من هذه الثلاث يوجب الكفر، فإذا كان اليأس لا يحصل إلا عند حصول أحدها وبمنها كفر، ثبت أن اليأس لا يحصل إلا لمن كان كافرا » .
واستدل بعضهم بالآية على أن اليأس من رحمة الله تعالى كفر، وادعى أنها ظاهرة في ذلك .

جاء عن ابن مسعود - رضى الله تعالى عنه - : إن اليأس أكبر الكبائر .
وكذا القنوط، وسوء الظن .

وفرقوا بينها، بأن اليأس عدم أمل وقوع شيء من أنواع الرحمة له، والقنوط هو ذلك مع انضمام حالة هي أشد منه في التصميم على عدم الوقوع، وسوء الظن هو ذلك مع انضمام أنه مع عدم رحمته له يشدده العذاب كالسكفار .

اشعاعات

فيما أطلقه بقوب ... من قوله : « ولا تيأسوا من روح الله ، إنه لا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون » ... اشعاعات عالية جدا .. تنير الطريق أمام الحيارى ، والضائعين واليائسين ، في ظلمات هذه الحياة ..
إن الناس جميعا ... إلا من رحم .. يتهاونون في بالوعة الضياع .. من هنا .. ومن هنا وحده ..

كم من شباب .. اندفع إلى الانتحار .. يأسا من الحياة ؟
كم من الملايين اندفعت إلى الإتهيار .. يأسا من أحوالها ؟
كم من أصناف الناس .. أعطوا ظهورهم لله .. يأسا من رحمته ؟
كثير .. كثير .. جدا .. جدا ..

فما هو هذا اليأس .. الذى يدفع الناس إلى هاوية الجحيم ؟
هو أن يستقر في مفاهيم الناس أن الله سوف لا يفعل بهم خيرا .. وأنهم سيكثون فيهم فيه من عذاب حتى الموت !!

وهذا الشاؤم .. يسود الحياة في عيني الإنسان .. ويدفعه إلى الإنهيار .. والتدخل ..
وعدم الإيمان بشيء كريم ..
وهو صفة من صفات الكافر بالله ..
لأنه لو آمن بالله ، لم أن الله واسع الرحمة .. وأن رحمته وسعت كل شيء ..
ولكان دائما في انتظار فرجه تعالى .. ورحمته تعالى .. القادمة إليه ..
ان اليأس ظلام .. يصيب القلب فيحجبه عن النور .. نور الله ..
كما أن الظلم ظلام ..
ومتى أظلم الإنسان .. عى .. فلم يبصر شيئا ..
فكان سهلا على الشيطان أن يعث به .. ويدفعه إلى المهالك ..
إنه نور عظيم .. يصدر عن يعقوب - عليه السلام - حين أعلن « لا تيأسوا من
روح الله » ...
وحين اذاع ذلك الناموس الالهى العظيم « إنه لا يأس من روح الله إلا القوم
الكافرون » ..
فجعل اليأس من رحمة الله .. موازيا للكفر بالله ..

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا
بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي
الْمُتَّصِدِّقِينَ .

« فلما دخلوا عليه » أى على يوسف - عليه السلام - بعد ما رجعوا إلى مصر ،

بموجب أمر أبيهم .

ولما لم يذكر ايذانا بمسارعتهم إلى ماأمروا به ، واشعارا بأن ذلك أمر محقق لا يفتقر

إلى الذكر والبيان .

« قالوا يا أيها العزيز » يا حضرة صاحب الدولة والنفخامة .. يا أيها الملك القادر المنيع .
« مسنا وأهلنا الضر » الهزال من شدة الجوع .. والمراد بالأهل ما يشمل الزوجة
وغيرها .

« وجئنا ببضاعة مزجاة » مدفوعة ، يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا .
أى جئنا ببضاعة قليلة ، تافهة ، لا قيمة لها .. وهى كل ما نملك ، أو نستطيع تقديمه ..
والظاهر أنهم قدموا هذا الكلام ليسكون ذريعة إلى اسعاف مرامهم ببعث الشفقة
وهز العطف والرأفة وتحريك سلسلة الرحمة ثم قالوا ..

« فأوف لنا الكيل » فأتمم لنا الكيل ، ولا تنقصه قلقة بضاعتنا . أو رداءتها .

« وتصدق علينا » بالايفاء ، أو بالمساحة وقبول تلك البضاعة التافهة .

أو : بالزيادة على ما يساويها .

وقيل : أنهم أرادوا تصدق علينا برد أخينا بنيامين على أبيه .

وهو الأنسب بحالمهم بالنسبة إلى أمر أبيهم ، وكأنهم أرادوا تفضل علينا بذلك لأن
رد الأخ ليس بصدقة حقيقية .

« إن الله يجزى المتصدقين » قالوا : فى المدول عن إن الله تعالى يجزى بصدقتك

إلى ما فى النظم الكريم مندوحة عن الكذب فهو من المعارض ، فانهم كانوا يعتمدونه
ملكاً كافراً .

أى : إن الله يجزى المتصدقين عموماً ويشيهم ..

اشعاعات

فى تلك المرحلة .. كانت هناك ثلاث أمور ..

بلغت شدة يقوب أقصاها ..

بلغت ذلة إخوة يوسف أقصاها ..

قد جاءوه يستعطفون .. ويطلبون الصدقة ..

بلغت عزة يوسف أقصاها .. فهوى في مقام الملك والتمكن والنفى .. وم .. هناك .. في
مقام الفقر .. والحاجة .. والذلة ..

فما معنى هذا؟

معناه أن شدة يعقوب .. قد أذنت بالانفراج ..
وهذا ما سيكون ..

-- ٨٩ --

قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ .

« قال » قال يوسف - عليه السلام - مجيبا عما عرضوا به ، وضمنوه كلامهم
من ذلك .

« هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه » هل علمتم قبح ما فعلتموه زمان جهلكم قبحه ،
وزال ذلك الجهل أم لا ؟

والظاهر أنه - عليه السلام - لما رأى ما رأى منهم وهو من أرق خلق الله تعالى
قلبا .. شرع في كشف أمره ..

ومراد - عليه السلام - تعظيم الواقعة ، أى ما أعظم ما ارتكبتم في يوسف وأخيه .

روى : أنهم لما استعطفوه رق لهم ، ورحمهم ، حتى أنه سال دمه با كيا ، ولم يملك
نفسه ، فشرع في التعرف لهم .

وأراد بما فعلوه به جميع ما جرى ، وبما فعلوه بأخيه أذاهم له ، وجفاهم إياه ، وسوء
معاملتهم له .

« إذ أنتم جاهلون » جاهلون بما يؤول إليه الأمر .

والظاهر أن ذلك لم يكن تشفيا ، بل حث على الاقتلاع ، ونصح لهم لما رأى من مجرم
وتمسكنهم ما رأى ، مع خفي معاتبة على وجود الجهل ، وأنه حقيق الانتفاء في مثلهم .

اشعاعات

وكان موقفا .. رائعا .. خالدا ..

رجال .. تسعة .. يتذللون .. ويتمسكونون .. ويسألون ..

ويوسف .. في أعلى مقامات القوة .. والسلطان .. والتمكين ..

ينادونه : يا أيها العزيز ..

وهم في أشد الحاجة إلى حفنة قمح مما تحت يديه !!

وكانت مفاجأة .. لهم .. جميعا ..

حين قال لهم ذلك العزيز : هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه ؟

هل تذكرون .. هل يذكر أحد منكم يوم أخذتم طفلا صغيرا .. وأجمعتم على

إلقائه في البئر ... لهلك ؟

هل تذكرون ما كنتم تفعلون بي وبأخي من إيذاء .. واضطهاد ؟

هل تذكرون .. تلك الجبهالات .. التي كانت تصدر منكم ؟

وهكذا .. كأوحى الله إليه .. ساعة القائه في البئر : « فلما ذهبوا به وأجمعوا أن

يجعلوه في غيابة الجب وأوحينا إليه لتنبئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون » .

[الآية ١٥ من تلك السورة] ..

أرأيت ؟ .. لتنبئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون ! ؟

وهاهو يوسف - عليه السلام - ينبئهم بأمرهم هذا .. يذكرهم بتلك القصة ..

قصة قذفه في بئر جافة .. لاماء فيها ولا سبيل إلى الخروج منها ..

هاهو ينبئهم بها .. وهم لا يشعرون .. في وقت هو أبعد ما يخطر على بالهم أن يكون

هذا الحاكم العظيم .. هو ذلك الطفل الذي أقوه يومها ليتخلصوا منه .. أو يهلك

إلى الأبد !!

إذ أنتم جاهلون ؟

لو كنتم تعلمون أنى سأنتهى إلى تلك النهاية العظيمة ما فعلتموها . . ولكنكم كنتم تجهلون ذلك !!

- ٩٠ -

قَالُوا أَهَ نَكَ لَأَنْتَ بُيُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ .

« قالوا » قال إخوة يوسف - عليه السلام -

« أملك لأنت يوسف » استبعدوا أن يكون العزيز يوسف ، أو يوسف عزيزا !
استفهام تقرير . . ولذلك أكد بأن واللام . .
أملك . . لأنت . . يوسف !!؟

غير معقول . . أنت يوسف !!؟ أنت !!؟ . . أنت يوسف عينه !!؟

« قال : أنا يوسف » نعم . . أنا يوسف . . أنا شخص يوسف . . بعينه وذاته . .
« وهذا أخى » وهذا . . بنيامين . . أخى . . شقيقى . .

مبالغة فى تعريف نفسه . .

« قد مَنَّ اللهُ علينا » هل علمتم ما فعلتم بنا من التفريق والاذلال ، فأنا يوسف ،
قدمن الله تعالى علينا بالخلاص ، عما ابتلينا به ، والاجتماع بعد الفرقة ، والعزة بعد الفلة ،
والأنس بعد الوحشة .

« إنه » أى الشأن .

« من يتق » من يفعل التقوى فى جميع أحواله .

أو : يق نفسه عما يوجب سخط الله تعالى وعذابه .

« ويصبر » على البلايا والحزن .

أو : على مشقة الطاعات .

أو : عن المعاصى التى تستلذها النفس .

« فان الله لا يضيع أجر المحسنين » فان الله تعالى يكافئهم حتما .. جزاء إحسانهم
وصبرهم .. وتقواهم ..

اشعاعات

من ذهول المفاجأة .. انهم ظلوا جميعا يتمجبون .. ويرددون ..

نك .. لأنت .. يوسف ١١١٩

أنت يوسف ١١١٩

مستحيل .. أن يكون ذلك ١١٩

من أين لك ملك مصر .. وهذه الأنهار تجري من تحتك ١٩

من أين لك .. كل هذا الذي أنت فيه ١٩

من أين لك الوصول إلى الحكم في هذه البلاد ١٩

وحتى لو وصلت إلى الحكم ، فكيف تأتي لك اختزان تلك الجيوب .. سنين طويلة ..

حتى سيطرت على منطقة الشرق الأوسط كلها ؟

وتبسم يوسف .. وقال : أنا يوسف ..

فازدادوا دهشة ..

ثم ازدادوا دهشة .. حين فاجأهم :

وهذا أخى .. وأشار إلى بنيامين ..

شقيقى .. ورفيقى .. فى البلاء .. والاضطهاد .. منكم ..

ثم تكلمت النبوة .. وتلا لآت ثناياها .. وأشرقت بنورها :

قد منَّ الله علينا ..

لاوجه للعجب .. كل ما هنالك أن الله تعالى أراد أن يمن علينا .

أن يتفضل علينا .. فأتانا ما آتانا .. فضلائه .. ومِنِّه .

فما وجه العجب فى ذلك ؟

إنها النبوة .. تطلق نواميس الخلود !!
ثم تلاً .. وتلاً : إنه من يتق ويصبر .. فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ..
هذا هو الناموس العظيم .. الالمى .. الذى أذاعه يوسف — عليه السلام — فأذاع
به سرا عظيماً من أسرار الله تعالى فى خلقه ..
عنصران .. اثنان .. هما شرط عدم الضياع عند الله ..
من يتق .. ويصبر ..

اتقاء المعاصى .. اتقاء كل مانهى الله عنه .. الابتعاد عن كل شىء يفضب الله ..
ومتى ابتعد الانسان عن المعاصى .. متى توقف عن الاهيار إلى أسفل فقد تماسك عند
قطعة الصفر ..

فعلية أن يبدأ الارتقاء إلى أعلى .. السير إلى الله .. إلى القرب ..
وهذا هو الصبر .. الصبر على معاناة متاعب الصعود .. نحو الله ..
كلما اعترضه ما يصدده .. صبر .. وصابر .. وواصل السير ..
ثم ماذا ؟ ثم ينتقل إلى المرحلة الثالثة .. مرحلة الاحسان .. مرحلة الإبصار ..
وادراك الحقيقة ..

إذا .. تعبير يوسف — عليه السلام — « المحسنين » .. كأنما يريد أن يقول :
الاحسان هو أن تتقى وتصبر .. وبدون تقوى وصبر فلا إحسان .. وكأنه يريد أن يقول :
من استوفى التقوى والصبر فهو محسن . أو من أراد أن يصل إلى مقام الإحسان ..
فعلية أن يكون تقياً .. وأن يكون صابراً .

ثم ماذا ؟ .. إن الله لا يضيع أجر المحسنين ؟
مستحيل .. هناك استحالة .. أن يضيع الله أجر إنسان أحسن فى حياته .. أجر انسان
اتقى .. وصبر ..

بل لا بد أن يكافئه .. فى الدنيا .. وفى الآخرة ..
تلك سنة الله .. ولن تجد لسنة الله تبديلاً ..

ثم ماذا؟ ثم انظر إلى التعبير .. من يتق .. ويصبر ..!؟

افعال مضارعة... تدل على الاستمرار ..

أى : من هو شأنه دائماً .. من استمر على التقوى .. واستمر على الصبر ..

لأنه لا عبرة بتقوى مؤقتة .. وصبر مؤقت .. ثم تدهور بعد ذلك وانقلاب ..

وتذبذب ..

إنما هو انسان دائماً تقياً .. ودائماً صابراً .. ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .. اتقوا الله

استطعتم !!

إنها النبوة .. تصدر اشعاعاتها !!

قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ .

« قالوا » قال أخوة يوسف ... حين انكشفت لهم الحقيقة ... وبهرتهم اشعاعات

النبوة ..

« تالله » نقسم بالله تعالى

« لقد آثرك الله علينا » لقد اختارك الله ، وفضلك علينا . .

لقد اختارك الله يا يوسف ... من دوننا جميعاً ... واحتصك بميراث النبوة ... نبوة

آبائك ابراهيم ... واسحاق ... ويعقوب ...

ثم آثرك علينا بالملك ... فأعطاك ملك مصر تتبوا منها حيث تشاء ...

وآثرك علينا في الصورة ... فجعلك أحسن الناس صورة ...

وآثرك علينا في كل شيء ... فأعزك ، وأذلنا ...

وأغناك وأقربنا ...

« وإن » أى والحال أن الشأن ..

« كنا لخاطئين » كنا لمتعمدين للذنب إذ فعلنا ما فعلنا ، ولذلك أعزك وأذلنا . .

و (خاطئين) من خطيء إذا تعمد .

وأما أخطأ : فقصده الصواب ولم يوفق له ..

اشعاعات

بينما ... يوسف ... في انطلاقات الرحمة ... يجوس خلالها ... كيف شاء ...

يسمى في بحار ... أنوار ... النبوة ...

بيده ... وتحت أمره ... أمر مصر ... يتدوأ منها حيث يشاء ...

ينعم ... بحب أهل مصر جميعاً ...

إذا بهؤلاء ... في ضيق الفقر ... وذل الحاجة ... وجفاف البعد !!!

لماذا؟

لأن هذا اتقى . . وصبر ... فلم يضيعه الله ... بل حفظ له حقه عنده ... وأفاض عليه

لقاء سلوكه ...

وهؤلاء لم يتقوا .. ولم يصبروا ... فكان الجزء من جنس العمل ...

قَالَ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ .

« قال » قال يوسف - عليه السلام - وهو في مقام القوة والتمكن ...

« لا تريب » لا تأنيب ولا لوم ..

« عليكم اليوم » بعد اليوم .

« يغفر الله لكم » إني لأرجو الله تعالى ، وأسأله أن يغفر لكم ما كان منكم ..

أى يستر ذنوبكم يوم القيامة ويتجاوز عنها .. وإني لأثق أنه تعالى سوف يغفر لكم ما كان

منكم ...

والحكم بذلك مع أنه غيب قيل : لأنه - عليه السلام - صفح عن جريمتهم حينئذ ،

وهم قد اعترفوا بها أيضا ، فلا محالة أنه سبحانه يغفر لهم ما يتعلق به تعالى ، وما يتعلق به
- عليه السلام - بمقتضى وعده جل شأنه بقبول توبة العباد ...
« وهو أرحم الراحمين » فان كل من برحم سواه - جل وعلا - فانما يرحم برحمته
سبحانه .

اشعاعات

يبدو ... أن يوسف - عليه السلام - كان سابحا وقتها ... في بحار ... أنوار ...
الرحمة ...

انظر ... لا تثريب عليكم ... اليوم ... يغفر الله لكم ... وهو أرحم الراحمين ...
هذه انطلاقات ... من بحار الرحمة التي كان يسبح فيها ...
لا تثريب عليكم ... لا لوم عليكم ... لن ألومكم ... ولن أقول شيئا ... إنما هي
المقادير .. ولكل شيء قدر !!

اليوم ... لا ألومكم الآن ... ولا بعد الآن ... لأن القدر لاحيلة فيه ...
« يغفر الله لكم » .. إحساس عميق عند يوسف ... ورغبة شديدة منه أن يتجاوز
الله لهؤلاء عما كان منهم ...

ثم ماذا ؟ ..
ثم يطلق يوسف ... ذلك الناموس الخالد ... وهو أرحم الراحمين ...
حلوة ... جميلة ... وهي تنبثق من ثناياه ...

هو ... أرحم ... الراحمين !؟
وفي بساطة تامة ... « ورحمتي وسعت كل شيء » ...
فما من شيء إلا وهو مغسوس في رحمته تعالى من أوله إلى آخره ..
فكل رحمة يتراحم بها الخلق ... هي أصلا منه ... مما منحهم من رحمته هو ...
فكيف لا يكون أرحم الراحمين !؟

اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي
بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ .

« اذهبوا بقميصي هذا » هو القميص الذي كان عليه حينئذ كما هو الظاهر .
« فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا » أى يصر بصيرا ، ويشهد له
أو ، يأت إلى وهو بصير ، أى يحضر إلى فى مصر وهو يصر وقد ذهب عنه العمى ..
« وأتوني بأهلكم أجمعين » من النساء والأولاد وأولاد الأولاد ..
أى : أحضروا بنى إسرائيل جميعاً إلى مصر ...
وكان أولئك الأهل نحواً من سبعين إنساناً ..
وفى التوراة أن من دخل مصر من بنى إسرائيل سبعون ..
وقد نحوا فى مصر ، فخرجوا منها ، مع موسى - عليه السلام - وهم ستمائة ألف وخمسمائة
وبضعة وسبعون رجلاً ، سوى الذرية والهرمى ، وكانت الذرية ألف ألف ومائتى ألف على
ما قيل !!

اشعاعات

يقف العقل هنا مطموسا ... عاجزا ...
ما هذا ؟ ... أيمقل هذا ؟ ...
هل مجرد إلقاء قميص على وجه أعشى يرده بصيرا ... ويرد إليه بصره ؟ !
ما السر فى ذلك ... ولماذا هذا ليوسف خاصة ... دون غيره ؟ !
وهنا نقول : مكانكم ... أيها المظلومون ...
إنها معجزة ... دارت بين نبي ونبي ...
وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ...
ولإيكم معجزة أخرى ... صدرت عن يعقوب ... لتزدادوا عجباً !

وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا
أَنْ تُفَنِّدُونِ .

« ولما فصلت العير » ولما خرجت القافلة من العريش ، قاصدة مكان يعقوب عليه السلام ، وكان قريبا من بيت المقدس ...

يقال : فصل من البلد يفصل فصولا ، إذا انفصل منه وجاوزه .

« قال أبوهم » يعقوب - عليه السلام - لمن عنده .

« إنى لأجد ريح يوسف » إنى لأشم ، فهو وجود حاسة الشم ... رائحة يوسف

أشمه الله تعالى ما عبق بالقميص من ريح يوسف - عليه السلام - من مسيرة ثمانية أيام

- على ماروى عن ابن عباس -

« لولا أن تفندون » لولا أن تنسبوني إلى الفند ... أى إلى ضعف الرأى والعقل من

الهرم وكبر السن .

ويقال ، شيخ مفند ، إذا فسد رأيه .

لولا تفنيديكم أباى لصدقتمونى أو قلت : إن يوسف قريب مكانه أو لقاءه أو نحو ذلك

والخطاب قيل : من كان بحضرته من ذوى قرابته .

اشعاعات

ما هذا ؟

هذه معجزة أخرى ...

كيف انتقلت رائحة يوسف ... على بعد مئات الأميال إلى يعقوب ؟

أو كيف كان لقميص يوسف مثل تلك الرائحة القوية ؟

وهل السر فى القميص ، أم فى حاسة يعقوب ؟

ولماذا القميص بالذات ، وما سر هذا القميص ؟

كل ذلك ... شيء فوق العقل ، يعلمه الله تعالى ...
وكل ذلك ... شيء آتاه الله نبيه - عليها السلام - يوسف ويعقوب ...
شيء دار بينهما ... وكانا هما موضع التجربة ..
والله يكرم من شاء بما شاء ...

قَالُوا تَأْتِيهِ الْغَمَاتُ كَمَا تَأْتِي سَائِرَ النَّاسِ لَوْلَا أَنَّكَ لَفِي ضَلَالٍ كَثِيرَةٍ .
« قالوا » قال أولئك المخاطبون .
« تأله » والله .

« إنك لفي ضلالك القديم » إنك لفي ذهابك عن الصواب ، قدما ، بالإفراط في محبة يوسف ، والإكثار من ذكره والتوقع للقائه ، وجعله فيه ليمسكته ودوامه عليه .
أى : لفي تخريفك الذي عشت فيه منذ فقدت يوسف ...
وقيل : الضلال هنا بمعنى الحب .
وقيل : هو الشقاء والعناء .
وقيل : الهلاك والذهاب .
وقيل : الجنون !
أى إنك لفي جنونك القديم !!

فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ
لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ .

« فلما أن جاء البشير » هو يهوذا أحد أبنائه ...
روى أنه قال لإخوته : قد علمت أنى ذهبت إلى أبى بقميص الترحة فدعوني أذهب
إليه بقميص الفرحة ... فتركوه .

« ألقاه » ألقى البشير القميص :

« على وجهه » على وجه يعقوب - عليه السلام -

وقيل : ألقى يعقوب القميص على وجهه ...

قيل : إنه - عليه السلام - أخذه فشمه ثم وضعه على بصره .

« فارتد بصيراً » فصار بصيراً ..

والمنعنى : أنه رجع إلى حالته الأولى من سلامة البصر .. وذهب عنه العمى ...

وفى الكلام ما يشعر بأن بصره صار أقوى مما كان عليه ، لأن فعلاً من صيغ المبالغة .

« قال : ألم أقل لكم » قال لئيبه القادمين

أى : ألم أقل لكم ، لا تياسوا من رحمة الله ؟!

« إني أعلم من الله ما لا تعلمون » ألم أقل لكم حين أرسلتكم إلى مصر ، وأمرتكم

بالتحسس ، أو نهيتكم عن اليأس من روح الله تعالى ، إني أعلم من الله ما لا تعلمون من

حياة يوسف عليه السلام ؟

أو : فإن مدار النهي العلم الذى أوتيته - عليه السلام - من جهة الله سبحانه .

أو : قال يعقوب .. لمن حوله : ألم أقل لكم إني لأجد ريح يوسف ، فكذبتموني

ورميتموني بالجنون والضلال ، فما هو قبيصه ، وما هو بصرى يعود أحسن مما كان ...

إني أعلم من الله ما لا تعلمون .. إني أكاشف بما لا سبيل لكم إلى علمه ...

اشعاعات

جاء فى الأخبار ، أنه - عليه السلام - سأل البشير : كيف يوسف ؟

قال : ملك مصر . فقال : ما أصنع بالملك ؟ على أى دين تركته ؟ . قال : على

الإسلام . قال : الآن تمت النعمة ..

وهى أفصوحة ... تشير إلى عظمة هؤلاء الأنبياء .. وسمو نظرتهم .. إلى قيم

الحياة ..

فما كان يقربهم إلى الله فهو الشيء الهام عندهم ...
وما كان يبعدهم عن الله .. فهو شيء لا وزن له في معايرهم ..

ومن أفاضل ذلك المقام ... قالوا : لما جاء البشير إليه .. قال : ما وجدت عندنا
شيئا ، وما اخترنا منذ سبعة أيام ... ولكن هون الله تعالى عليك سكرات الموت !!
تأمل ... نبي الله .. يعقوب .. لا يجد عنده شيئا يكافئ به البشير !!
وتلك مقاماتهم ... وذلك هو الثمن الذي يدفعون ..

قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ .

« قالوا » قال الإخوة القادمون .. الذين كانوا حاضرين ..
« يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا » يا والدنا اطلب من الله أن يتجاوز لنا عن ذنوبنا التي
ارتكبتها في حق يوسف وأخيه وحقك .. وسببنا لكم تلك المتاعب ، وذلك البلاء .
طلبوا منه - عليه السلام - الاستغفار ، ونادوه بعنوان الأبوة ، تحريكا
للعطف والشفقة ..

« إنا كنا خاطئين » إنا كنا متعمدين للخطأ ..

إنا كنا مجرمين .. آثمين .. فعلنا مالا ينبغي أن يفعل ..

قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ .

« قال » قال يعقوب - عليه السلام -

« سوف أستغفر لكم ربي » سوف أستم على طلب المغفرة لكم من ربي ..

« إنه هو الغفور » إنه تعالى هو دائم المغفرة .. يغفر لمن استغفره ..

« الرحيم » لأنه واسع الرحمة .. يدخل في رحمته من يشاء ..

روى عن ابن عباس - مرفوعا - أنه - عليه السلام - آخر الاستغفار لهم إلى
السحر ، لأن الدعاء فيه مستجاب .

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبْوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ
اللَّهُ آمِنِينَ .

« فلما دخلوا على يوسف » فرحل يعقوب - عليه السلام - بأهله ، وساروا حتى
أتوا يوسف ، فلما دخلوا على يوسف ..
« آوى إليه أبويه » ضم إليه أبويه واعتنقهما .
والمراد بهما أبوه وأمه راشيل .
أى : أخذها بالأحضان والعناق ، من شدة الشوق .
« وقال ادخلوا مصر » تمكنوا منها واستقروا فيها ..
أو : كلمة ترحيب .. بمعنى : مصر تحت أمركم ..
« إن شاء الله آمنين » آمنين من القحط وسائر المكارهِ ..
أى : إني لأرجو الله تعالى أن تحموا جميعا في مصر حياة طيبة .. آمنة ..

وَرَفَعَ أَبْوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ
رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْتُهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ
وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ
رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ .

« ورفع أبويه » ورفع أباه وأمه عند نزولهم بمصر .
« على العرش » على كرسي عرشه .. تكرمة لها فوق ما فعل باخوته من تكريم ..

« وخرؤاله » وخرؤاله جميعا .. أبواه واخوته .

« سجدا » ساجدين على الجباه ..

قالوا : كان السجود تحية الملوك عندهم ..

وقيل : كان كالركوع البالغ دون وضع الجبهة على الأرض .

إنه نظام الملوك .. وهو موجود إلى يومنا هذا في كثير من نظم الاستقبال في القصور

الملكية في العالم ..

« وقال ، يوسف .. حين رآهم ينحنون له تعظيما .. وتطبيقا للبر وتوكول وقواعده ..

« ياأبت ، ياأبي .

« هذا ، هذا الذي فعلتم من سجودكم لي .

« تأويل رؤياي ، إذ فيها (رأيتهم لي ساجدين) .

هذا تحقق وقوع ما رأيت في المنام وأنا صغير .. حين رأيت كأن أحد عشر كوكبا

والشمس والقمر .. رأيتهم لي ساجدين ..

أتذكر ياأبت ذلك ؟

أتذكر أنني قصصتها عليك آنذاك ؟

هاهي تتحقق بمخافيرها .. وتقع كما رأيت ..

وهاأنتم تسجدون لي .. تماما كما رأيت ..

هاهم اخوتي الأحد عشر .. وهاهو أنت .. وهاهي أمي .. تسجدون أمامي .. كما

رأيت تماما !!

« من قبل ، من قبل سجودكم هذا ..

أو : من قبل هذه الحوادث .

« قد جعلها ربي حقا » قد جعلها ربي صدقا ..

قد حققها .. كلها .. ووقعت حوادثها كما رأيت تماما .. عجبا !!

إن يوسف يتمجب من قدرة الله تعالى !!
ثم تذكر يوسف - عليه السلام - نعمة ربه عليه حين استنقذه من أقيح بلاء .
بلاء السجن . . فقال . .

« وقد أحسن بي » وقد أحسن الله إلي .
« إذ أخرجني من السجن » الاحسان هو الإخراج من السجن بعد أن ابتلى به ،
ثم وصوله للملك ، وخلصه من الرق ، والتهمة ، ثم اشتهاه أمره ، وارتفاع ذكره ،
وعوم خيره ..

« وجاء بكم من البدو » وجاء بكم من البادية .
وكان منزلهم على ما قيل : بأطراف الشام ، ببادية فلسطين ، وكانوا أصحاب
إبل وغنم .

« من بعد أن نزع الشيطان بيني وبين إخواني » من بعد أن أفسد الشيطان وحرش
بيني وبين إخواني .
وفيه تقاد عن لومهم .

وذكره تعظيماً لأمر الإحسان ، لأن النعمة بعد البلاء أحسن موقعا .
« إن ربي لطيف لما يشاء » إن ربي لطيف التدبير لما يشاء . .
إذ ما من صعب إلا وتنفذ فيه مشيئته تعالى ، ويتسهل دونها .
وحاصله أن اللطيف هنا بمعنى العالم بحقايا الأمور ، المدبر لها ، والمسهل لصعابها ،
ولنفوذ مشيئته سبحانه فإذا أراد شيئاً سهلاً أسبابه ، أطلق عليه جل شأنه اللطيف ، لأن
ما يلطف يسهل نفوذه .

« إنه هو العليم » بوجوه المصالح .
« الحكيم » الذي يفعل كل شيء على وجه الحكمة لا غيره .
قالوا : مقدار المدة بين الرؤيا وظهور تأويلها أربعون سنة . وهو قول الأكثرين .
وقالوا : وإلى ذلك ينتهي تأويل الرؤيا .

اشعاعات

كيف كانت احساسهم جميعا .. في تلك اللحظة .. لحظة اجتماعهم جميعا .. وجها لوجه؟
هاهو يوسف - عليه السلام - الطفل المفقود ، الذى زعموا أن الذئب قد أكله ..
واعتقدوا أنه هلك مع من هلك .. حاكما على مصر كلها .. يوجه سياستها .. ويضع
اقتصادياتها .. ويهيمن على مقدراتها .. ويبيده مفااتيح خزائنها ..
وهاهو يعقوب - عليه السلام - ذلك الأب الذى ذهب بعصره .. من طول حزنه
على يوسف .. قد التقى أخيرا بيوسف .. وقد رفعه الله درجات ودرجات ..
رفعه فى الدنيا منازل .. فى السلاطة .. والملك ..
ورفعه فى الآخرة درجات .. بظهور لألاء النبوة فيه .. واشعاع انوارها من قلبه ..
وتدبيره شئون البلاد ..

فكيف كان احساس يعقوب بالنعمة ؟ ..
وهاهى .. راشيل .. أم يوسف .. تراه بعد أن فقدت الأمل أن تراه ..
وماضلك باحساس الأم فى مثل هذه المفاجأة ، وكيف كان سرورها ؟
وهاهم الإخوة العشرة .. يجتمعون جميعا .. وقد أحسوا أنهم كانوا مجرمين فيما فعلوا فى
يوسف ..

وهاهو بنيامين .. شقيق يوسف .. ينتصر انتصارا عظيما .. ويجد أخاه الذى طالما حدثته
أمه راشيل عنه وعن جلاله وكرامته ، وعما صنع به اخوته .
لاشك أنه كان لقاء مثيرا جداً ..
فيه احساس متباينة .. متدافعة .. متحركة ..
حرك يوسف - عليه السلام - أن جعل يسرد القصة وما فيها من العبر .. وجعل
يوجه الكلام إلى أبيه توقيرا له وتعظيما :
ياأبت .. هذا تأويل رؤياى ... من قبل .. قد جعلها ربى حقا ..
: وقد أحسن بى إذ أخرجنى من السجن ..

: وجاء بكم من البدو ..

: من بعد أن نزع الشيطان بيني وبين إخوتي ..

: إن ربي لطيف لما يشاء ..

وهذه الفقرة الأخيرة .. تشير إلى عظمة علم يوسف - عليه السلام - بالله تعالى ..

لطيف لما يشاء ؟

تسرى مشيئته تعالى .. في الأشياء وتنفذ فيها .. في سهوله تكاد تخفى على الخلق ..

فها هي الموجودات كلها تسرى مشيئة الله تعالى .. فيها .. ولا أحد يشعر أن هناك

مشيئة تحرك ذلك كله !!

إن ربي لطيف !؟

تعبير لطيف .. عال .. لا يصدر إلا من نبي !!

ولقد كان اللطف في المشيئة .. سببا جعل أكثر الناس ينكرون وجود تلك المشيئة

لأنها خافية عليهم !!

ثم يتلأ لأحكام النبوة ، وصدقها حين يقول : إنه هو ..

هو سبحانه وحده .. العليم .. الحكيم !!!

— ١٠١ —

رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَظَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَرَبِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّيْ مُسْلِمًا
وَالْحَقِّي بِالصَّالِحِينَ .

«رب» يوسف يفيض قلبه .. من الاحساس بنعمة الله تعالى عليه .. وفضله .. فيتوجه

إلى الله .. أمام أبويه .. وإخوته .. وقلبه شديد التأثر من جميل احسان الله إليه ..

ولعل لألاء الدموع .. دموع التأثر .. كانت تترقرق في عينيه آنذاك .. ثم يقول :

رب ..

« قد آتيتنى من الملك » قد آتيتنى ملكا عظيما .. قد اعطينى ملك مصر وغيرها .. مما
يتمد إليه نفوذ مصر .. مما جاورها من البلاد .. وما تؤثر فيه مصر بنفوذها السياسى ..

وأى ملك كان ملك يوسف ؟

لعله كان أعظم ملك فى العالم آنذاك ؟

لقد كانت مصر على عهد الفراعنة اعظم دول الأرض ..

فكيف إذا تولاها أعظم ماتحمل الأرض وقتئذ .. يوسف .. بن يعقوب ..

بن إسحاق .. بن إبراهيم ؟

كيف إذا تولاها الكريم ابن الكريم ابن الكريم ؟

كيف إذا تولاهانبي .. فاجتمعت له أسباب الملك والعزة .. ونور النبوة وهداها ؟

لاشك أن البلاد فى عهده نعمت باستقرار ورخاء وحرية وأمن وعدالة لم تنعم به دولة

فى الأرض آنذاك !

« وعلمتني من تأويل الأحاديث » المراد بتأويل الأحاديث :

إما تعليم تعبير الرؤيا .. وهو الظاهر ..

وإما تفهيم غوامض أسرار الكتب الإلهية ، ودقائق سنن الأنبياء ..

ولقد أوتى يوسف - عليه السلام - من الأمريين شيئا عظيما ..

فهو يعلم تأويل الرؤيا .. علما من لدن عليم حكيم ..

وهو يعلم حقائق دقائق ما أنزله الله من أحاديث إلى رسله .. وما يتحدث به الأنبياء من

قبله إلى الناس .. مما أوحى إليهم ربهم ..

وهذا يدل على رسوخه - عليه السلام - فى العلم - كما قال تعالى « وما يعلم تأويله إلا الله

والراسخون فى العلم .. »

ويوسف - عليه السلام - نبوة .. فى مقامها .. فكيف كان علمه بتأويل كلام الله ،

وتأويل أحاديث انبيائه ؟

لاشك أنه كان عظيماً؟

• فاطر السماوات والأرض « مبدع السماوات ومبدع الأرض ..

خالق السماوات ، وخالق الأرض ..

• ووصفه تعالى به ، بعد وصفه بالربوبية ، مبالغة في ترتيب مبادئ ما يعقبه من قوله ..

« أنت ولي » أنت متولى أمورى كلها .. ومتكفل بها .

أو : موالى لى ، وناصر .

« فى الدنيا » الذى يعطينى نعم الدنيا .

« والآخرة » والذى يعطينى نعم الآخرة .

« توفنى » اقبضنى .

« مساماً » مساماً لك إسلاماً كاملاً .. منقاداً لأمرك انقياداً تاماً .

« وألحقنى بال صالحين » من آبائى الكرام ، يعقوب ، وإسحاق ، وإبراهيم .

اشعاعات

وكانت لحظة .. أى لحظة ؟ .. لحظة أنس بالله .. وبكاء قلب يوسف أمام الله تعالى .

وليس كالأنبياء إحساساً بنعمة الله تعالى عليهم ..

وليس كمثلهم تأثراً بفضل الله تعالى إليهم ..

وأمام أبويه وإخوته .. ينظر يوسف إلى القصة من أولها إلى آخرها .. ويعبر ذلك

التاريخ الطويل لقصته وقصتهم ..

ثم يتأمل ما حوله من مظاهر الملك ، وما مكنه الله فيه من قصور الفراعنة ، وأبهة

السلطان .. فتجيش نفسه بأكرم الأحاسيس التى يمكن أن تفيض من قلب بشر ..

أحاسيس عليا ... متجهة إلى الله كلها ..

ويهتف بربه تبارك وتعالى : رب قد آتيتنى من الملك ..

حلوۃ .. خفيفة .. لطيفة .. فيها إدراك محيط .. وبحر عميق .. من المعارف .. والعلم
بالله تعالى ..

بعد أن كان عبداً مملوكاً .. مباعاً بدرام حقيرة ..
أصبح ملكاً مطاعاً .. يستمتع بالحرية في أقصى مستوياتها ..
ويكنى أن الله عبر عن ذلك بقوله : وكذلك مكنا يوسف في الأرض ، يتبوأ منها
حيث يشاء ..

أى حقق الله له الحرية في أعلى مستوياتها ... يفعل ما شاء ... ويتحرك كيف يشاء ...
أعطاه الله تعالى أعلى ما يعطى من أسباب السلطان الظاهر ..
وفي الباطن .. علمه من تأويل الأحاديث ...
وهذا أيضاً ملك آخر ... أعرض ... وأعلى من سابقه ...
فإن ملوك الباطن ... أوسع ملكاً ... من ملوك الظاهر ...

إن علماء الحقيقة .. وأهل المعرفة بالأمر الإلهية .. أوسع ملكاً .. من ملوك الحكم
والسياسة ..

ذلك أن العلم واسع لا يقناهى .. بينما سلطة الملك تنهاى ..
فتح الله ليوسف ما شاء من خزائن علمه تعالى ... وأعطاه ... وآتاه ...
فكان يعلم حقائق الرؤى ...
وكان يعلم حقائق النفوس ...
وكان يعلم حقائق الوحي الإلهي ...
وكان يعلم كيف يسوس شعبه ، وكيف يقوده خير قيادة ..
فاجتمع له ملك الظاهر ... وملك الباطن ...
وأوتي علم الظاهر ... وعلم الباطن .. فكان ملكاً عظيماً ... ونبياً عظيماً ... ورسولاً
عظيماً ...

فكان الشخصية العظمى ... في عصره ... في الأرض كلها !!!
ثم يرتفع يوسف - عليه السلام - في نجواه .. ويرتفع .. فاطر السماوات والأرض ..
فيها مقام رفيع جدا .. أنت الذى أبداع كل شيء .. أنت الذى أبداع السماوات بما
فيها ومن فيها من عجائب قدرتك .. وأبداع هذه الأرض بما عليها من غرائب ..
ثم يغيب كل شيء من قلب يوسف - عليه السلام - وتشرق شمس الذات في قلبه
إشراقا عظيما ... فلا يرى إلا إياه ... فيناجيه : أنت وليي ...

أنت وحدك .. الذى تولانى من أولى إلى آخرى ...
تولانى فيما مضى ... وسيتولانى فيما هو آت ...
وإذ لك كان تعبيره « فى الدنيا والآخرة » .. خالدا .. يبرق ببريق النبوة الرهيب ..
كما أنك يارب خلقت السماوات والأرض .. خلقتنى شيئا ضمن هذه السماوات والأرض ..
وتعهدتنى من بدايتى إلى نهايتى ...

ثم يتدلل .. ويتدلل .. فى جناب ربه تبارك وتعالى .. توفى مسلما ...
أرجوك .. أن تيمتى مسلما نفسى إليك .. لا أرى نفسى شيئا .. بل أكلها إليك ..
أنت وليها ومولاها ...

وألحقى بالصالحين ...

أرجوك أن تفضل على ... كما تفضلت على دائما ... وتضمنى إلى عبادك الكاملين

فى الصلاح !!

هذا يوسف ... عليه السلام ...

قاب !؟ .. ياله من قلب !!

ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا
أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ .

« ذلك » الذى قصصناه عليك من أنباء يوسف عليه السلام ..
« من أنباء الغيب » من أخبار الغيب الذى لا يحوم أحد حول خبره .
« نوحيه إليك » نزله إليك عن طريق الوحي .
« وما كنت لديهم » وما كنت حاضرا مع إخوة يوسف - عليه السلام -
« إذ أجمعوا أمرهم » إذا اتفقوا جميعا على أن يحملوه فى غيابة البئر .
« وهم يمكرون » وهم يمكرون بيوسف - عليه السلام - ويبنون به الفوائل .
والمعنى أن هذا النبأ غيب لم تعرفه إلا بالوحي لأنك لم تحضر إخوة يوسف - عليه
السلام - حين عزموا على ما هموا به من أن يحملوه فى غيابة الجب وهم يمكرون به .
ومن المعلوم الذى لا يخفى على مكذبيك أنك ما لقيت أحدا سمع ذلك ، فتعلمته منه .
وقيل : إن هذا تهكم بمن كذبه ، وذلك من حيث أنه تعالى جعل المشكوك فيه
كونه - عليه السلام - حاضرا بين يدي أولاد يعقوب - عليه السلام - ما كرين ، فنفاه
بقوله : (وما كنت لديهم) وإنما الذى يمكن أن يرتاب فيه المرتاب قبل التعرف هو
تلقية من أصحاب هذه القصة .. أى قد علمت يا مكابرة أنه لم يكن مشاهدا لمن مضى من
القرون الحالية وإنكاركم لما أخبر به يفضى إلى أن تكابروا بأنه قد شاهد من مضى منهم .
وقيل : المذكور مكرهم ، وما دبروه ، وهو مما أخفوه حتى لا يعلمه غيرهم ، فلا يمكن
تعلمه من الغير !

اشعاعات

هذه قصة كاملة .. من أولها إلى آخرها .. من بدايتها إلى غايتها .. من جذورها
إلى ثمرتها ..
قصة ظاهرة ... وباطنة ..
قص فيها الحوادث الظاهرة .. وقص فيها الأقوال الباطنة .. والأفكار الخبوءة
فى الصدور ..

وهذا أبلغ دليل على كونها وحى يوحى ...
فإن المرء بعقله المحدود .. لا يستطيع أن يتعرف على الأفكار التي كانت تدور سرا
بين الناس ..

فاذا نبأنا الله بها .. كان ذلك دليلا على أنها وحى إلهي ..
« وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون » !؟

لقد كان حديثا سريرا .. يدور بين العشرة .. اتقلوا يوسف .. اطرحوه أرضا ..
أقوه في غيابة الجب .. ماذا تقولون لأبيكم ؟ كيف الخلاص من هذا الطفل ؟
أرأيت ؟ .. شيء كان يدور بينهم .. بعيدا عن الأعين .. وعن أيهم ..
فلو افترضنا أن محمدا .. صلى الله عليه وسلم .. استمع إلى قصة يوسف .. من السابقين ،
كإيزعق الذين يكذبونه ..

فمن أين له علم هذه الخفيات .. التي لا يعلمها إلا من كان حاضرا معهم .. شاهدا
لأحاديثهم !؟

وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ .

« وما أكثر الناس » الظاهر العموم ، أى أن الأغلبية العظمى .
« ولو حرصت » على إيمانهم ، وبالتالي في إظهار الآيات القاطعة ، الدالة على
صدقك عليهم .

« بمؤمنين » لتصميمهم على الكفر ، وإصرارهم على العناد ، حسبما اقتضاه استعدادهم .

قيل : سألت قريش واليهود رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن قصة يوسف
— عليه السلام — فزلت مشروحة شرحا وافيا ، فأمل عليه الصلاة والسلام أن يكون
ذلك سبب إسلامهم ، وقيل : إنهم وعدوه أن يسلموا فلما لم يفعلوا عزاه تعالى بذلك .

اشعاعات

فيها ناموس عظيم ..
« وما أكثر الناس .. بمؤمنين » .. الاكثرية دائما من الناس .. في كل زمان
ومكان لا تؤمن ..

ولو حرصت ؟ .. مهما حاولت .. واجتهدت أن تدعوم إلى الايمان ..
لماذا ؟ لأن هناك حيلولة بينهم وبين الايمان ..
هناك ظلام في قلوبهم .. يحول بينهم وبين ذلك الأمر ..
فلا فائدة من دعوة .. ولا أمل في استجابتهم ..
والواقع التاريخي كله يؤيد ذلك ..

فكم من القرون مضت .. وكم من القرون سوف تأتي .. والإنسان هو الإنسان ..
من حيث النباء .. أكثرية كافرة .. وأقلية مؤمنة ..

- ١٠٤ -

وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ .

« وما تسألهم عليه » وما تطلب منهم على تبليغ القرآن والحق إليهم ..
« من أجر » من ثمن ما ..

إن الدعوة تقدم إليهم مجانا .. بلا مقابل ..

« إن هو إلا ذكر » إن هذا القرآن إلا تذكير من الله تعالى .

« للعالمين » لجميع الناس .

اشعاعات

فيها ثلاث نواميس .. خالدة ..
الأول .. وما تسألهم عليه من أجر ..

أن الله تعالى يقدم دعوة الحق .. ويقدم وحيه .. مجانا .. ومحرم على رسله أن يأخذوا عليها أجرا قليلا أو كثيرا .. ويوجب عليهم أن يتجردوا وهم يبلغوها إلى الناس .. من المنافع الدنيوية ..

الثانى .. ان هو إلا ذكر .. هذا القرآن تذكير ..
تذكير للانسان بما يجب عليه نحو الله .. وتذكير له كي لا ينسى ..
الثالث .. للعالمين .. للجميع .. دعوة عالية لكل الناس .. فى كل زمان ومكان ..

وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ .

« وكأين من آية » وكَم من آية .

والمراد بالآية الدليل الدال على وجود الصانع ووحدته وكال علمه وقدرته .
والمعنى : وكأى عدد شئت من الآيات الدالة على صدق ما جئت به غير هذه الآية .
« فى السماوات والأرض » كأنه فيها من الأجرام الفلكية ، وما فيها من النجوم ، وتغير أحوالها ، ومن الجبال ، والبحار ، وسائر ما فى الأرض من المعجائب الفائتة للحصر .
« يمرون عليها . » يشاهدونها .

« وهم عنها معرضون » غير متفكرين فيها ، ولا معتبرين بها .

وقرى : والأرضُ (بالرفع) .

والمعنى والأرض يمشون عليها .. يجيبثون .. ويذهبون فى الأرض .. ويرون آثار الامم الهالكة ، وما فيها من الآيات والعبر ، ولا يتفكرون فى ذلك

اشعاعات

فيها العجب .. هناك إذا ما لا يحصى من الآيات .. في السماوات .. وفي الأرض .. تدل على وجود الله .. ووحدانيته .. وقهروته .. وجبروته .

فما من ذرة في هذا الكون إلا وهي تشهد أنه لا إله إلا الله ..
تركيبها .. صناعتها .. حركتها .. ابداعها ..

وما من خلية مما يتكون منه جسم الإنسان أو غيره من الكائنات الحية إلا وهي تشهد بذلك .

أى شيء .. كل شيء .. يدل على أنه الواحد .

وكم من آية !!؟

إني الملح في ثنايا هذه الآية تهديدا خطيرا .. جدا .. جدا ..

كأن الله يريد أن يقول : إذا كانت هذه الآيات التي لأخصى في خلق السماوات والأرض .. وما فيها من عجائب .. لا تكفيكم لتعلموا انى الله لا إله إلا أنا .. فالويل لكم .. وانتظروا عذابي الأليم !!!

- ١٠٦ -

وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ .

« وما يؤمن أكثرهم بالله » في اقرارهم بوجوده تعالى وخالقيته .

« إلا وهم مشركون » به سبحانه .

أى : ما يؤمن أكثرهم إلا في حال اشراكهم .

قيل : هم أهل مكة ، آمنوا وأشركوا ، كانوا يقولون في تلييتهم : لبيك اللهم لبيك ،

لبيك لا شريك لك ، الا شريكاهو لك ، تملكه ومملك . ومن هنا كان صلى الله عليه وسلم

إذا سمع احدهم يقول : لبيك لا شريك لك يقول له : قط قط ، أى يكفيك ذلك ، ولا تزد

« الا شريكاه » الخ .

وقيل : هم كفار العرب مطلقا أقروا بالخالق الرازق المميت وأشركوا بعبادة الأوثان والأصنام .

وقيل : انهم أهل الكتاب أقروا بالله تعالى وأشركوا به من حيث كفروا بنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم . أو من حيث عبدوا عزيرا والمسيح عليهما السلام .

وقيل : وأشركوا بالتبني واتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أربابا .

وقيل : انهم المرآزون بأعمالهم ، والرياء شرك خفي .

وقيل : هم الناظرون إلى الأسباب المعتمدون عليها .

وقيل : هم الذين يطيعون الخلق بمصيبة الخالق .

وتد يقال نظرا إلى مفهوم الآية إنهم من يندرج فيهم كل من أقر بالله تعالى وخالقته مثلا ، وكان مرتكبا ما يعد شركا كيفما كان .. ومن أولئك عبدة القبور ، والناذرون لها ، المعتقدون للنفع والضر من الله تعالى أعلم بحاله فيها .

اشعاعات

هذه .. من أخطر الآيات ..

انها تقرر ناموسا خطيرا جدا ..

وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون !!!

هناك قال .. من قبل .. وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ..

هذه هي الصفة الأولى .. للبشرية .. أكثر البشر كفار ..

وهناك قلة مؤمنة ..

أى أن الاكثرية من البشرية لا يعتقدون بوجود الله .. ولا بفكرة الالهية من

أساسها ..

هذه هي الصفة الأولى ..

ثم تأتي الصفة الثانية ..

تصفية الأقلية المؤمنة من البشرية ..

« وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » !!!

حتى الأقلية .. التي تؤمن .. التي تعتقد بوجود الله .. حتى هذه أكثرها .. هي

الأخرى مشركة !!!

مامعنى هذا ؟ معناه أن التوحيد الصافي .. نادر جدا ..

لا يرتفع إليه .. الاقلية القليلة ..

من أين يتسرب مرض الشرك إلى قلوب المؤمنين بالله ، المعتقدين بوجود إله ؟

من قصور تفكيرهم .. عن ادراك الحق المجرد ؟

يقول لهم الله : اعبدوني .. واتجهوا إلى مباشرة ..

وهم يقولون : بل نعبدك عن طريق أصنام .. أو أوهام .. أو قديسين أو زعم لك

بنات وبنين !!

وهذا كله قصور في الفهم !!!

آية خطيرة جدا ..

ان المؤمنين أنفسهم .. في حاجة إلى تنظيف إيمانهم .. انها تنذر بالخطر .. خطر تسرب

الشرك إلى القلوب المؤمنة ..

وفي هذه الآية أسرار عميقة جدا ..

فيها أن كل مؤمن يتعرض لداء الشرك باستمرار ..

أى أن قلب المؤمن معرض للاضلال .. دائما ..

وأن القلب في حالة الغفلة عن الله .. يكون مشركا بالله ..

وأن الشرك أصناف وألوان .. لا تحصى ..

أَقَامُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً

وَمَنْ لَا يَشْعُرُونَ .

«أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله» أى عقوبة تشاهم وتشملهم .
والاستفهام انكار فيه معنى التوبيخ والتهديد .
والمراد بهذه العقوبة ، ما يعم الدنيوية ، والأخروية - على ما قيل -
« أوتأتيتهم الساعة بغتة » لحجة من غير سابقة علامة .
« وهم لا يشعرون » باتيانها ، غير مستعدين لها .

اشعاعات

أفأمنوا أن تأتيهم غاشية؟!
الوهية .. تتكلم .. فيأتى كلامها فيه جلال الأوهية .. وجمالها .. وقهراتها ..
وجبروتها!
غاشية؟ شئ يفعل .. يظلمهم .. ويمهمهم بعذاب ..
أعوذ برضاك من سخطك .. وبمغافاتك من عقوبتك .. وبك منك ..

قُلْ هَذِهِ سَبِيلُ أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ .

« قل » قل لهم يا محمد ..
« هذه سبيلى » هذه السبيل التى هى الدعوة إلى الإيمان والتوحيد سبيلى .
« أدعو إلى الله » أدعو الناس إلى معرفته سبحانه ، بصفات كماله ، ونعوت جلاله .
ومن جعلها التوحيد .
« على بصيرة » أى بيان ، وحجة واضحة غير عمياء .
« أنا » أدعو نفسى إلى الله .
« ومن اتبعنى » وادعو غيرى ..

أو : أنا أَدعو إلى الله على بصيرة .. ومن اتبعني كذلك ، يدعو إلى الله على بصيرة ..
لأنهم مهتدون بهديي ، متبعون لطريقي ..
« وسبحان الله » وأنزهه سبحانه وتعالى تنزيها من الشركاء .
« وما أنا من المشركين » في وقت من الأوقات .
وقرأ عبد الله (قل هذا سبيلي) والسبيل تؤنث وقد تذكر .

اشعاعات

فيها الأصول العامة كلها ... للسبيل إلى الله ...
قل ... يا محمد ... بلغ الناس جميعا ...
عن أي شيء ؟
بلغهم : ما هو سبيلي ... ما هو الطريق إلينا ... كيف الوصول إلينا ؟
« هذه سبيلي » ؟ ؟
أيها الناس جميعا ... هذا سبيلي ... هذا هو طريقى ...
الله يتكلم .. الله يبين طريقه !!!
وسيان .. هذه سبيلي .. أي سبيل الله .. أو سبيل رسول الله .. فطريق هذا هو ذلك ..
وذاك هو هذا ...
أدعو إلى الله ... الأصل العام ... في دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ... أنها
تسوق الناس إلى ربهم ... تدعوم إليهم ... تعرفهم ربهم ...
على بصيرة ... الأصل الثاني ... بالحجة .. بالدليل ... ليس الأمر كهنوتية ...
وتمام .. وإنما بالحجة ..
على بصيرة .. على نور باطنى .. نور النبوة .. على اشعاع الهى ينهر السبيل ..
ويكشف معالم الطريق ..

ليس الأمر مجرد حجج عقلية .. ميتة وإنما على بصيرة .. هناك نور باطنى .. هناك
أنوار النبوة وراء تلك الحجج الظاهرة ..
فكان الدعوة إلى الله .. فى حاجة إلى أمرين ..
حجة ظاهرة .. حجة عقلية ..
ونور باطن .. نور النبوة .. ونور من اهتدى بهدى النبوة ..
وكلاهما لازم .. ومطلوب .. لكل من دعا إلى الله ..
أنا .. الأصل الثالث .. أن أكون « أنا » أول من ادعوه إلى الله .. أن أطبق على
نفسى ما أدعو اليه الناس أولاً .. أن أكون أنا صورة صادقة لما أدعوم إليه .. أن أكون
إماماً لهم .. قدوة لهم ..
ومن اتبعنى .. الأصل الرابع .. وأطالب من اتبعنى .. والتف حولى .. أن يكون
كذلك صورة صحيحة .. وتمثيلاً صحيحاً للدعوة ..
أن يكونوا نماذج صادقة للدعوة الالهية ..
وقد كان صلى الله عليه وسلم .. الأسوة الحسنة ..
وكان أصحابه .. الذين اتبعوه .. النماذج المتحركة لتلك الدعوة .. دعوة الله ..
وسبحان الله .. الأصل الخامس ..
وأزهد الله تنزيهاً .. وأطالب الذين اتبعونى أن ينزهوا الله تنزيهاً تاماً ..
أى أن من شروط نجاح الدعوة الالهية أن يكون الداعى إليها ، وأتباعه .. فى القمة
من معرفة الله تعالى .. معرفة تؤهلهم لتنزيهه تعالى عن أى وهم من تلك الأوهام ، التى تنتشر
فى عقول الناس ..
وما أنا من المشركين .. الأصل السادس .. استحالة أن يكون الرسول صلى الله عليه
وسلم فى وقت من الأوقات مشركاً ..
وهذا مقامه وحده .. إنه نور دائم فى أعلى علالي النور .. فهناك استحالة الاظلام ..
هناك صحو دائم .. هناك يقظة دائمة لقلبه ..

ومن الحتم أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك .. لأنه امام المؤمنين جميعا إلى ربهم .. ورائد كل من سلك السبيل إلى الله ..

وكذلك كل من دعا إلى الله .. ينبغى أن يكون في أعلى مقام استطاع .. من التوحيد .. وكلما كان نصيبه من التوحيد أعلى .. كلما كان علمه بالله أرفع .. وكانت طاقته أقدر

على جذب الناس إلى تلك المستويات العلى ..

وهكذا .. هناك ست دعائم للسبيل ..

الدعوة إلى الله .. التوجيه إلى الله ..

على بصيرة .. بالحجة العقلية ، والنور الباطن ..

أنا .. أدعو نفسى أولا إلى الله .. وإلى تطبيق أوامر الله ..

ومن اتبعنى .. ثم ادعوا غيرى .. وادعوا من اتبعنى إلى تنفيذ أوامر الله ..

وأن أكون أنا .. ومن اتبعنى .. داعين إلى الله دائما .. فى إلحاح .. وزحف عام ..

لايجاد وعى إيمانى جماهيرى عام .. لإيجاد دعوة عامة فى الناس ..

وسبحان الله .. ونزهه الله تنزيها عظيما .. نكون دعاة تنزيه ..

وماأنا من المشركين .. وأن نكون فى القمة من التوحيد ..

والأشعاع الذى يؤخذ من الآية .. أن سبيل الله مفتوح دائما للجميع إذا قامت تلك

الأصول الست فى أى نفس من النفوس ..

هذه سبيلى ؟

كأن الله يعلن : هذه سبيلى أيها الناس جميعا .. وهذه سبيل رسولى ..

١ - تعرفوا على .. (ادعوا إلى الله) اعرفوا أن لكم ربا .. بدلا من أن تولوا

ظهوركم .. وتعرضوا عنى .. اقبلوا على ..

٢ - على بصيرة .. وإن كنتم تريدون دليلا على وجودى .. فهناك فى كل شىء

حولكم دليل على وجودى ..

ولكنكم لا تبصرون ذلك .. ما لم يكن لكم نور في قلوبكم .. يكشف لكم تلك الحقائق .

٣ - أنا .. ابدأ بنفسك أولاً .

٤ - ومن اتبعني .. ثم ادع غيرك بعد ذلك .. يكن سهلاً أن يستجيب لك .. مادام يراك صادقاً فيما تدعو إليه .

٥ - وسبحان الله .. كونوا منزهين لله .. اعلى مستويات التنزيه حتى تستطيعوا أن تشدوا أئبناه غيركم .. وترفعوا من مستوى تنزيههم .

٦ - وما أنا من المشركين .. كونوا في أعلى مقامات التوحيد .. حتى تستطيعوا أن تقودوا غيركم إلينا .. وتسيروا أمامهم .. في طريقنا .
وفيها .. وفيها .. وفيها ..

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ .

« وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً » رد قولهم: (لو شاء ربك لأنزل ملائكة) ونفى له

وقيل: المراد نفي استنباء النساء .

« نوحى إليهم » كما أوحينا إليك .

وقرى: يُوحى .

« من أهل القرى » من سكان المدن .

لأن أهلها أعلم وأحلم من أهل البادية .

قيل: ما نعلم أن الله تعالى أرسل رسولا قط إلا من أهل القرى .

أى: من سكان المدن .

وعن الحسن : لم يبعث رسول من أهل البادية ، ولا من النساء ، ولا من الجن .
« أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم » أفلم ينتشروا في
هذه الأرض .. في بلادها .. فينظروا كيف كان نهاية الذين مضوا من قبلهم ، من المكذبين
بالرسل والآيات ، من قوم نوح ، وقوم لوط ، وقوم صالح . . وسائر من عذبه الله تعالى
فيحذروا تكذيبك ؟

أو : كيف كان نهاية الذين من قبلهم عموما من المشغوفين بالدنيا ، المتهالكين عليها
فيقلعوا ، ويكفوا عن حباها ؟

والاستفهام للتقريع والتوبيخ .

« ولدار الآخرة » ولدار الحياة الآخرة .

« خير للذين اتقوا » الشرك والمعاصي .

« أفلاتمقلون » فاستعملوا عقولكم ، لتعرفوا خيرية دار الآخرة ، فتنسولوا إليها

بالاتقاء ؟

أو : قل لهم مخاطبا : أفلاتمقلون ؟

فالخطاب على ظاهره .

اشعاعات

فيها نواميس عديدة ..

الناموس الأول .. وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا .. حصر الرسالة في الرجال ..
وضرورة كون الرسول بشرا من الجنس الأدمي .. ليستطيع أن يتفاعل مع جنسه .. ويفهم
معهم .. ويفهموا عنه .. وفيها نفي ألوهية عيسى - عليه السلام - وإشارة إلى ذلك .. لأنه
رجل ككل الرسل .. وليس بإله ..

الناموس الثاني .. نوحى إليهم .. ضرورة الإيحاء إلى الرسل .. وأن الإيحاء إليهم

شرط في كونهم رسلا .. لأن مجرد كونهم رجال لا يفيد شيئا .. فما أكثر الرجال.. ولكن
إيحاء الله إليهم .. هو الذي يرفهم إلى مقام الرسالة ..
كما أن كلمة « رجالا » .. مع تكبيرها .. يشير إلى كون أولئك الرسل .. في أعلى
مقامات الرجولة .. وكالها ..

أى أن شخصيات الرسل .. هي اكمل وأجمل .. شخصيات بشرية تتصور ..
الناموس الثالث .. من أهل القرى .. من سكان المدن .. لأن عقلية ساكن المدينة
تدور في دائرة أوسع .. وتفكيره يكون أشمل واكمل .. من البعيد عن العمران .. كما أن
الرجل الإجتماعى اقدر على تفهم رغبات الجماهير .. والتعرف إليهم .. والتفاعل معها ..
الناموس الرابع .. كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ؟ .. كيف كان نهاية جميع من
مضوا قبلنا ؟

لا شيء .. لا وجود لهم الآن !! كلهم ذهبوا .. وفنوا !!!
فكيف لانحذر .. أو كيف نفتر ببقائنا المؤقت .. ولا نهتز لفنائنا القادم حتما ؟!
الناموس الخامس .. ولدار الآخرة خير للذين اتقوا .. حتمية خيرية الحياة في الدار
الآخرة بالنسبة لمن اتقى في الحياة الدنيا ..
الناموس السادس .. أفلا تعلقون ؟ إن من يكذب بتلك النواميس .. أو لا يفكر
فيها .. أو لا يفيد منها .. كان مجنونا .. أو ناقص العقل ..

حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرٌ نَّافِئٌ مِّنْ
مَّنْ نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ .

« حتى إذا استيسر الرسل » أى لا يفرضهم تماديبهم فيهم فيه من الدعة والرخاء .. فإن
من قبلهم قد أمهلوا حتى يئس الرسل من النصر عليهم في الدنيا، أو من إيمانهم، لانهما كهم
في الكفر ، وتماديبهم في الطغيان من غير وازع ..

« وظنوا أنهم قد كذبوا » ..

أخرج البخاري، والنسائي، وغيرهما من طريق عروة، أنه سأل عائشة - رضی الله تعالى عنها - عن هذه الآية .

قال : قلت : أ كذبوا أم كذبوا ؟

« قالت عائشة : بل كُذِّبوا (یعنی بالتشديد)

« قلت : والله لقد استيقنوا أن قومهم كذبوهم ، فما هو بالظن

« قالت : أجل لعمري ، لقد استيقنوا بذلك

« فقلت : لعله (وظنوا أنهم قد كُذِّبوا) مخففة ؟

« قالت : معاذ الله تعالى ، لم تكن الرسل لتظن ذلك بربها .

« قلت : فما هذه الآية ؟

« قالت : هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدقوهم ، وطال عليهم البلاء ، واستأخر

عنهم النصر ، حتى إذا استيأس الرسل من كذبهم من قومهم ، وظنت الرسل أن اتباعهم

قد كذبوهم ، جاء نصر الله تعالى ، عند ذلك . »

« جاءهم نصرنا » فجأة .. وقع النصر ..

« فنجى من نشاء » انجاءهم وهم الرسل والمؤمنون بهم .

أى : فنجى من نشاء ...

وإنما لم يعينوا للإشارة إلى أنهم الذين يستأهلون أن يشاء نجاتهم ، ولا يشاركهم فيه

غيرهم .

« ولا يرد بأسنا » عذابنا .

« عن القوم المجرمين » إذا نزل بهم .

ولا يخفى ما في الجملة من التهديد والوعيد .

« يروى أن مسلم بن يسار سأل سعيد بن جبير فقال : يا أبا عبد الله آية قد بلغت مني كل مبلغ (حتى إذا امتأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا) فإن الموت أن تظن الرسل أنهم قد كذبوا (منقولة) أو تظن أنهم قد كذبوا (مخففة) !
« فقال سعيد : حتى إذا استيأس الرسل من قومهم أن يستجيبوا لهم ، وظن قومهم أن الرسل كذبهم ، جاءهم نصرنا ، قام مسلم إليه فاعتنقه .
« وقال : فرج الله تعالى عنك كما فرجت عنى . »

اشعاعات

هذه الآية ... قطعة من النور ... تتلأأ ... في اشعاع عجيب !!!

فهى ناموس إلهى خالد ...

حتى إذا استيأس الرسل .. حتى إذا يئس الرسل بأسا تاما .. من أن يؤمن بهم أحد إلا من قد آمن ... « وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن » ...
هناك يأس تام من الرسل ... أن ينضم إلى دعوتهم أحد جديد ...
تقد بلغت الدعوة أقصى ما يمكن أن تبلغه من قلوب الناس ... ولا يرجى بعد ذلك من جديد ...

هذه مرحلة ..

المرحلة الثانية ... وظنوا أنهم قد كذبوا ... وظن الرسل .. أنهم قد كذبوا نهائيا من الناس ... فلم يعد من الناس من أحد إلا ويكذبهم فيما يزعمون من الدعوة إلى إله واحد لا شريك له . .

هناك إذا ... يأس تام من الرسل أن ينضم إليهم من أحد ...
وهناك اعتقاد من الرسل .. أن الذين كفروا بهم .. قد جمدوا نهائيا على تكذيبهم ..
وتسكذيب ما يدعون إليه . .
في ذلك الظلام الشديد ...

في هذا اليأس من اطلاق ... والاعتقاد أن الناس جميعا يصرون على تكذيبهم ...
هناك إصرار على الكفر ... وإصرار على التكذيب ...
هنالك .. جاءهم نصرنا .. بئنة .. فجأة .. يقع النصر .. للرسول .. بعد ذلك كله ..
هذا هو الناموس الإلهي ... الأول في الآية ..
أما الناموس الثاني ... ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين ...
هناك استحالة أن يمنع عذاب الله عن القوم الذين استمروا على الإجرام ...
ولا يرد ؟ ... هناك تجلى بالقهر ... باليأس ... بالقوة ... على كل من استمر على
الاجرام ..

لماذا ؟ لأن الإنسان الذي اعتاد الإجرام .. واستمر فيه .. ولا يريد أن يرجع عنه ...
إنسان مظلم تماما .. بعيد جدا عن الله ...
مثل هذا .. لا بد أن يذوق بأس الله ... ويعانى آلام عذابه ... لعله يفيق ...
وهذا الناموس من أخطر النواميس السارية في الناس وهم لا يشعرون !!
ما من مجرم ... مستمر في إجرامه ... إلا وبأس الله له بالمرصاد ... لا بد من
قهره ... وأخذه ...
أما في الباطن ... فبأس الله متسلط عليهم دائما ... ويبدو ذلك مما هم فيه من ضيق
نفسى وعذاب روحى ...

وأما في الظاهر ... فيمهلون قليلا ... ثم يؤخذون بشتى القوارع بعد ذلك ...
وأما في الآخرة ... فلهم عذاب عظيم ...

لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى
وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً
لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ .

« لقد كان في قصصهم عبرة » لقد كان في قصص الأنبياء شيء يعتبر به .

« لأولى الألباب » لأهل العقول السليمة ، الخالصة من الشوائب .

« ما كان » أى القرآن المدلول عليه بما سبق دلالة واضحة ...

« حديثا يفترى » أى يختلق

« ولكن تصديق الذى بين يديه » من الكتب السماوية ..

« وتفصيل » وتبيين

« كل شيء » مما يحتاج إليه في الدين .

إذ ما من أمر ديني إلا وهو يستند إلى القرآن بالذات أو بوسط

ومن الناس من حل « كل » على الاستغراق من غير تخصيص ، ذاهبا إلى أن في

القرآن محيين كل شيء من أمور الدين والدنيا ، وغير ذلك ، مما شاء الله تعالى ، ولكن

مراتب التبيين متفاوتة ، حسب تفاوت ذوى العلم ا

« وهدى » من الضلالة

« ورحمة » ينال بها خير الدارين

« لقوم يؤمنون » يصدقون تصديقا معتادا به

وخصوصا بالذكر لأنهم المنتفعون بذلك ...

تلك هى قصة يوسف - عليه السلام - كما أنزلت في كتاب الله تعالى الكريم ..

لم أشأ أن أؤدم عليها أطاويل البشر .. تأدبا بقوله سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا ،

لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ . ورسوله ، إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . يا أيها الذين آمنوا .

لا ترفعوا أصواتكم فوق صوتِ النبي ، ولا يجهروا له بالقولِ كجهر بعضهم

بعض ، أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون . »

ونعوذ بالله .. من حبوط العمل .. ونعوذ بالله أن نرفع أصواتنا فوق صوت النبي

صلى الله عليه وسلم ..

فإدام هناك وحى من السماء، نزل يقض علينا القصة .. فلتتقهقر إلى وراء .. وتسمع ..
ولننصت جميعا إلى وحى السماء ..

ذلكم بأنه يوسف .. نبي كريم من أنبياء الله تعالى ..
فاذا تكلم الله تعالى عن يوسف .. وجب علينا جميعا .. أن نخشع .. ونسمع ..
ونصت ..

فإذا ما فرغنا من كلام الله .. في شأن يوسف ..
فلنسمع إلى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم .. في شأنه عليه السلام ..
« عن أبي هريرة - رضى الله عنه -
« قيل : يا رسول الله ، مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ ؟
« قال : أَتَقَامُمْ

« فقالوا : ليس عن هذا نسألكَ
« قال : فيوسفُ ، نبيُّ الله ، ابنُ نبيِّ الله ، ابنِ نبيِّ الله ، ابنِ خليلِ الله
« قالوا : ليسَ عن هذا نسألكَ
« قال : فعن معادين العرب تسألون ؟
« خيارهم في الجاهلية ، خيارهم في الإسلام .
« إذا قبحوا »

[البخارى]

ومعنى الكرم هنا الشرف ..
فكأنهم يسألون : من أشرف الناس ؟
وكان الجواب كان : أشرف الناس .. يوسف !!
فانظر تلك العظمة اليوسفية .. وانظر مستواها الأعلى !!
و « عن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - « عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« الكريمُ ، ابنُ الكريمِ ، ابنُ الكريمِ ، ابنِ الكريمِ .
« يوسفُ ، بنُ يعقوبَ ، بنِ إسحاقَ ، بنِ إبراهيمَ » .
[البخارى]

كانه يراد أن يقال : الشريف ، ابن الشريف ، ابن الشريف ، ابن الشريف !!
و« عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال :
« قيل : يا رسول الله ، من أكرم الناس ؟
« قال : أهماؤم
« قالوا : ليس عن هذا نسألك
« قال : فيوسف ، نبى الله . »

[البخارى]

فاأشرف يوسف ...
ثم ما أشرف يوسف !!!

شخصیتِ یوسف

باسمك اللهم ..

أدخل إلى تلك الساحة المقدسة .. ساحة نبيك الكريم .. يوسف .. عليه السلام .
ذلك الجواهر .. المكنون .. الذي لا يعلم حقيقة مكشوفاته إلا أنت .. سبحانه .
فن هو هذا « يوسف » .. ذلك الذي تلاكأ .. في هذه الحياة الدنيا .. ثم انتقل إليك ،

ليتلاً في الحياة الآخرة !؟

إنه زهرة .. من أزاهير .. شجرة النور .. الشجرة الابراهيمية ..

فن هو هذا « إبراهيم » .. الذي كان يوسف .. إحدى زهراته .. زهرات النور !؟

إبراهيم !!؟

إبراهيم الذي وفي !؟

إبراهيم الذي جاء ربه .. بقلب سليم ..

إبراهيم الذي أسلم لله رب العالمين ..

إبراهيم الذي هذا بعض شأنه .. جعل الله في ذريته النبوة والكتاب ..

فانتقل الميراث .. منه إلى إسحاق .. ومنه إلى يعقوب .. ومنه إلى يوسف ..

فهو حقاً .. الكريم .. ابن الكريم .. ابن الكريم !!

فما هو هذا الميراث .. الذي ورث يوسف عن إبراهيم !؟

ماذا ورث يوسف عن إبراهيم !؟

ما هي هذه الموجات .. موجات النور .. التي تموجت من قلب إبراهيم .. إلى قلب

يوسف ؟

أعلاها .. وأغلاها .. وأرقاها .. ماسجله يوسف بنفسه ..

قال يوسف : « وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي ، إِبراهيمَ ، وإسحاقَ ، ويعقوبَ ، ما كان لنا أن

نُشْرِكَ بِاللَّهِ ، من شيء .. »

ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ١٩
هذا هو الميراث ... في أعلى مستويات الميراث ... في أعلى مقامات النور ...
إنه مِلَّةَ إبراهيم ...
فما هي ملة إبراهيم ١٩
هي الحنيفية ... « وَأَتَمَّعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ... »
فما هي هذه الحنيفية ١٩
هي الاتجاه ... اتجاه القلب مباشرة إلى الله ...
هي إسقاط الأغيار ... والتوجه المباشر إليه سبحانه ...
ولقد كان إبراهيم إمام هذه الحنيفية ... فكان بذلك إمام الناس جميعاً ...
« إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ... »
قال إبراهيم « وَمِنْ ذُرِّيَّتِي » ١٩
قال له سبحانه : « لَا يَتَّخِذُ الظَّالِمِينَ » !!
هذا هو الميراث ... في أعلا مقاماته ...
وهذا ما سجله يوسف ... بنفسه ...
لقد تموجت موجات النور ... من قلب إبراهيم ... إلى قلب اسحاق ... إلى قلب
يعقوب ... إلى قلب يوسف ...
ذلك هو الميراث ... وإن الأنبياء لا يورثون درهما ولا ديناراً ...

أصول كريمة ١٩

كانت سارة ... زوج إبراهيم ... أجل نساء زمانها ...
ومن سارة هذه ... كان اسحاق ... ومن اسحاق كان يعقوب ... ومن يعقوب
كان يوسف ...
فانتقل جمال سارة الباهر ... إلى حفيدها يوسف ...

هذا من جهة .. ومن جهة أخرى ..
كانت راشيل .. زوجة يعقوب .. الثانية .. أجمل نساء أهلها .. كانت مثالا
فذا من الجمال .. وراشيل هذه .. هي أم يوسف ..
فورث يوسف عن أمه جمالها .. كما ورث عن جدته سارة جمالها ..
فاجتمع ليوسف جمال إلى جمال .. وورث يوسف تلك الصفات الممتازة ..
فولد يوسف طفلا .. ولكن الله جعل فيه من المكنونات عجبا !!
مكنون في قلبه .. أنوار ابراهيم خليل الله .. وأنوار إسحاق نبي الله .. وأنوار
يعقوب نبي الله ..

وماجت تلك الأنوار باذن ربها موجا .. حتى استقرت في قلب يوسف ..
ومكنون في تركيب صورته الظاهرة .. الجمال الابراهيمي .. والجمال الاسحاقى ..
والجمال يعقوبى ..

واقدم كان إبراهيم جميلا .. وكان إسحاق جميلا .. وكان يعقوب جميلا ..
فورث يوسف عن آبائه .. تلك السلسلة من الجمال الموروث ..
هذا من جهة أصول الرجال ..
وأما من جهة أصول النساء .. فقد ورث عن سارة صفات جمالها .. ثم ورث
عن أمه راشيل صفات جمالها ..

فيوسف بلغ الناية من كرم الأصول ..
كريم في الباطن .. أمواج النور .. مكنونة في قلبه ..
كريم الظاهر .. صفات الجمال .. ظاهرة في صورته ..
فجاءت شخصيته آية من آيات الله تعالى في خلقه ..
ثم شاء الله تعالى .. أن يولد ذلك الطفل ..
ليظهر في عالم الشهادة .. حقائق معدنه .. وخفايا .. مكنوناته ..
فلننظر التجربة .. تجربة يوسف ..

يعقوب . في انتظار .. الميراث ١٤

آنس يعقوب .. نبي الله .. من أبنائه ظللما ..
ولم يرفيهم أجمعين .. ما يؤهلهم .. لأن يختار الله منهم .. من يورثه .. ميراث
النبوة .. ويؤتاه أنوارها ..
والأبياء أوتوا نورا .. يكشف لهم حقائق النفوس ..
وهؤلاء أبنائه عسرا .. وماترى فيهم أهلا للنبوة أحدا !!
وكان يعقوب لذلك قلقا .. وطال قلقه ..
ترى هل تنتقل النبوة من أبنائه .. إلى فرع آخر من آل إسحاق ١٤
وطال انتظاره .. وكبرت سنه .. ولاشئ ..
وكانت راشيل عقيما .. لا تلد .. بينما أختها تلد تباعا ..
وأخيرا ... وبعد سنين طويلة ... وبعد أن ولد ليعقوب من غيرها عسرا ...
أذن الله لراشيل أن تلد .. فولدت يوسف ..
في آخر زمانها ..
فكان ميلاده لأمه سرورا .. ولأبيه الشيخ قرعة عين ..

لماذا أحب يعقوبا .. يوسف بالذات ١٤

الذين أوتوا الجهل يقولون : ولماذا خص يعقوب .. يوسف .. بحبه .. فأحدث في
اخوته فتنة ١٤
لقد أحب يعقوب ... يوسف ... لأنه اكتشف في ثناياه ... نور الميراث ...
ميراث النبوة ...
اكتشفه بما آتاه الله من نور في قلبه .. يكشف له ماشاء من القلوب ..
لقد رأى يعقوب بعيني قلبه .. أن ذلك الطفل المسمى يوسف .. قد أوتى ما لم يؤت
الله أحدا من أبنائه من قبله ..

أوتى أنوار إبراهيم وإسحاق ويعقوب .. ورآها تتلألاً في قلبه ..
وقلب النبي .. يرى ما لا يراه الناس ..
ثم رأى في صورته .. ذلك الجمال الرفيع الذى قسمه الله ليوسف .. واورثه إياه من
سارة وراشيل ..

فكان الطفل آية ..

آية في الباطن ..

وآية في الظاهر ..

فاستمكن حب يوسف .. من فؤاد يعقوب ..

لأنه أصغر إخوته كما يظن الجاهلون ..

كلا .. وإنما لأنه نبي .. لأنه الوارث الذى طال انتظار يعقوب لحبيته ..

فلما جاءه .. سر سرورا .. وأحبه حب النبي للنبي ..

والأنبياء هم الذين يفقهون الأنبياء ..

وذلك هو الحب اللائق بمقام نبي الله يعقوب ..

وذلك هو المستوى الرفيع .. الذى غاب عن الأكثرين فقالوا : ولم أحب يعقوب

يوسف من دون بنيه !؟

يعقوب .. يعلن إلى الطفل نبوته !؟

وبرهان ذلك .. أن يوسف .. وقد كان ابن ثلاث سنين ..

حين قص على أبيه رؤياه : « يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ

وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ »

قصها يوسف .. فى براءة الطفولة .. لا يدري عنها شيئاً

فاذا كان جواب النبي يعقوب !؟

قال : « يَا بَنِي ، لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ ، فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ، إِنْ

الشيطان للإنسان عدو مبين . وكذلك يَحْتَسِبُكَ رَبِّكَ ، وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ
الأحاديثِ ، وَوَيْمُ نَعْمَتِهِ عَلَيْكَ ؛ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ ، كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ، إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ »

أرأيت 11؟ هذا الحوار بين الطفل .. وأبيه .. يؤكد أن يعقوب قد اكتشف النبوة

في يوسف .. وأنه كان يحبه لتلك النبوة ..

طفل يقص على أبيه رؤيا ..

فتشعشت أنوار النبوة من قلب يعقوب ..

ورأى فوراً .. ما لا يراه الناس ،

ورأى أن الرؤيا حق .. وأن يوسف سيكون له شأن يذكرك .. شأن عظيم .. وأن شهود

طفل في الثالثة .. مثل تلك الرؤيا المحكمة .. لايتأتى إلا من نبي ..

ولذلك سارع يعقوب إلى ابنه الصغير يحذره ..

« يا بني ، لا تقصص رؤياك على إخوتك ، فيكيدوا لك كيدا ، ..

إنه يخاف عليه .. لأنه حامل الميراث .. ميراث النبوة ..

ثم يلمن يعقوب .. إلى الطفل : « وكذلك يَحْتَسِبُكَ رَبُّكَ » ..

يَحْتَارُكَ رَبُّكَ لِنَفْسِهِ .. يَحْمَلُكَ نَبِيًّا ..

والنبوة تجربة يعيشها يعقوب .. فهو يعلم بداياتها ونهاياتها .. وكيف تقع .. وكيف

تكون .. وما هي احساسها وانفعالاتها .. وعطاءاتها 1؟

إن إرادة يوسف .. وهو في الثالثة .. مثل هذه الرؤيا المحكمة ..

لا تكون إلا لنبي .

إلا أن النبوة تشعشت كشوفاتها .. كشوفات الغيب .. من يعقوب ..

حين قال : « وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ »

من أين ليعقوب هذا الذي سوف يكون ليوسف مستقبلا 1؟

من عطاء النبوة .. « وَإِنَّهُ لَنَوْعٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ » ..

ليس هذا وحده هو المعجز... وإنما من المعجزات قوله: « وبيتم نعمته عليك » .
وبيتم لك يا أيها الصغير... النبوة... لأن النبوة هي النعمة الكبرى ..
ومعجزة أخرى ليعقوب: « وعلى آل يعقوب » .
وبيتم نعمته على وعلى أمك راشيل .. بأن اختارك نبيا ..
وفي ذلك اطمئنان كبير ليعقوب .. أن النبوة لم تنقل عن بيته .. وإنما أذن الله أن
تمسك في أحد أبنائه ..

وأخرى: « كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق .. »
كما أتم نعمته على جدك إسحاق .. وجعله نبيا ..
وكما أتمها على جدك إبراهيم وجعله شيخ الأنبياء !!!
نور .. من نور .. من نور .. من نور .. وذلك شيء يسير .. من نبي الله يعقوب !!
ثم يقرر يعقوب .. أن الأمر يسرى ويجرى على مقتضى الاستعداد ..
« إن ربك عليم حكيم » .. يعلم استعدادك يا يوسف للنبوة .. حكيم يضع الأمور
مواضعها !!

هذا هو البرهان الأقوى .. من كتاب الله تعالى ..
ما كان يعقوب ليحب يوسف .. لجرد أنه أصغر أبنائه ..
كلا .. فللأنبياء مقامات على .. فوق تلك الأحاسيس ...
إنا أحببه لأنه نبي ...
لأنه طال انتظاره .. ليرث عنه نور النبوة ..
وها قد انشق وجوده ... فكان حبه حب نبي ... ينتظر النبي ... الذي يتسلم منه
الشعلة .. شعلة النور الإلهي المقدس !!!

بده الغربية ١٩

الغربة عن الخلق ... ضريبة ... حتمية ... على كل نبي ...

ذلك أن الله تعالى يريد لهم لنفسه ... فمن الحتم أن يفصلهم عن خلقه ...
وقد كانت الثربة .. في حياة ابراهيم .. متقررة من أول يوم ...
اغرب ابراهيم عن أبيه ... حين عانته بيطان أصنامه ...
فطرده أبوه .. فاغرب ابراهيم عن والده !!!
ثم اغرب عن بنى وطنه جميعا .. حين أعلنهم بيطان أصنامهم .. فأججوا له ناراً !!
وهاجر ابراهيم عن الخلق أجمعين .. ليس منهم ولا هم منه ..
وأعلنها الخليل : « إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي ... »
وانفصل ابراهيم انفصالا تاما عن الخلق ..
ليذهب إلى ربه ... مسقطا للأغيار اسقاطا تاما ..
وتلك هي الخنيفة في أعلى علاليها !!
فكيف كانت الثربة في حياة يوسف ؟
أعجب وأغرب .. وأشق وأدق ؟
اجتمع جميع إخوته عليه !!
عشر من الأشناب .. يكيدون لطفل .. طيب .. كريم .. لا يملك من أمره شيئا !!
وألقوه في الجب .. ليهلك ..
فالتقطه .. ربه .. ليحيا !!
واغرب يوسف عن إخوته .. وعن أمه راشيل .. وعن أبيه .. الذي يفقه حقيقته ..
وعن وطنه ..
وعن حرته .. حين باعوه .. بضاعة .. فصار مملوكا !
وقد يوسف كل شيء ..
قد أباه .. فقد أمه .. فقد إخوته .. فقد وطنه .. فقد حرته .. فقد كل شيء ..
ليتولاه هو ..
هو سبحانه وحده !!

فانظر كيف يخرجهم ربهم .. وكيف يصنعهم .. وكيف يقطع الأسباب .. ليكون هو
وحده .. وليهم ومولاهم ؟

سبحانك .. إنك أنت العليم الحكيم !!

الفتنة الكبرى ؟!

وآتاه جمال الصورة ..

فكان أجل أهل زمانه ...

جمالا .. دفع سيدات الطبقة الراقية .. أن يراودنه عن نفسه ..

ليس فقط امرأة العزيز ... هي التي راودته .. عن نفسه ...

وإنما كلهن .. يراودنه ..

تريد كل منهن .. أن تستمتع بسهرة .. أو رشفة .. أو لحظات مع هذا الـ «يوسف» .

فتنة .. موج موج البحر .. من حوله !!

انهن لا يرين فيه .. إلا شابا جميلا .. مثيرا ..

شابا تترامى الجميلات .. بين يديه .. وتتمنى قبلات شفتيه !!

ونادى يوسف : « رب ، السجن أحبُّ إلى ، مما يدعونني إليه ، وإلا تصرف عني

كيدهن ، أصب إليهن ، وأكن من الجاهلين » !!

إنه يشق الظلمات ... التي بعضها فوق بعض .. شقا ..

يشقها .. ويستغيث .. بربه : رَبِّ !

فاذا كان من ربه ؟!

« فاستجاب له ربه .. »

فورا .. وقعت الاستجابة ..

إنه صراخ قلب منير .. يستصرخ ربه .. لينقذه ..

فكان حتما ... أن يستجيب ... سبحانه ...

كيف كانت الاستجابة ؟ .

« فصرّف عنه كيدهن » ..
فتتحق لديهن .. أن يوسف لا ينال .. فيأسن منه ..
ثم حال بينه وبين الخلق أجمعين .. فكان السجن ..
وتلك غربة أخرى .. يفتريها يوسف ...
ويوسف في اجتيازه .. لتلك الفتنة .. ففنة الجنس ..
وهو يملك أدواتها .. ودواعيها .. وأسبابها ..
يعتبر أعظم إنسان في عصره .. بل في العصور جميعا ..
إلا أن يكون نبي أعظم منه صبورا ... وأفضل مقاما ...
جمال .. شباب .. نعيم .. ظروف مفتحة الأبواب ..
إناث كلهن نعومة .. واغراء .. وجمال .. ودلال ..
يرادونه بكل مافي استطاعة الأناث .. أن يراودن به الرجال ...
وهو يستعصم .. ويعلو .. وبأبي ...
وكما استعصم .. وأبي ... ازداد نورا ... وازداد عند ربه علوا عظيما ...
وليست عظمة يوسف .. أنه استعصم من امرأة العزيز وحدها ..
وإما أنه استعصم من النساء .. اللاتي عرضن أنفسهن عليه عرضا ..
وانظر إلى شاب ... تترامى عليه ... نساء القصور ... وبنات النعيم ... وهو يفر
منهن فرارا ...

فكيف كانت تلك الشخصية .. وكيف كان سموها .. وكيف كان لألأوها ؟ ..

آلام الاتهام الباطل !!

وأدخلوه السجن .. متها في امرأة العزيز .. وغيرها من النساء ..
يوسف .. النور الكريم .. يتهم بالباطل ..
بل ويعاقب بالسجن .. على أنه مجرم أثيم !!
وذلك شيء ليس يسيرا ..

وكما كانت النفس طاهرة .. كلما كان احساسها بالآلام الإتهام الباطل أكبر ..
فلو أنك أدخلت مجرماً إلى السجن .. لم يتألم .. مثل ما يتألم .. رجل برىء .. أدخل
السجن باطلا وزورا !!

فكيف .. ويوسف .. وراء البراءة .. ووراء الظنون ؟!
وتجرع يوسف .. آلامها .. وعلم أن الحياة تمحوى أعاجيب !!
وأن الإجماع قد يصل بالمجرمين .. حدا .. يتهمون فيه البرآء .. ويسجنون فيه الطاهرين !!
ونجح يوسف في ذلك الامتحان .. وازدادت شخصيته صفاء على صفاء ..
وكان أعجب ما سجله من نجاح أنه حول السجن ازهيب المظلم .. إلى جنة .. تمتلئ
بالنور التوحيد !!

يوسف .. يتلألا ..

في مقام الشكر .. وهو في بلاء السجن !!

عجائب هؤلاء الأنبياء .. لا تفتى !!

فقد يطالب المؤمن أن يكون على البلاء صابرا .. ويحمد ذلك منه ..

ولكن الأنبياء دائما فوق ذلك المقام ..

إنهم يتلألون في مقامات الشكر .. وهم في آلام البلايا والرزايا !!

ومقام الشكر أعلى .. من مقام الصبر ..

لأن كل شاكر صابر ..

وليس كل صابر شاكر ..

والذين يصعدون إلى مقامات الشكر .. يجوزون .. في صعودهم .. مقامات الصبر

جميعا ..

هنالك .. في أعلى مقامات الشكر .. تجد الأنبياء .. يتسابقون !!

في السجن .. رأى الفتيان .. مارأيا ..

وقصاً عليه ما قصاً ..

فأخراً يوسف عنهما تعبير مارأيا ..

ودخل بها إلى الدعوة !

فكان مما قال لها : « واتبعت ملة آباءى ، إبراهيم ، وإسحاق ، ويعقوب ، ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ، ذلك من فضل الله علينا ، وعلى الناس ، ولكن أكثر الناس لا يشكرون . » !!

انظر .. السجن يتحول إلى جنة .. جنة توحيد !!

كان يوسف فى أتم الحرية .. ينتقل من الأرض حيث يشاء .. داعياً إلى ربه !!
إلا أن هذا شيء .. وما نحن بسبيله شيء آخر ..

أين مقام الشكر الذى يتلألاً فيه يوسف وهو فى السجن ؟!

مكونون فى قوله : « ذلك من فضل الله علينا ، وعلى الناس ، ولكن أكثر الناس لا يشكرون ، » !!

إن يوسف يرى .. ويوقن .. أن الله أعطاه وآبائه .. أعظم نعمة .. وتفضل عليه
أعظم الفضل ..

أن آتاه وآبائه .. الحنيفية .. الاتجاه المباشر .. إلى إله واحد .. لا شريك له ..

لأنه بسبح فى أعلى مقامات الشكر .. « ذلك من فضل الله علينا » .

ثم يقرر أن أعظم الفضل ، أن يؤتى الله أحد الناس تلك النعمة « وعلى الناس » ..

ثم يطلق ناموساً خالداً ، ولكن أكثر الناس لا يشكرون . «

وهكذا .. ترى يوسف .. شاكراً .. فى أعلى مقامات الشكر ..

وهو فى السجن .. فى ظلمات السجون !!

وتلك مقاماتهم العلى ..

يكونون فى البلايا .. شاكرين ..

بينما أقسى طاقات عباد الله الصالحين أن يكونوا فى البلايا صابرين !!

رأى الأسباب .. فكان العقاب؟!؟

وأخرى .. من شئونهم .. أعلى .. وأعلى .. وأرقى ..
حين أبصرت عين قلبه .. ظلام الأسباب .. ابصارا خاطفا ..
فعاقيه من أجلها عقابا عظيما !!
وكذلك يريهم .. ويؤدبهم .. ليستخلصهم لنفسه ..
فما الأقصوة؟!؟

« وقال للذي ظن أنه ناجٍ منهما ، إذ كرني عند ربك ، فأنساه الشيطان ، ذكرَ
ربه ، فلبث في السجن بضع سنين . » !!

هل هذه تستوجب حكما ، بالبقاء في السجن سبع سنين؟!؟
نعم .. نعم .. لو كانت من غير يوسف .. ماعوقب عليها ..
ولكن .. منه هو .. المؤهل لمقام النبوة ..
المستصفي لله وحده ..

منه هو تستوجب المؤاخذة !!

رجل سجين .. رأى سجيناً زميلاً له في السجن .. يفرج عنه .. ويعود إلى القصر

الملكى ..

فتحرك لسانه بكلمة طبيعية « إذ كرني عند ربك » ..

اشرح للملك أنى مظلوم .. لينظر في أمرى !!

شيء طبيعي .. مطلوب شرعا .. للدفاع عن النفس !!

ذلك مستوى العموم .. ولكن مستوهم .. أولئك الأنبياء .. وراء ذلك ..

مستوهم .. لا أسباب ..

إسلام كلى .. له وحده .. سبحانه ..

فإن أساموا له .. تولاهم هو .. وكفاهم ما أهمهم !!

ولقد أخذ يوسف في الأسباب .. وطلب من الناجي أن يذكره عند الملك ..
فهل حدث !!؟

كلا.. نسي المفرج عنه .. ولم يذكر مطلب يوسف .. إلا بعد بضع سنين !
فانظر .. كم يتحملون .. ويحملون .. أولئك الأنبياء ..
يحملون ما إن وضع على الجبال لذابت !!

مكنونات .. الشخصية .. تتشعشع !!؟

سألوه تعبير رؤيا الملك .. فعبها لهم .. كأنها لاشيء .. بالنسبة إلى بحار علمه !!
وانتقل منها .. يضع لهم مخططا اقتصاديا معجزا ..
لو اتبعوه .. لنجت البلاد كلها من شر مجاعة عامة تهلكهم !
« قال : تزرعون سنين دأباً ، فما حصدتُم ، فذروه في سنبله ، إلا قليلا
ما تأكلون » .

انه ينتقل من التعبير .. إلى السنين المستقبلية ..
ويبين لهم ما يكون فيها .. وما عليهم أن يفعلوه ..
عليهم أن يتركوا المحاصيل في سنبلها ..
لتقاوم التسوس والفساد سنين طويلة ..
مخطط عجيب .. يهوج على لسانه موجا .. من بحار النبوة .. التي في قلبه !!
إنهم يتابع لأنوار .. فوق علم العلماء ..
إن الله يكشف لهم من غيبه .. ويمنحهم من عطائه منعا كبرى !!

أمواج العبقرية اليوسفية تتموج !!؟

ثم قال يوسف : « ثم يأتي من بعد ذلك ، سبع شداد ، يأكلن ما قد تمتم لهن ، إلا
قليلا مما تحصنون »

هل استطاع ذلك إلا لنبي؟!

اللهم لا .. ولكن يوسف يتموج بالتيوب .. كأنها شاشة سينا .. تجرى أمام عينيه!!
حدد سنين المجاعة بسبع .. وحدد أنهم سوف يستهلكن كل ما ادخرته البلاد من
الحاصل ..

وحدد أنه سوف لا يبقى من شيء « إلا قليلا مما تحصنون » مما تخفون ليكون بذورا
للمحصول الجديد !!

تخطيط على .. وأسلوب سوف يكون .. وتحديد للسنين .. وللكميات الباقية !!
وهذا هو بحر النبوة .. حين يوج بالعلوم موجا ..
فلا يخفى على الأنبياء من شيء مما يخفى على العباد !!
وإنما ذكرنا ذلك الجانب من شخصية يوسف .. ليعلم الذين لا يعلمون ..
الذين لا يؤمنون بالنبوات .. أن الأمر حق ..
ولكنهم يجهلون ..

يجهلون أن وراء ظلام عقولهم .. نورا .. يؤتاه الله من شاء من عباده ..
وأن بحار أنوار النبوات .. لا تنفد .. لأنها تستمد من نور الله الذي لا ينفد !!

ثم انظر إلى عبقرية يوسف .. تموج موجا ..
فيقول : « ثم يأتي من بعد ذلك عامٌ ، فيه يغاث الناس ، وفيه يعصرون » !!
هذا من أعجب العجب !!

حدده بالعام الخامس عشر !!

سمع سمان .. وسمع مجاف .. ثم عام كله خير وامطار وفيضان من النيل ..
« يغاث الناس » فيه ينزل الغيث .. فيفيض نهر النيل بفيضان عال .. يعوض الناس

الجدب الطويل !!

وتزدهر الحاصيل .. إلى درجة تفيض معها الثمار ..

« وفيه يعصرون » يعصرون الفواكه ، كالعنب ، والزيتون ، والسمسم وغيرها ..
وفيه تكثر الفواكه والخضر المحفوظة ، وتفيض عن الحاجة !!
إن يوسف يقرأ من لوح الغيب .. إنها النبوة ..
يأبها الذين يجهلون ما هي النبوة ويكذبون !!

يُدعى إلى الإفراج فيأبى !!؟

تالله .. وبالله .. ووالله .. لو أن هؤلاء الذين ينكرون النبوات .. علموا قطرة من
بحار أنوارهم .. لجاءوهم .. خشعاً .. ركعاً .. يتذللون !!
ولكنهم يجهلون !!
يجهلون أقدارهم .. فذهبوا يكذبون !!
أصدر الملك أمراً .. بالإفراج عنه فوراً .. « وقال الملك ائتوني به .. »
أمر ملكي بالإفراج عن يوسف فوراً ..
فهل استجاب يوسف .. واهتبلها فرصة .. للخروج فوراً .. من السجن !!
كلا .. وإنما قال للرسول : « ارجع إلى ربِّك ، فاسأله ما بال التسوية الالآتى قطعن
أيديهن .. » !!؟

معدن عجيب !!

ليس المهم عنده أن يخرج .. وإنما المهم أن تظهر براءته .. للجميع !!
ولو أن أحدا مكانه .. لهرع .. واستبق الباب .. إلى الحرية ..
وسجلها له .. سيد الأنبياء .. محمد .. صلى الله عليه وسلم .. حين قال :
« وَكَوْنِيْمْتِ فِي السَّجْنِ طَوْل مَالِثِ يَوْسُفَ لِأَجْبِتِ الدَّاعِيَ . » [البخارى]
وحين يشهد محمد .. صلى الله عليه وسلم .. ليوسف .. بالعظمة .. في هذا المقام .. فأنما

هي الشهادة !!

لأن محمداً .. صلى الله عليه وسلم .. أعلى الأنبياء مقاما .. وأكبرهم نورا ..

وما ينيئك مثل خير !!

شخصية عجيبة .. هذا الذي اسمه يوسف !!

في أعلى ... علائها .. ويتهم نفسه !!

وأعجب العجب .. وبعد أن شهدت امرأة العزيز أنها هي التي راودته عن نفسه ..

وبعد أن شهد النسوة .. أنه ما علمن عليه من سوء ...

وبعد أن علم الملك .. وعلم الجميع .. أنه بريء من التهمة .. براءة تامة ..

بعد أن تحقق له كل ذلك ..

بعد أن شهد الجميع ببراءته .. فكان في أعلى علائ النزاهة ...

وأعلى قمم البراءة ..

من ذلك المقام .. تنزل يوسف من عليائه ..

وذهب يتهم نفسه .. تواضعا في جناب الله تعالى ..

فأعلن : « وما أبرئ نفسي ، إن النفس لأمارئة بالشر ، إلا ما رحم ربي .. » !!

وتلك هي نفوسهم .. وذلك أمموج من نماذج نفوس الأنبياء ..

لأن أحدا مكانه .. لذهب يتيه .. على الناس .. أن علموا ببراءته .. ونزاهته ..

وتحققوا حقيقة معدنه ..

ولكنه على الفور شع اشعاع الأنبياء ..

فأعلن أن نفسه غير بريئة ..

انكسارا لله تعالى .. وتواضعا في جنابه ..

وتسجيلا للفضل له سبحانه وحده ..

فنفسه أعلى النفوس .. ولكنه يرد الفضل إلى ربه ..

« إلا ما رحم ربي » ... إلا ما تفضل الله تعالى عليه من النفوس .. فزكاها .. وآتاها

نورا .. يمجزها عن السوء !!

كما فعل به سبحانه .. فأراه برهانه .. فجعل له نورا .. حجزه عن السوء ..
جانب خطير جدا من شخصية يوسف ..
جانب نفساني .. يجدر بعلماء النفس .. أن يتدارسوه .. ويفقهوه .. ويفرغوا من
بجاره الممتدة ..
لو كانوا فاعلين !!!

الملك .. يكتشف .. شخصية يوسف !؟

لقد كان الملك .. ذلك الفرعون .. على عهد يوسف ...
كان رجلا عظيما ... أن اكتشف ذلك ... الجوهر الثمين .. جوهر يوسف ...
وصاح الملك من فوره أمرا : « .. اتقوني به ، أستخلصه لنفسي .. »
وجاء يوسف عزيزا .. كريما .. بريئا .. عظيما .. تطمح إليه الأبصار ..
وكذلك أولئك العظاء .. الأنبياء !!
حركاتهم عظيمة .. وسكناتهم عظيمة .. وأحوالهم عظيمة !!
« فَلَمَّا كَلَّمَهُ .. » ؟!
فلما كلم يوسف الملك .. وكله الملك ..

كان حديثا طويلا .. اكتشف اثناءه الملك .. شخصية يوسف ..
ولحديث الأنبياء رنين .. يتفرق من مقاماتهم العلى ..
فيتسلسل إلى القلوب كما تسرى ذرات النور .. في خلايا الكائنات ..
لقد آنس الملك .. منه .. نورا .. في صورة بشر .. وبشرا في صورة نور !!
فرعب هنالك شيطان الفرعون .. وأشرقت حقيقة يوسف .. في قلب الملك !!
فكانت لحظة اشراق .. اكتشف فيها الملك .. يوسف ..
فصاح به لفوره : « .. إنك ، اليوم ، لدينا ، مَكِينٌ ، أمينٌ » .
اليوم !!؟ اللحظة .. من هذه اللحظة .. من الآن ..

مكنين ١١٩! سوف تمكن لك من الحكم يا يوسف .. فأنت رجل فوق الرجال ..
أمين ١١٩! .. أمين على أمانة الحكم .. بلغت أمانتك حدا ... وراء الأمانات !!
فهل اكتشف الملك .. شخصية يوسف .. كلها ١١٩!
كلا .. ما اكتشف منه إلا خلافا معدودة .. النزاهة .. الأمانة .. الشرف ..
واسكن بحار أنوار يوسف .. مازالت مكنونة .. أعين الملك في غطاء عن عجائبها !!
قد اكتشف الملك منه ذرة .. فلما انفجرت تشعشت طاقاتها .. فبهرت الملك ..
وأخذت عليه عقله !!

فكيف إذا كشف الغطاء .. عن شخصية يوسف .. بمكنوناتها ..
إذا ما استطاع الملك أن يقوم لها .. وما استطاع لها إبصارا !!
وتلك رحمة من ربك .. يكشف للناس .. من أنوار الأنبياء بقدر ما يحتملون ..
لا بمقدار ما يُكِنون !!
لقد بهرت أنوار تلك الذرة من مكنونات قلبه .. الملك .. فألقى إليه بملك مصر ..
طوعا ..

كما بهرت محاسن صورته .. امرأة العزيز .. فألقت بنفسها إليه طوعا ..
وكما بهرت تلك المحاسن الظاهرة .. نسوة العاصمة .. فالتقين بأنفسهن بين يديه ..
مستسلمات !!

فيا شخصية يوسف .. كم فيها من عجائب !!

على خزائن الأرض ١٤

ونادى يوسف: « .. اجعلني على خزائن الأرض ، إني حفيظٌ عليم .. »

الشخصية هنا .. تستعمل وجودها ..

لقد كان حديثا .. بين الأثنين .. بين الملك ويوسف ..

واعلن الملك استعداداه أن يرفع يوسف إلى أعلى المناصب ..

فطلب يوسف من الملك ، أن يلتقى إليه بمقدرات البلاد كلها ..
وهذا هو معنى « خزائن الأرض » ..
فليس المعنى أن يكون وزيراً للخزانة ، أو التموين ..
كلا .. وإنما كل الخزائن .. كل مقدرات البلاد .. كل امكانيات البلاد ..
ليخطط يوسف تخطيطاً اقتصادياً عاماً شاملاً .. لسياسة البلاد ..
يريد يوسف أن يكون الرجل الأول .. صاحب السلطة المطلقة .. لينفذ سياسته التي
يراهم خيراً للجميع ..

وقد كان .. وصدر المرسوم الملكي .. يوسف بن يعقوب .. رئيساً للوزراء ..
وبقى الملك مجرد رمز .. يملك ولا يحكم !!
وكان تمكيننا أى تمكين ..
« وكذلك مكنا ليوسف ، في الأرض ، يتبوأ منها حيث يشاء ، نُصِيب برحمتنا من
نشاء ، ولا نضيق أجر المحسنين . »
فانظر .. من سجين .. متهم .. لاحول له ولا قوة ..
إلى الرجل الأول في المملكة .. صاحب السلطة العليا في جميع البلاد !!
من رجل يعيش في ززانة ... أشبار في أشبار معدودة ... لا يستطيع الحركة إلا
بإذن ..

إلى مطلق الحرية .. مطلق الأمر ..

« يتبوأ منها حيث يشاء » !!

يوسف .. في تجربة الحكم ١٩

وتمت النعمة .. ورفع الله يوسف النبي .. فصار يوسف الملك ..
واجتمع للشخصية اليوسفية .. كمال النبوة .. وجلال السلطة ..
وتلألاً منه .. جمال النبوة .. وجلال الملك ..

فكان النبي الملك .. والملك النبي ..

وتلك أخطر مرحلة من مراحل تلك الشخصية ..

لأن يوسف النبي .. قد وضع في التجربة .. تجربة الحكم ..

فاذا ما تفهقنا إلى وراء .. لنستطلع ما جعله الله تعالى .. من نواميس .. لاعداد

يوسف .. اعدادا عجيبا .. لذلك الدور .. دور الحكم والملك والرياسة العليا ..

نرى آيات وآيات .. كما قال سبحانه : « لقد كان في يوسف وإخوته آياتٌ

للسائلين » ..

« والآيات المشار إليها هنا .. هي النواميس الإلهية .. التي تسرى في خفاء ..

« إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ .. »

والمراد باللفظ هنا .. سريان النواميس في الكائنات .. وهم لا يشعرون ..

إنك إذا نظرت إلى شجرة نامية .. تنتشر في أغصانها الأشواك ... والأوراق

الخضراء ... قلت: ماذا يراد من تلك الشجرة الشائكة ؟

فاذا ما انبقت من أشواكها .. وردة حمراء .. أو بيضاء .. أو صفراء .. ذات جمال

وازدهار ورائحة زكية ..

أدركت أن المراد هو الزهرة .. هو الثمرة الجميلة .. وليس المراد تلك الأشواك

الشائكة من الأعواد ..

كذلك النواميس الإلهية .. في الكائنات .. وفي البشر بصفة خاصة ..

إذا ما أراد الله تعالى أن يعد إنسانا ممتازا .. لأداء دور ممتاز في التاريخ ..

أنبته نباتا حسنا .. ثم ابتلاه بأنواع من الاختبارات .. الشاقة ... الثقيلة ..

فاذا ما اجتازها بنجاح .. كان أهلا لحمل الرسالة التي اختاره الله تعالى لأدائها ..

وتجد ذلك التاموس .. ساريا .. جاريا .. في شخصية يوسف .. من البداية ..

إلى النهاية ..

عند الاختيار .. ترك الله أبناء يعقوب .. الأحد عشر جميعا .. واختار يوسف

من بينهم ..

لماذا؟! لأن الطفل يوسف .. كان ممتازا .. والامداد على قدر الاستعداد ..

أو : « الله أعلم حيث يجعل رسالته » !!

فلما تم اختيار الكائن .. اصطفاه الطفل .. الممتاز ..

أو لما تم اجتباء الطفل .. « وكذلك يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ » ..

بدأت النواميس الإلهية .. عملها على الفور ..

وبدأ ادخاله تجارب الاختبار .. تجربة إثر تجربة ..

فإذا ما نجح في تجربة .. أهله ذلك النجاح ، إلى دخول امتحان تجربة أشق من

سابقتها .. وهكذا ..

تماما كما يؤدي الطالب امتحان القبول بنجاح .. فيؤهله ذلك لدخول المرحلة الإعدادية ..

فإذا ما أدى امتحان الإعدادية بنجاح .. أهله ذلك لدخول المرحلة الثانوية ..

فإذا ما أداها بنجاح أهله ذلك لدخول الجامعة ..

فإذا ما أدى امتحان الجامعة بنجاح أهله ذلك لدخول الدراسات العليا ..

فإذا ما أداها بامتياز أهله ذلك ليحصل على الدكتوراة .. أو الأستاذية ..

هنالك يستحق أن يكون أستاذا .. أن يكون إماما لغيره !!

نفس الناموس .. يجعله الله تعالى ساريا .. جاريا .. في الأنبياء .. وفي الأولياء ..

وفي الأصفياء ..

يدخلهم امتحانا إثر امتحان .. فإذا نجح الفرد منهم في أداء الامتحان .. أدخله مرحلة

أرقى .. فإذا نجح في أداؤها .. رفعه إلى مرحلة أعلى .. وهكذا ..

حتى يصبح النبي .. أو الولي .. أو الصفي .. أهلا لأن يكون أستاذا لغيره .. أن

يكون للناس إماما ..

وتُجَد ذلك مكنونا في قوله سبحانه : « وإذ ابتلى إبراهيمَ رَبُّهُ بكلماتٍ ، فأتمهنَّ ، قال : إني جاعلكَ للناسِ إماماً .. »

إني جاعلك للناس أستاذا .. إني مانحك شهادة الأستاذية .. لتقود الناس إلى ربهم .. ومعنى « أتمهن » أي نجح نجاحا تاما .. وفاز في كل مرحلة فوزا عظيما .. أهله لأن يدخل المرحلة الأرقى .. وهكذا ..

نمود ونقول : فلما تم اختيار الطفل .. أدخل فوراً إلى التجارب .. ففي سن الثالثة .. أدخل تجربة عنيفة جدا ..

اشعر به رجال كبارهم إخوته .. وأقوه في الجب !!

ونجح يوسف في التجربة .. وكان علامة نجاحه الباهر .. أن نودي « لتنبئتهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون » .

ثم أدخل تجربة أشق .. تجربة أرقى ..

بيع بدارهم معدودة .. وتعرض للمهانة ..

فنجح في تلك التجربة .. وكان علامة نجاحه أن مكن الله له من قلب العزيز .. وقلب امرأة العزيز ..

« وكذلك مَكَّنَّا ليوسفَ .. »

فلما بلغ أقصى قوة الشباب .. والنضج .. والجمال ..

أدخل تجربة من أعنف التجارب ..

وشنت سيده .. امرأة العزيز عليه .. غرامياتها .. ومرادياتها ..

وهو يستعصم ويعرض ... وكما أعرض عنها ... ازدادت إقبالا عليه ... وحباله ... وهياما بجماله ..

ونجح يوسف في التجربة ..

فأدخل تجربة أشق ... فأحيط بعدد عظيم من الجميلات ... بنسوة العاصمة ... بنساء

الصالوات ...

وبعد أن كان يتمتحن بامرأة واحدة .. هي امرأة العزيز وحدها ...
هاهو يتمتحن بجميع جميلات العاصمة ..
فتنة تموج عليه كعوج البحار ..
ونجح يوسف في ذلك الاختبار كذلك ..
فلما نجح .. أدخله اختبارا أشق .. وأثقل .. أدخله السجن ..
متهما بتهمة باطله كريمة .. ولفقوا له قضية باطله أنه أراد الاعتداء على امرأة العزيز ..
وشرع في اغتصاب عدد من الجميلات الحسنات !!

ونجح يوسف نجاحا باهرا في تلك التجربة ..
فلما جاز تلك المراحل كلها .. وسجل في امتحانها امتيازا فوق امتياز ..
منحه الله لقب الأستاذية .. إني جاعلك للناس إماما .. أى « وكذلك نجى المحسنين »
واستحق يوسف عن جدارة ... وامتياز ... « وكذلك مكنا ليوسف ، فى الأرض
يتيموا منها ، حيث يشاء ، نصيب برحمتنا من نشاء ، ولا نضيع أجر المحسنين . »
أى .. وسلكننا بيوسف المسالك .. التى تؤهله .. لأن يكون ملكا عظيما .. وحاكما
عادلا .. ورئيسا رحما ...

فلما اكتمل .. ونجح .. آتيناه أجره .. آتيناه الملك !!!
فليس الأمر .. مجرد عطاء حينما اتفق ...
كلا .. وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ..
إنما هو المدل فى العطاء .. والامداد على قدر الاستعداد ...
ولقد دخلت الشخصية اليوسفية ، اختبارات إثر اختبارات ...
فنجحت .. وارتفعت .. فأثابها الله جزاء إحسانها .. « ولا نضيع أجر المحسنين » !!
وتلك الاختبارات تعود على شخصية يوسف .. بفائدتين ..
فأئبة لشخصه .. تزيد شخصيته كالا وعلوا ..

وفائدة للناس ... حتى إذا ما حكم .. أحس بمتاعهم وآلامهم .. وعمل على تخفيفها
ولما آلتها ... فكان رحمة للناس جميعاً ..

أذاقه مرارة الآلام .. ليرحم الناس إذا حكم ؟!

أذاقه مرارة الظلم ... حين صمه إخوته ...
ومرارة الحرمان حين حرموه من بزيه ...
ومرارة العربة حين بيع في مصر
ومرارة الرق حين صار مملوكاً للعزير ...
ومرارة الاتهام الباطل حين اتهموه في امرأة العزير ، ونسوة المدينة ...
ومرارة التعذيب بالباطل ، حين أدخلوه السجن ..
ومرارة السجن .. ومر به على تعذيبها وآلامها ..
ومرارة الإهمال ... حين ألقى في ظلمات السجن .. لا يدري به من احد ..
حتى إذا مارفمه .. إلى مقام السيادة والملك ...
أحس آلام هؤلاء جميعاً .. وسعى سعياً حثيثاً في إزالة آلامهم ..
وتلك هي التربية الإلهية لهؤلاء العظماء الحكماء الأنبياء ...

النبي . . في الملك ؟!

أكثر الناس لا يلتفتون ... إلى خطورة تجربة يوسف ...
ويمرون على تلك المرحلة مرا خفيفاً ...
بينما هي أخطر مراحل شخصية يوسف ..
وإنما تتأني خطورتها .. من أنها تجربة فذة في تاريخ البشرية ..
ولقد آثرنا تسميتها بالملك .. دون رئاسة الوزراء .. لأن يوسف كان رئيساً للوزراء ..
يملك جميع السلطات .. وكان الملك مجرد رمز للعرش ...
فكان هو في الحقيقة الملك المطاع الأمر الناهي ...

وآثرنا ذلك المذهب .. لأنه مكنون في قول يوسف « رب قد آتيتني من الملك .. »
وقوله سبحانه: « فقد آتينا آل إبراهيم ، الكتاب ، والحكمة ، وآتيناهم ملكا عظيما »
وكان ملك يوسف .. مما آتى الله تعالى آل إبراهيم من الملك العظيم .
وجاءت تجربة يوسف .. النبي الملك .. فذة .. لا يعدها إلا تجربة داوود وسليمان .. من بعد .
فقد كان داوود نبيا ملكا ..

وكان سليمان نبيا ملكا ..
والخطورة في تجربة يوسف .. أنها برهان على امكانية تطبيق المثاليات في واقع المجتمعات .
فمن الناس من يظن أن سمو الأنبياء إنما هو من باب المثال .. وأن تطبيق ما يدعون
إليه من باب المحال !!

وينظرون إليهم على أنهم نماذج مثالية .. يقترب منها .. ولا يستطيع تطبيقها !!
فجاء يوسف النبي .. ورفع إلى مقام النبي الملك ..
ليكون آية للناس .. على أنه إذا وجد الإنسان المؤمن .. قام الحكم الصالح .
وإذا صلح قلب الحاكم ، صلح حكم الناس ..
ولقد كان يوسف قلبا .. منيرا ..
قلب بي . ابن نبي ، ابن نبي ، ابن نبي ..
فهو في الدروة من النور ، وفي القمة من السمو .. وفي أعلى درجات القرب من رب

العالمين .

فلما أوتى الملك .. تلالآت منه عجائب النبوة ..
ومكنته السلطات التي بيده من إنفاذ أمر الله تعالى في الناس وفي البلاد ..
وما ظنك بنبي عظيم .. أوتى نور النبوة ..
وقد صار ملكا .. يحكم .. كيف يكون !!
لقد استقبل يوسف .. النبي الملك .. فساداً عريضا .. في البلاد المصرية ..
استقبل طبقة حاكمة .. فاسدة .. سلوكا .. وأخلاقا .. ودينا ..

فاسدة في أنفسها .. وفي بيوتاتها .. ويكفيك دليلا على فساد نساءهم .. أنهم كن يراودن
يوسف عن نفسه .. انحلال عام تام في كل شيء ..
دولة منحلة .. كانت تعاني الانهيارات في كل شيء ..
كان مجتمعا منحرفا .. مظلما ..
العقائد فاسدة : « ... إني تركت ملة قوم ، لا يؤمنون بالله ، وهم بالآخرة ،
هم كافرون . »

هذا هو تصوير يوسف .. الصادق الأمين لعقائد المجتمع المصري آنذاك ..
قوم .. شعب .. لا يؤمن بالله .. وشعب يكفر بالآخرة !!
ظلمات بعضها فوق بعض ..
عقائد فرعونية فاسدة .. من أوهام الفرائعة ، وأصنامها ، وعباداتهم الباطلة ..
ومجتمع ظالم .. ويكفي دليلا على ذلك أن اشتركت الطبقة الحاكمة في تلفيق التهمة
المنكرة ليوسف ..

« ثم بدآ لهم من بعدِ مَآرَأِ الْآيَاتِ لَيْسَ جَنَّتْهُ حَتَّى حِينٍ !! »
هكذا .. بمجرد أن بدا لهم ذلك .. قرروا أن يسجن يوسف ..
وإلى متى ؟! حتى حين ؟!
مانهاية ذلك الحين ؟!

يرجع إلى مزاجهم الشخصي .. لا تحديد لذلك السجن ..
شخص برىء يسجن بدون تحديد !!

إجرام .. واستهتار .. وإهدار لحريات الناس .. وكراماتهم .. وحقوقهم كأدميين
بلامبالاة .. كأن لم يحدث شيء !!
وحين يبلغ الحكم إلى هذا المدى من الاستهتار بالأدميين .. فهو أسوأ
أنواع الحكم ..
ثم هو مجتمع في انهيار تام .. خلقيا ..

نساء مستهترات عابثات .. باحثات عن المتعة والسهرات !!
ويكفيك دليلا على ذلك ما كان من الأعيب امرأة العزيز مع فتاها .. والأعيب
هاتيك النسوة مع يوسف !!
وووزراء فاسدون .. كأنهم الحجارة المرصوفة .. لا يقيمون عدلا .. ولا يحقون حقا ..
ويكفي أن الملقب بالعزيز .. كان وزيرا للداخلية .. ورأى ما رأى من امرأته ..
فكان كل ما صدر عن المذكور « يوسف أعرض عن هذا » ..
يوسف .. اكتم هذا ..

هذا هو كل ما كان من وزير الداخلية آنذاك !!
ومجتمع يعج بالفساد الجنسي عجا ..
يصور ذلك قولهن : « وقال نسوة في المدينة ، امرأة العزيز ، تراود فتاها ، عن
نفسه ، قد شفها حبا .. »

هذا هو ما يشعل بال المذكورات !!
أقاصيص الحب .. وكان حزنهن الأكبر .. أن امرأة الوزير .. ظفرت بهذا الجميل ..
من دونهن !!

وباليتين كن مكانها .. لرفن كيف يستهوينه يجالهن !!
فلما وجدن الفرصة اليه .. بدا ذلك منهن وانحما .. وأخذن في مراودته !!
ويصور لك ذلك الاستهتار الجنسي .. والانحلال الخلقى ..
حين نسمع امرأة .. كأمرة العزيز .. تعلن في حفلة عامة .. على جميع الحاضرات ..
والحاضرين من السادة والكبراء ..
تعلن : « ولقد راودته عن نفسه ، فاستعصم ، وإن لم يفعل ما أمره ، ليسجنن
وليكونا من الصاغرين » . !!

امرأة وزير .. وزير الداخلية .. تعلن في حفلة عامة ..
« ولقد راودته عن نفسه » ..

تعترف بذلك اعترافا .. على الملأ .. في حفلة ساهرة عامة .. في العاصمة .. فيها كبار رجال الدولة .. ونساء الطبقة الراقية كلها ..

وأوقع من ذلك .. وأدل على استهتار نساء ذلك المجتمع وأحلامهن .. أن تقف وتعلن وتهدد : « ولئن لم يفعل . ما أمره ، ليسجنن » !!
ولئن لم يفعل !!؟

كأنها تلان : ولئن لم يأتني يوسف .. ويمتحنى كما أشاء .. ليسجنن ..
لأمرن زوجي .. وزير الداخلية .. فيدخله السجن بجرة قلم !!

مجتمع منحل .. فاسد ..
ومظالم هنا وهناك ..

كان ذلك هو المجتمع المصرى .. الذى أصدر الملك أمره .. أن يكون يوسف رئيسا

لوزرائه !!

مهمة ثقيلة جدا ..

وماذا يفعل نبي الله يوسف .. ليزحزح ذلك الفساد العريض .. السارى فى كل خلية

من خلايا البلاد !؟

فلا عقيدة .. ولا أخلاق .. ولا عدالة اجتماعية .. ولا نظم ثابتة مستقرة ..

وهذا يفسر لك لماذا حرص الملك أشد الحرص على إسناد رئاسة الوزارة إلى يوسف ..

انه يريد رجلا .. انه كان يبحث عن رجل أمين ..

فوجد ضالته فى يوسف .. فألقاها إليه .. ليحمل عنه تلك الأعباء الثقيل ..

وليس أشق فى الوجود .. من حكم مجتمع قد انتشر فيه الفساد !!

يوسف .. فى مقام القيادة !؟

ألقى الملك بأعباء القيادة والسلطة إلى الرجل المكين الأمين ..

وتلقاها .. الرجل .. الحفيظ العليم ..

ونهبها على أعلى ما يتصور من النهوض بأمانة الحكم .. ونزاهة السياسة ..
ووضع يوسف في التجربة .. أوسع تجربة ..
ودخل امتحان السياسة .. أعلى سياسة .. فهو الرجل الأول في البلاد المصرية ..
والرجل الأول في منطقة الشرق الأوسط .. لما كان لمصر من سيادة وقيادة وإشعاع
فيما جاورها .. كما هو دورها التاريخي دائما ..
فإذا تأملنا قوله تعالى : « ولما بلغ أشده ، آتيناها حكما ، وعِداً ، وكذلك نجزي
المحسنين » ..

أدركنا أن يوسف أوتي الحكم شاباً قويا ..
وقد ثبت تاريخياً أنه كان في سن الثلاثين ..
« جاء في الكتاب المقدس :
« وكان يوسف ابن ثلاثين سنة لما وقف قدام فرعون ملك مصر . فخرج يوسف من
لبن فرعون واجتاز في كل أرض مصر . »

« آتيناها حكماً » .. آتيناها سلطة عظيمة .. جعلناه رجل مصر الأول ..
« وعِداً » عبقرية السياسة .. وعبقرية العلم بعموميات السياسة .. وخفيات الأمور ..
فيوسف إذاً كان عبقرياً .. أعلى أنواع العباقرة ..
تجد ذلك مكنوناً في قوله تعالى : « عِلْمًا » .. علماً عظيماً ، وراء علوم البشر ..
آفاق عليا من النور .. والعلوم اللدنية .. والمعارف القدسية ..
أعلى انواع العبقرية ..
كان سياسياً عبقرياً ..
وحاكماً عبقرياً ..
وصديقاً .. ونبياً .. عبقرياً !!

فكانت شخصيته .. شخصية خارقة .. ذات آيات بينات ..
فن جهة الهيثة .. كان رجلاً جميلاً .. وقصة جماله الخارق .. معلومة ..

فهو قوة في البدن .. وقوة في الشباب .. وقوة في الشخصية ..
من رآه هابه .. وأعظمه .. واثار احترامه الشديد ..
فكل مقومات العظمة الشخصية كانت تتلألأ في وجهه الكريم ..
فهو انسان كريم .. عظيم .. مهيب .. أخاذ .. مؤثر في الغير .. يثير احترام الجماهير ..
الخاصة والعامه ..

وإذا علم أن الأنواع التي كانت تحكم مصر من قبله كانوا شخصيات منحلة ..
علمنا إلى أي مدى .. كانت مشاعر الشعب المصري .. نحو يوسف .. الذي جاء من
بعد هؤلاء .. . وإنما يتلألأ البدر إذا اشتد الظلام .. .
اجتمع لشخصية يوسف كل ما يمكن أن يجتمع لشخصية بشر من الكمال والجمال
والجلال ..

فهو مؤهل لأن يكون ملكا .. قبل أن يرفع إلى الملك !!
هذا عن الظاهر ..

أما عن الباطن .. عن قلب يوسف .. فحدث ولا حرج !!
قلب نبي كريم .. تتموج فيه الأنواز الإلهية موجا !!
وإذا اكتمل لانسان كمال الظاهر .. وكمال الباطن .. فهو النبي ..
وذلك كان يوسف !!

وإذا علم أن الثابت تاريخيا أن يوسف مات عن مائة وعشر سنين ..
جاء في الكتاب المقدس :

« وسكن يوسف في مصر هو وبيت أبيه . وعاش يوسف مئة وعشر سنين ..
» ثم مات يوسف وهو ابن مئة وعشر سنين .. فخطوه ووضع في تابوت في مصر ..
وأن يوسف كان محبوبا من الشعب .. ومن الملك ..
كان معنى هذا أن يوسف مكث في منصب رئيس الوزراء نحو من ثمانين عاما !!
إلا أن يكون اعزل الحكم أثناء حياته ..

وأكبر الظن أن هذا لم يحدث ..
فأين يجد المصريون مثل يوسف !!؟
تأمنون عاما من النور ..
فهى أسعد فترات الحكم فى تاريخ مصر على الإطلاق .
فلم يحدث أن حكم مصر نبى إلا يوسف !!
ما أعظم هذا .. وما أسعد أهل مصر بهذا !!
لقد كانت فرصة العمر .. وهدية السماء إلى أهل مصر ..
وحين يحكم الأنبياء .. فقل ما شئت من الرحمة الميثوقة .. والنعمة السابغة .. والعدل العام ..
والنور المنطلق ..

لقد كانت تجربة وحيدة فريدة أن يحكم مصر نبى كريم !!

تخطيط سياسى اقتصادى عظيم !!

واستمكن يوسف من «خزائن الأرض» ..
من مقدرات .. وسلطات .. جميع البلاد .
وخطط تخطيطا محكما لستقبل المجاعة القادمة ..
ونفذ أرقى أساليب حفظ المحاصيل ..
فأمر أن يحتزن الفائض عن الاستهلاك السنوى ..
من القمح والشعير والذرة والسمسم والبقول السودانى وغيره من محاصيل مصر ..
فى سنابله ..

أى يترك فى أعواده كما هى ..

وأمر فاستولت الدولة على فائض الاستهلاك من جميع هذه المحاصيل ..
وكانت السنون السبع الأولى وفيرة الخيرات ، وفيرة المحاصيل ..
وكان على كل زارع مصرى .. أن يورد إلى الدولة فائض استهلاكه ..

ومن الختم أن يوسف أصدر أوامره، أن تورد كميات محددة عن كل فدان زرع حبوبا .
قدرها تقديرا عادلا يتناسب وعدل النبوة ورحمة المرسلين .
وكانت الدولة تستقبل في مخازنها تلك الكميات الوفرة من المحاصيل المتروكة في أعوادها
وتجمع في مخازن .. أو خزائن الدولة ، فائض سبع سنين سمان .. .
فكانت الخزائن تملأ بملايين الأطنان من القمح والشعير والذرة والسمسم والفول
وغيرها ..

المجاعة ١٤

وجاءت السبع العجاف .. فأنخفض النيل انخفاضا خطيرا .
وجفت الأرض .. وهلك الزرع .. وكانت مجاعة رهيبية .
استمرت سبع سنين متواليات !!
وامتد الجفاف والقحط إلى المنطقة .. حتى شمل الأردن وغيرها .. .
وهذا يفسر لك : لماذا قدم إخوته إلى مصر يلتمسون شيئا من الحبوب ؟
وتلألأت عبقرية يوسف ..
فخطط تخطيطا عظيما .. لاستقبال تلك المجاعة ..
وكان عليه أن يقوم بمحاجات الملايين الجائعة .. طوال سبع سنين .
ليس هذا فقط .. وملايين غير المصريين .. من سكان الأردن وفلسطين وغيرها ..
إن المنطقة كلها قد أقحطت .. وتوشك أن تهلك .
وتلألأت النبوة .. في يوسف ..
فأعطى الناس بالتساوي .. بمقادير معينة .. معلومة ..
حتى انقضت تلك السنوات ولم تشعر الملايين بالآلام المجاعة الرهيبة !!!

عام الخير ١٤

« ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ ، فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ ، وَفِيهِ يُعْصِرُونَ »

وانقضت السنون السبع العجاف .. وذهب الجفاف .

وأقبل فيضان النيل عاليا علوا فوق العادة .

فغمر الأراضي .. واهتزت بكل زوج بهيج !!

وأعطت الأرض ... التي كانت معطلة سبع سنين ... لا تزرع ولو تروى .. محصولا

وفيرا جدا .

لأن الارض الزراعية إذا تركت عاما بعد عام بلا زراعة ثم زرعت .. كان المحصول

وفيرا ..

فكيف وأكثر الارض مضى عليها سبع سنين لا تزرع ولا ينزل عليها ماء ؟

لقد كان عاما مباركا .. ضوخت فيه المحاصيل ...

وزاد من خيرها .. أن الامطار هطلت بغزارة على أرض مصر .. وما جاورها ..

فاجتمع خير النيل .. إلى خير السماء ..

ويصور لك وفرة محاصيل ذلك العام .. قوله تعالى « وفيه يعصرون » ..

أى أن الثمار التي تعصر .. كالسمسم .. والكتان .. والنب .. والبرتقال ..

فاضت عن الاستهلاك السنوي .. مما اضطر الناس إلى عصرها .. واختزانها عصيرا !!

نَرَفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ ؟!

وما انقضت تلك الاعوام .. الخمسة عشر ...

سبعاً في خصب ..

وسبعاً في جذب ..

وعاما في رخاء ..

حتى كانت عبقرية يوسف .. في الحكم .. والسياسة .. والاقتصاد ..

قد شاعت وذاعت .. وجاوزت حدود مصر .. إلى جميع أنحاء العالم ..

وأصبح يوسف .. أعظم شخصية سياسية .. في أنحاء العالم ..

يتحدث عن عجائبيها .. وبراعتها .. وعبقريتها .. العالم كله !!
« نرفع درجات من نشاء » .. لقد رفع الله له ذكره .. فهو أشهر رجل على ..
ورفعه درجات .. بما آتاه من علوم النبوة .. فهو نبي عظيم ...
ورفعه درجات في علوم الاقتصاد السياسي .. فهو أبرع وأقدر رجل في العالم .. في
مجال السياسة والاقتصاد .. وحل مشكلات الشعوب ..
ورفعه درجات حين نجح في احقاق الحق .. واشاعة العدل في شعب كان قد فسده
كل شيء ..

ورفعه درجات .. حين أقام الأخلاق .. في شعب كان قد ذهبت أخلاقه ..
ورفعه درجات .. حين ساس شعب مصر .. بل منطقة الشرق الاوسط كلها .. قرابة
ثمانين عاما .. سياسة العدل .. والرحمة .. والقيم العليا ..
ورفعه درجات .. حين لم تطفه السلطة المطلقة .. وإنما كان ملكا مطاعا .. بينما هو
لربه عبدا مطيعا .. « إنه من عبادنا الخالصين » !
ورفعه درجات .. حين أتاح للمصريين أجمل فرصة .. في تاريخهم .. فنعموا بأعدل حكم
شهدوه .. أو يشهدوه .. إلى يوم القيامة ..
حكم الأنبياء .. وما أدراك ما الأنبياء !!
ورفعه .. درجات .. ودرجات .. ودرجات ..
لا يعلمها الا هو .. كما قال : « وفوق كل ذي علم عليم » !!!

« تم »